الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران السانية
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ و علم الآثار

مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط بعنوان :

النشـــاط التجـاري بالأنـــدلس
خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين
العاشـــر والحادي عشـر الميلاديين

إعداد الطالب:
رابح رمضان

إشراف الأستاذ الدكتور:
بن معمـــــر محمـــــــد

السنــة الجــامعيــة:2007-2008.

كلمة شكر وتقدير

لا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أتقدم بعظيم شكري وامتناني وتقديري لأستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور بن معمر محمد أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ الإسلامي بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، لما أولاني من رعاية وتوجيه وتشجيع طوال مدة اشتغالي بجمع المادة العلمية لهذه الدراسة، وتذليله كافة الصعوبات التي واجهتني سواء بإمدادي بالمصادر والمراجع النادرة المتعلقة بهذه الدراسة، أو بالتوجيه والإرشاد المنهجي، ما مكنني من جمع أكبر قدر ممكن من المادة العلمية المتعلقة بهذا البحث.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى أساتذتي ومن بينهم الأستاذ الدكتور بن نعمية عبد المجيد، والأستاذ الدكتور غازي مهدي جاسم الشمري، والأستاذ الدكتور بوباية عبد القادر صاحب هذا المشروع.

ولا أنسى بهذه المناسبة أن أقدم شكري الى جميع أساتذتي في المرحلة النظرية وعلى رأسهم الدكتورة بلهواري فاطمة، والدكتور بوداوود عبيد.
والى جميع من ساهم معي في انجاز هذه الدراسة سواء من قريب أو من بعيد، واخص بالذكر الاستاذ طارق وراد، والأستاذ محي الدين صفي الدين...



المقدمة

المقدمة:

يتناول موضوع البحث، النشاط التجاري للأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين.

وتعتبر هذه الفترة، من بين أزهى الفترات التي شهدتها الأندلس، ونعمت بها خلال تاريخها، سواء السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الثقافي، فقد برز خلال هذه الفترة، حكام عظام عملوا ما بوسعهم لترقية الأندلس سياسيا وحضاريا، ففترة الخلافة شهدت ميلاد حكام جمعوا بيدهم جميع السلطات، كالخليفة عبد الرحمن الناصر، وخليفته الحكم المستنصر، ومن جاء من بعدهم كالحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، وابنه من بعده، ثم تلا هذه الفترة مرحلة انتقالية، وهي أوائل القرن الخامس الهجري، التي تميزت بالاضطرابات والفتن، حيث دخلت الأندلس في الكثير من الفوضى، التي مست جميع الجوانب، وقد تمخض عن هذا التمزق ظهور مجموعة من الدويلات المستقلة، وعبر كامل التراب الأندلسي، وامتدت هذه الفترة إلى غاية نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، أي بدخول المرابطين إلى الأندلس.

وقد تميزت الفترتان بنوع من الاختلاف والتباين، وفي الكثير من الميادين، فقد شهد القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، طفرة نوعية في جميع المجالات، ونخص بالذكر المجال الاقتصادي، الذي شهد تطورا كبيرا، سواء في مجال الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، أما فترة القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فقد شهدت تذبذبا في هذا المجال، وهذا لظهور بعض المستجدات السياسية، كان لها تأثيرها على مقدرات الأندلس الاقتصادية.

أسباب اختيار الموضوع:

وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب النشاط الاقتصادي الأندلسي، ونعني به العلاقات التجارية، والمبادلات السلعية، بين الأندلس ومختلف الدول خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين.

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع، قلة الدراسات التي تناولت الجانب التجاري للأندلس، فلم تفرد أي دراسة مستقلة للنشاط التجاري بالأندلس باللغة العربية، وتركيز الكثير من البحوث والدراسات على الجوانب السياسية والعسكرية، وعليه عزمت على دراسة هذا الموضوع، عله يعطينا نظرة بسيطة عما كان عليه النشاط التجاري في تلك الفترة من تاريخ الأندلس، لما لتلك الفترة من تاريخ الأندلس الحضاري عامة، والاقتصادي خاصة من سمات ميزتها عن باقي المناطق المتوسطية.

وكذلك من أسباب تناول هذا الموضوع محاولة البحث عن أهمية الجانب التجاري ، ومدى تأثيره في باقي مناحي الحياة الأخرى.

الإشكالية:

ولدراسة هذا الموضوع، تحتم علينا طرح بعض الأسئلة الأساسية، والتي تمثلت في الإشكالية التالية:

ـ كيف كان حال النشاط التجاري بالأندلس خلال القرنين الرابع و الخامس الهجري ؟ و هل تميز القرنان بعضهما عن بعض؟

ـ ما هي العوامل التي تحكمت في النشاط التجاري الأندلسي؟

ـ وهل نشطت الأسواق الأندلسية؛ وكيف كانت تتم المبادلات، وسواء في الداخل أم مع دول الخارج؟

الدراسات عن الموضوع:

وقد اهتم الدارسون المحدثون بالتاريخ السياسي والثقافي للأندلس في هذه الفترة، وألفوا فيه العديد من المؤلفات، غير أنهم حيدوا جانبا مهما ومؤثرا في المجالات الأخرى، وهو الجانب الاقتصادي، وعلى الخصوص شقه التجاري، ورغم أهمية هذا الموضوع إلا انه لم يحظ بنصيبه من اهتمام الباحثين والمؤرخين على وجه الخصوص، سواء في هذه الفترة أو في غيرها من

الفترات من هذه الرقعة الجغرافية، إلا ما جاء تابعا للنشاط الزراعي، والصناعي في بعض الدراسات التي تناولت الجانب الاقتصادي للأندلس، ومنها الدراسة التي قامت بها المؤرخة **أوليفا ريمي كونستابل،** في كتابها **التجارة و التجار بالأندلس،** وكذلك الدراسة التي قام بها **أرشيبالد لويس** بعنوان**: القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط (500 م – 1100م)،** ومن الدراسات المهمة كذلك نجد ما قام به: **خالد بن عبد الكريم حمود البكر،** في كتابه **: النشاط الاقتصادي في عصر الإمارة،** وكذلك مجموعة البحوث والدراسات التي قام بها **كمال السيد أبو مصطفى،** وعلى رأسها كتابه**: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين،** والدراسات المهمة في هذا الجانب **للحبيب الجنحاني،** ومنها كتاب، **دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الإسلامي،** والدراسة الأخرى بعنوان**: المغرب الإسلامي- الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال(ق 3-4 هـ /9-10م)،** ومقال بعنوان**: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر.**

صعوبات الموضوع:

وعلى أية حال فقد أدركت منذ أن اقتنعت بدراسة هذا الموضوع، مدى الجهد الواجب علي بذله، والصعوبات التي سوف أواجهها، ومرجع ذلك إلى أن هذا الموضوع يتعلق بجوانب اقتصادية، ومن المسلم به أن الكتابة في التاريخ السياسي تعتبر أيسر بكثير من الكتابة في الجوانب المختلفة من التاريخ الحضاري، وخاصة الاقتصادي، لان المصادر التاريخية تتحدث بإسهاب عن الحوادث التاريخية، سواء السياسية منها أو العسكرية، كما أنها مليئة بأخبار الأمراء والحكام، كما أن الكثير من المؤرخين القدامى في القرون الوسطى عامة، كانوا يركزون جل عنايتهم للتاريخ السياسي، وقلما جذبت انتباههم بعض الظواهر الاقتصادية، أو الاجتماعية، مما ترتب عنه ندرة في المادة العلمية المدونة في هذا المجال فضلا عن الصعوبة، والمشقة التي يعانيها الباحث عند قيامه بجمع المادة العلمية لمثل تلك الموضوعات، وذلك أن الباحث في التاريخ الاقتصادي يجد لزاما عليه التنقيب في مختلف المصادر، لأن الإشارات المتعلقة بالمظاهر الاقتصادية موجزة، ومبعثرة في بطون كتب التراجم، وكتب الحسبة، والفقه، والفتاوى، وكتب الفلاحة، والمصادر التاريخية،

والجغرافية، والوثائق الرسمية المختلفة، بالإضافة إلى بعض النقوش، والمسكوكات، والتحف الأثرية المختلفة.

وعلى هذا فقد استعنت بالأناة والصبر عند جمعي للمادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، في المصادر المطبوعة، والمنشورة، سواء كانت تاريخية، أو جغرافية، ونرجو من السادة أعضاء لجنة المناقشة أخذ هذه الصعوبات بعين الاعتبار.

وقد حاولت في هذه الدراسة أن التزم بالمنهج العلمي القائم على جمع النصوص، وترتيبها، ثم مقارنتها، وتحليلها واستخلاص النتائج منها، كما حاولت استبعاد الروايات المبالغ فيها، والتي كثيرا ما أوردتها كتب الجغرافيا خاصة.

خطـــة البحث:

وقد قسمت الرسالة إلى فصلين، بالإضافة إلى مقدمة وفصل تمهيدي، وتشتمل المقدمة على عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة، والصعوبات التي واجهتني خلال عملي هذا، ثم تحليل لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة.

أما الفصل التمهيدي فيتضمن عرضا موجزا لوضع التجارة قبيل الفترة قيد الدراسة، وعلى الأخص القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

وخصصت الفصل الأول لدراسة التجارة الداخلية في الأندلس، فتناولت في البداية أهم العوامل المؤثرة في النشاط التجاري الداخلي بالأندلس، مشيرا إلى بعض العوامل الطبيعية كالطرق ودورها، وبعض وسائل النقل، وأهم المراكز التجارية في الأندلس، ثم ذكرنا مناخ الأندلس، وبعض المشاكل التي يمكن أن تكون احد المثبطات بالنسبة للتجارة الأندلسية، ثم بعد ذلك ذكرنا بعض العوامل السياسية، وذكرنا فيها أهم الاضطرابات السياسية التي كانت بالأندلس في هذه الفترة بالذات، والتي كان لها تأثيرا كبيرا على التجارة والأمن بالأندلس، بعدها انتقلنا إلى الحديث عن أهم المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية، فذكرنا أهم هذه العوامل، من هجرة سكانية داخلية وتأثيرها على تجارة الأندلس في ذلك العصر، ودور أهل الذمة في ذلك المجتمع من يهود ونصارى.

كما تحدثت عن الحركة التجارية بداخل أسواق الأندلس، متطرقا في ذلك إلى أنواع الأسواق، كالأسواق اليومية والأسبوعية والموسمية، ثم تطرقت إلى تنظيم وإدارة السوق، متناولا في ذلك دور صاحب السوق في الرقابة العامة والخاصة، وجميع ما تمتد يده إليه وما يكلف به من أعمال ومهام متعلقة بالسوق والنشاط التجاري، ثم تناولت بعض آليات وأساليب التعامل في الأسواق الأندلسية، متطرقا إلى النقود، والأوزان، والمكاييل، ثم أخيرا تطرقنا إلى أهم السلع والبضائع المشهورة بالسوق الأندلسي من زراعية ومعدنية ومواد أولية، إلى صناعات مصنعة جاهزة للتسويق المحلي الداخلي.

أما الفصل الثاني فقد أفردته للتجارة الخارجية، فتحدثت في البداية عن العوامل المؤثرة في التجارة الخارجية، من طبيعية، وسياسية، فأما من الأولى فذكرنا الطرق البحرية والبرية، ثم ذكرنا بعض الموانئ الهامة بالنسبة للأندلس، ثم وسائل النقل التجارية؛ ثم انتقلت بعدها للحديث عن العوامل السياسية، وعلى رأسها الصراع الفاطمي، والصراع مع النصارى، وأثر ذلك على التجارة الخارجية، بعدها تكلمنا عن مناطق التبادل التجاري، وأهم البلدان المتعامل معها في مجال المبادلات التجارية، بدءا بالعلاقات التجارية مع بلاد المغرب والسودان، باعتبارها اقرب مكانا للأندلس من الناحية المكانية، والروحية، ثم بعد ذلك تطرقنا إلى العلاقات التجارية بين الأندلس وبلاد المشرق، باعتبارها أحد الوسطاء التجاريين، كما تعتبر أهم مصدر للكثير من السلع والبضائع الواردة من الشرق، وخاصة البلاد المصرية، وكذلك باعتبارها سوقا مهما للبضائع الأندلسية، ثم ذكرنا العلاقات التجارية بين كل من الأندلس والدويلات النصرانية المسيحية، باعتبارها كذلك وسيط تجاري بحري كان يعمل في نقل مختلف المتاجر من وإلى الأندلس، ونخص بالذكر هنا الدويلات الايطالية الناشئة؛ وتطرقنا في ظل هذا إلى أهم السلع الصادرة من الأندلس باتجاه هذه البلدان، وأهم البضائع الواردة إليها منها.

واختتمت الرسالة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها من خلال تلك الدراسة، ثم أتبعت ذلك ببعض الملاحق، والخرائط، ثم قائمة مفصلة للمصادر، والمراجع، التي اعتمدتها وأعانتني في انجاز وإخراج هذه الدراسة لترى النور.

عرض لأهم مصادر البحث:

كتب الجغرافيا والرحلات:

ابن حوقل النصيبي أبو القاسم: كتاب صورة الأرض: وهو كتاب جغرافي مهم جدا نظرا لأنه قام بزيارة ميدانية واستكشافية للأندلس، فهو يعطينا الكثير من المعلومات عن الحياة الاجتماعية والمقدرات الاقتصادية للأندلس في فترة الخليفة عبد الرحمن الناصر وما بعده، فهو يمدنا بصورة واضحة عن إمكانات الأندلس وخيراته في تلك الفترة، وبالرغم من هذا فلا يخفي ميله للدولة الفاطمية بالمغرب وتحامله الواضح على الأندلس وأهلها، إلا أنه ينفرد بمعلومات دقيقة لكونه زار المنطقة فهو يسجل بدقة مقدار الجباية في عهد الناصر وابن الحكم المستنصر .

العذري احمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي ت478هـ: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع المسالك، وهذا الكتاب رغم أنه كثير البتر، إلا أن ما بقي منه يحتوي على الكثير من النصوص الاقتصادية الهامة، المتعلقة بالقرن الرابع والخامس الهجريين، فهو مصدر معاصر للفترة، حيث يعتبر شاهد عيان، كتب ما شاهده بعكس الكثير من الجغرافيين، بالإضافة إلى كون الكتاب تاريخي وجغرافي في نفس الوقت، فهو بهذا يتميز عن غيره من الجغرافيين والمؤرخين.

وقد قسم كتابه على المدن، فهو يبدأ بالوصف التفصيلي للمدينة، ثم يذكر بعض من حكمها، والفتن الواقعة بها، ثم بعد ذلك يسرد لنا أهم السلع الزراعية والمعدنية، وبعض المصنوعات التي تفتخر بها كل مدينة، وفي أحيان كثيرة يذكر مقدار الجباية، مما يعطينا صورة عن أهمية هذه المدن اقتصاديا، لكنه تعرض بإيجاز إلى التجارة الداخلية والخارجية، فلم يذكر إلا بعض الطرق الداخلية، وبعض الإشارات العابرة عن العلاقات الخارجية الأندلسية.

البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، توفي في سنة487هـ، كتاب المسالك والممالك: قام بتحقيقه جمال طلبة في مجلدين، إلا أنه يحوي بعض الأخطاء، لكن مع ذلك فإن كتاب البكري يعد من أهم الكتب الجغرافية التي ألفت وذلك لأنه عاش في فترة ملوك الطوائف

بالأندلس، وكان أبوه حاكما ومقربا من الإدارة أيام ملوك الطوائف، وهو بذلك قد أتيح له الإطلاع على الوثائق الرسمية والسجلات المالية والاقتصادية، كما كان أبوبكر المصحفي من بين مدرسيه، هذا بالإضافة إلى ملاحظاته الشخصية، يضاف إلى ذلك كون البكري أخذ عن كتب مفقودة، ككتب الوراق، وهو عبارة عن كتاب جغرافي يهتم بالبلدان والأقاليم المختلفة فيعرفنا، بجغرافيتها، ومناخها، وتربتها، وأهم منتجاتها الزراعية، بالإضافة إلى المعادن التي تشتهر بها كل منطقة، وقد أفادنا في التعريف بمنتجات الأندلس، والسلع الصادرة منها، والواردة إليها، وأهم البلدان التي كانت تتعامل معها في مجال المبادلات التجارية، والطرق التجارية للقوافل العابرة للصحراء، وخاصة بدويلات المغرب الإسلامي.

الزهري أحمد بن عبد الله محمد بن أبي بكر الأندلسي، وقد توفي في منتصف القرن السادس الهجري: له **كتاب الجعرافية،** قام بتحقيقه محمد حاج صادق، وهو يتناول بالوصف العديد من بلدان المشرق والمغرب، وخاصة الأقاليم المشهورة منها، وإن كان يؤكد في أكثر الأحيان أكثر على بلده الأندلس، وقد اعتمد الزهري في كتابه هذا على معاينته الخاصة، وبعض ما سمعه من أقرانه ممن شاهد الأحداث، وكذلك على بعض المصادر التي عاشت في نفس الفترة، كابن حيان والعذري وغيرهم .

ابن غالب محمد بن أيوب الغرناطي وهو من أهل القرن السادس الهجري: قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كنوز الأندلس ومدنها، وابن غالب في هذا الكتاب يذكر أسماء البلاد وخواصها ويصف أصقاعها، كما يلاحظ أنه يزاوج بين التاريخ والجغرافيا والتراجم، فهو يذكر العديد من المؤرخين، والعلماء، والخلفاء، والأمراء، وتكمن أهمية الكتاب بالنسبة للأندلس-على اختصاره- في كونه نقل عن مصادر مفقودة، تعود للقرن الرابع الهجري، وعلى رأسها كتاب أحمد الرازي في وصف الأندلس، وهو بذلك يحتفظ لنا بجزء كبير من وصف الرازي للأندلس، الذي ضاع أصله العربي، ولم يبق منه إلا الترجمة الإسبانية، وقد أفادني هذا الكتاب كثيرا في تتبع الكور الأندلسية، وما تتميز به من خصائص تجارية .

الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، توفي سنة 564هـ: له كتاب، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، وقد امتاز الإدريسي بالدقة، والتفصيل في وصف الأقاليم الجغرافية، والمقدرات الاقتصادية، والطرق التجارية، والأسواق، والفنادق، وكذلك يصف لنا الكثير من الظواهر الاجتماعية، من عادات، وتقاليد، في بعض البلدان التي شاهدها، أو نقلها عن غيره، وقد استعنت في بحثي هذا بالقسم المخصص للمغرب والأندلس والسودان، وحتى أوربا، وخاصة في جانب العلاقات الاقتصادية، والتبادل التجاري الحاصل بين هذه البلدان، وقد أمدني الإدريسي بإشارات غاية في الأهمية، عن شهرة كل مدينة، سواء في المنتجات الغذائية، أو ما تحويه الأرض من معادن نفيسة، وكذلك يشير إلى الكثير من الصناعات؛ والإدريسي هو الآخر ينقل عن مؤرخين وجغرافيين عاشوا في القرنين الرابع والخامس الهجريين مثل ابن حوقل وابن خرداذبة وأحمد الرازي والعذري، وهذا ما يزيد في أهمية الكتاب.

الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم توفي سنة 866هـ: وله كتاب صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، الذي نشره، ليفي بروفنسال، وبالرغم من كون المؤلف بعيدا عن الفترة نسبيا إلا أنه يحوي معلومات جغرافية تتحدث في كثير من الأحيان عن القرنين الرابع والخامس الهجريين وذلك أنه أخذ عن العذري والبكري والإدريسي، وعليه فهو يورد الكثير من الحوادث التاريخية، والأوصاف الجغرافية، ويعدد الإمكانات التجارية، فيشير إلى الطواحين المتعلقة بطحن الحبوب، والتي تعد مصدرا هاما من مصادر مادة سلعة الدقيق، تجلب إليها العديد من التجار، كما أفادنا الكتاب في التعرف على طبوغرافية الكثير من مدن الأندلس.

كتب التاريخ والحوليات:

القاضي النعمان بن محمد توفي سنة 363هـ: له كتاب **المجالس والمسايرات**، ويعد هذا الكاتب من كتاب، ومؤرخي الدولة الفاطمية الرسميين، وهو بذلك من الكتاب الذين يحملون وجهة النظر

المعادية للدولة الأموية بالأندلس، ومع تحامله في كثير من المواضع، بطبيعة العداء المستحكم بين الدولتين، إلا أنه يعطينا بعض النصوص التاريخية، المتعلقة بالعلاقات بين البلدين.

ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف توفي سنة 469هـ: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ويحوي كتاب المقتبس عدة قطع، بقي لنا منها خمسة أجزاء، كل قطعة محققة، ومنشورة بنشرات مختلفة، وما يهمنا نحن من المقتبس هو القطعة الثانية بتحقيق محمود علي مكي وهي تشمل عهدي الأمير عبد الرحمن بن الحكم ومعظم عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، أما القطعة الثالثة والتي تحوي عهد الأمير عبد الله، والتي قام بنشرها ملشور أنطونية، وتكمن مدى أهمية هذه القطعة، في كونها تذكر الفتن التي حدثت في أواخر القرن الثالث الهجري، والتي شملت معظم مناطق الأندلس، وكان تأثيرها كبيرا على الأمن التجاري، ومردودية الجباية وخزينة الدولة، وكان لها تأثيرها حتى على القرن الذي بعده، وكذلك الجهود التي بذلها الأمير عبد الله لإشاعة الأمن في البلاد؛ أما القطعة الرابعة فهي تحوي جزءا من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقام بنشرها بدرو شالميتا ، وهذه القطعة تظهر المجهودات الجبارة التي قام بها الخليفة عبد الرحمن الناصر، لإعمار الأندلس بسبب ما خربته الثورات، ويتبين ذلك من الميزانية المالية التي وفرها لأجل ذلك، أما الجزء الخامس فيحوي قطعة صغيرة، حققها عبد الرحمن علي الحجي، تشتمل على عهد الحكم المستنصر.

ولا مجال للحديث عن القيمة العلمية لهذا المصدر، فهو يزخر بمعلومات هامة عن الحياة اليومية للمجتمع الأندلسي، وقد رتب ابن حيان كتابه على طريقة الحوليات، وكان اهتمامه بالجوانب السياسية والعسكرية أكثر من غيرها، ومع ذلك لا يخلو الكتاب من إشارات إلى الجانب الاقتصادي بصفة عامة والجانب التجاري بصفة خاصة.

عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري الصنهاجي، تم نفيه في سنة **483هـ** من قبل المرابطين ويرجح أنه مات قبل نهاية القرن الخامس الهجري: **كتاب التبيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين** ، ويعد هذا الكتاب من أمهات المصادر التي تحكي جزءا من واقع الأندلس المفكك خلال القرن الخامس الهجري، حيث يروي لنا الكاتب مشاهداته، وانطباعاته الشخصية عن ذلك العصر، وهو من خلال حديثه عن تلك الوضعية، يسرد لنا الكثير من الظواهر الاجتماعية، والمالية الاقتصادية، فيحكي لنا الصراع التوسعي القائم بين ملوك الطوائف حول المناطق الزراعية، والطرق التجارية الإستراتيجية، كما يروي لنا سيطرة الطائفة اليهودية، وتغلغلها في المجتمع

الأندلسي وحصولها على أعلى المناصب في سلم المجتمع الأندلسي، الشيء الذي جعلها تتحكم في مقدرات الأندلس الاقتصادية.

ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك، عاش أواخر القرن السادس الهجري: له كتاب **تاريخ الأندلس**، وهذا الكتاب عبارة عن جزء من كتاب، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء:** وقام بتحقيقه، أحمد مختار العبادي، فيزودنا ابن الكردبوس بتاريخ مختصر للأندلس، منذ الفتح إلى غاية بداية فترة الموحدين، وقد استقى ابن الكردبوس معلوماته من كتاب ابن علقمة المتوفى سنة 509هـ(البيان الواضح والملم القادح)، وقد أمدنا بمعلومات لا تتوفر في غيره من الكتب والمصنفات، وخاصة ما جاء عن تاريخ بلنسية، والهجمات المتكررة عليها من قبل القمبيطور.

ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي، ولا تعرف سنة وفاته بالتحديد إلا أنه كان حيا **سنة 712هـ: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء، أما ما يهمنا منه، فهو الجزء الثاني، والثالث، وقام بتحقيق هذين الجزءين كل من ج،س،كولان و إ،ليفي بروفنسال، إذ يتناول الجزء الثاني، تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى غاية فترة الناصر، أما الجزء الثالث فيتناول البعض من الفترة الأموية، وعلى الأخص الحجابة العامرية وفترة ملوك الطوائف، وما يهمنا في هذا الكتاب، هو العلاقات السياسية والاقتصادية بين الأندلس وبلاد المغرب، وكذلك إشارته في كثير من الأحيان إلى سنوات الجفاف، والمجاعات التي كانت تظهر في بعض الأحيان بالأندلس، كما يشير إلى ظاهرة بيع الأسرى المسلمين من طرف اليهود في الأسواق، وخاصة في مدينة بلنسية بعد احتلالها من طرف القمبيطور، بالإضافة إلى الكثير من المعلومات، التي تخص التجارة، والاقتصاد، والتي ذكرناها في مكانها من الرسالة.

ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني توفي في سنة 776هـ: له كتاب **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام**، وما يهمنا هنا هو القسم الثالث من الكتاب الذي يضم تاريخ الأندلس السياسي، وبالأحرى تاريخ من حكم الأندلس، من الولاة، والأمراء، والخلفاء، والملوك، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب كل من، أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، وتبرز فائدة الكتاب في كونه ينقل من مصادر عايشت الفترة قيد الدراسة، ولكنها أصبحت الآن في حكم المفقود، ككتب الرازي، وكتب ابن حيان كالمتين،

أما مدى استفادتنا من الكتاب، فتكمن في التأريخ لفترة الناصر وما بعدها، وكذلك يعطينا الكتاب، الحال الذي كانت تشهده الأندلس من فوضى سياسية، خاصة في فترة ملوك الطوائف، وآثار ذلك على الفرد والمجتمع، ثم جميع مناحي الحياة وخاصة الاقتصادية منها.

المقري أبو العباس أحمد توفي سنة 1041هـ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، فهذا المؤلف وإن كان بعيدا عن الفترة قيد الدراسة، إلا أنه ذكر الكثير من التراجم، والأحداث التاريخية والاقتصادية، التي تعنينا، وهو ينقل عن مصادر تاريخية، وجغرافية، وأدبية، قد ضاعت، تخص موضوع بحثنا، وكتاب نفح الطيب، عبارة عن تاريخ أدبي تراجمي، يشتمل على جزءين، أرخ في الجزء الأول منهما للأندلس، وجغرافيتها، وأخبارها، وعلمائها، وأدبائها، وقد جمع في هذا الجزء الكثير من المادة التاريخية التي تمس موضوعنا هذا، فهو كثيرا ما يشير إلى مدن الأندلس، وأقاليمها، وأسواقها، والطرق التجارية بها، كما يشير إلى المحاصيل الزراعية، وأهم السلع الصادرة والواردة، والضرائب المحصلة من مختلف كور وأقاليم الأندلس، وما تشتهر به كل منطقة، أما الجزء الثاني، فهو يخص الترجمة للوزير لسان الدين بن الخطيب ويعتبر الجزء الأول مقدمة للجزء، وعلى هذا فالكتاب عبارة عن موسوعة كبيرة في التعريف بحضارة الأندلس.

كتب التراجم والطبقات:

الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث القروي توفي سنة 361هـ: له كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، وقد نشره جوليان ريبيرا، وهذا الكتاب هو الآخر من كتب التراجم، التي تخصصت في ذكر القضاة، وخاصة قضاة مدينة معينة، وهي العاصمة الأندلسية قرطبة، فهو يذكر أهم المراحل التي مر بها القضاة في حياتهم المهنية، كما أنه يذكر نبذا من حياتهم الخاصة، وفي هذا قد يشير إلى الجانب الآخر من حياتهم، وهو جانب الثروة، بحيث أن الكثير منهم كان لهم مصدر رزق آخر من التجارة، أو الزراعة، بالموازاة مع العمل الرسمي في القضاء.

ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، توفي سنة 403هـ: له كتاب تاريخ علماء الأندلس أو(تاريخ العلم والرواة للعلم بالأندلس): وهذا المصنف هو الآخر يعتبر من التراجم، التي تحوي التعريف بالكثير من الشخصيات المتقدمة أو المعاصرة للمؤلف،

وتكمن فائدة الكتاب في كونه يشير في بعض المواضع إلى العمال، وأهل الحسبة، والعلماء التجار بالأندلس، ورحلاتهم إلى باقي المناطق الأندلسية أو خارجها.

الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الازدي توفي سنة 422هـ: له كتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: وهذا الكتاب يعتبر من بين أهم كتب التراجم الأندلسية، التي ألفت في تلك الفترة، فهو يبدأ بالترجمة لأمراء الأندلس، ثم بعد ذلك يترجم للعلماء، والأدباء، وباقي الأعيان من الأندلس، أو الوافدين إليها، وقد أفادنا هذا الكتاب، في الترجمة لبعض الأعلام الواردة في متن الرسالة.

ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني توفي سنة 542هـ: وله كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: وهذا الكتاب هو عبارة عن تاريخ تراجمي لمجموعة من الأدباء الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري، وهو يعتمد في تصنيفه للتراجم على المدن والكور، كما انه يذكر بالإضافة إلى ذلك، التاريخ السياسي، والأمني لملوك الطوائف في القرن الخامس، ويشير إلى الكثير من المسائل التي تتعلق بالاقتصاد الأندلسي كمقدار الضرائب المحصلة من أقاليم الأندلس، وهو في هذا يروي ما شاهده بنفسه، كما أنه ينقل عن مصادر تاريخية وأدبية معاصرة للفترة، ومنها ما أصبح في حكم المفقود وخاصة كتاب المتين لابن حيان، فالكتاب طافح بالنصوص من كتاب المتين الكبير.

القاضي عياض أبو الفضل اليحصبى (476-544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: وهذا الكتاب يترجم بصفة خاصة لعلماء المالكية، سواء بالمغرب والأندلس، أو بالمشرق الإسلامي، وهو في ترجمته كثيرا ما يشير إلى العلاقات القائمة بين الدولة المروانية بالأندلس، والفاطمية بالمغرب، سواء في مجال السياسة أو العلاقات التجارية، كما يشير إلى موقف العلماء المالكية من المذهب الشيعي في القيروان، وهو يتميز بهذا عن غيره من كتب التراجم، حيث يشير إلى موقف العلماء المالكية من المد الشيعي بالمغرب، ويعطينا قائمة بأهم علماء المالكية المهاجرين إلى الأندلس، خوفا من المد الفاطمي الشيعي بالمغرب، وبالإضافة إلى هذا، فإنه يعرفنا بالكثير من الشخصيات التي ترجمنا لها في هامش الرسالة.

ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الله بن موسى توفي سنة 578هـ: له كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ويعد كتاب الصلة من أهم كتب التراجم، التي اهتمت بالتأريخ للشخصيات

الأندلسية، فهو في هذا الكتاب قد ترجم لكثير من علماء، وأعيان زمانه، وشيوخه الذين عاصرهم، وأخذ عنهم خلال القرن الخامس الهجري، ومن هنا تكمن أهمية الكتاب، في كونه أخذ عن مصادر معاصرة للفترة قيد الدراسة، كابن الفرضي، والحميدي؛ أما مدى استفادتنا من الكتاب فتكمن في كونه يشير الكثير من التجار العلماء، الذين جمعوا بين طلب العلم وممارسة التجارة، كما أنه يشير إلى التجار العلماء الوافدين إلى الأندلس، سواء من المغرب، أو من المشرق، كما أنه يهتم بالكثير من العلماء الذين تولوا مناصب إدارية تمس جانب التجارة، وعلى رأسها خطة السوق، و الحسبة .

الضبي احمد بن يحيى توفي سنة 599هـ: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،وهو كتاب يختص هو الآخر بذكر سير العلماء والأعيان من أهل القلم، ولذلك فهو يشير إلى هجرة العلماء، وتنقلهم أيام الفتن بين مختلف مدن الأندلس، وحتى إلى خارجها، وكذلك يشير إلى الوضع الأمني المضطرب، ويظهر هذا خاصة، في إشارته إلى وفاة العلماء، وأسباب ذلك من قتل واضطهاد وغيره؛ و قد استفدنا من الكتاب في الترجمة والتعريف ببعض الشخصيات التي كانت لها علاقة بهذا الموضوع.

كتب الفقه والنوازل:

ابن سهل أبو الاصبغ عيسى الجياني توفي سنة 486هـ: ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، فهو يشير إلى الخلافات القائمة حول كراء وسائل النقل التجارية، وما يترتب عن ذلك من شروط وقوانين، كما أنه يعطينا لمحة عن بعض المعاملات، والبيوع الفاسدة التي تفشت في المجتمع الأندلسي، ويحاول إعطاء الحل السليم لذلك، كما أنه يشير إلى كثير من الخلافات بين المسلمين والنصارى فيما يخص بعض المعاملات التجارية، وهو بهذا يعطينا صورة حية عن واقع المجتمع الأندلسي المعاش في تلك الفترة.

ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المالكي توفي سنة 520هـ: له كتاب في النوازل، وهو فتاوى ابن رشد، والكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء، قام بتحقيقه المختار بن أحمد التليلي، ويعد هذا الكتاب من بين أهم المصنفات المؤلفة، والتي تمس جانبا كبيرا من حياة الناس في ذلك العصر، فهو يحكي بطريقة واقعية المشاكل التي كانت في تلك الفترة، خاصة وأن المؤلف يعتبر معاصرا

لفترة ملوك الطوائف بالأندلس، وقد استفدنا كثيرا من هذا الكتاب لأنه أمدنا بمعلومات حية عن الفترة المدروسة، وخاصة الجزء الثالث منه.

الونشريسي أحمد بن يحي توفي سنة 913هـ: له كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب: وهذا الكتاب يجمع الكثير من النوازل الحادثة، سواء في زمانه أو في الفترات المتقدمة عنه، وهو بذلك مهم نظرا لاشتماله على بعض الفتاوى والنوازل التي تمس الفترة قيد الدراسة، فهو قد نقل لنا أحداثا قد عايشها فقهاء محليون، أسهموا بآرائهم الفقهية الاجتهادية، لوضع الحلول لبعض المسائل المستجدة، المصطبغة بالصبغة المحلية الأندلسية في تلك الفترة، فقد نقل الونشريسي الكثير من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في مصنفه، بذكره للسلع من ملبوسات، وأطعمة، ومحصولات مختلفة، وكذلك تطرق إلى العلاقات القائمة بين أهل الذمة والمسلمين بالأندلس، ويهمنا من كتاب الونشريسي المجلدين الخامس والسادس.

كتب الحسبة:

تمثل كتب الحسبة مصدرا هاما وأساسيا لموضوع التجارة بالأندلس، إذ تتوفر بها معلومات هامة، وضافية عن النشاط التجاري ومختلف الصنائع الحرفية، فكتب الحسبة عبارة عن ترجمة لواقع كان يعيشه ويشاهده عامل الحسبة عن كثب في الأسواق، والمدن بصفة عامة، فهو يشاهد الخلافات، وسوء المعاملات في البيع والشراء بداخل الأسواق ويحاول الاجتهاد في الأحكام الشرعية، ليستخرج القوانين التي تتماشى مع واقع الأندلس في تلك الفترة، ورفع الخلافات وتحقيق الأمن بداخل الأسواق، ومن أهم هذه الكتب، هذا رسالة **يحي بن عمر الأندلسي: في أحكام السوق،** والتي لا يستغني عنها الدارس للاقتصاد والتجارة الأندلسيين، وهناك ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، فالرسالة الأولى **لابن عبد الرءوف أحمد بن عبد الله القرطبي توفي سنة 242هـ:** وله كتاب **آداب الحسبة والمحتسب،** أما الرسالة الثانية فهي **لابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي،** وتحمل عنوان:**رسالة في القضاء الحسبة،** أما الرسالة الثالثة **فهي للجرسيقي عمر بن عثمان بن العباس، رسالة في الحسبة،** وكل هذه الرسائل لا يستغني عنها الباحث في موضوع التجارة لكونها تعطينا مادة علمية حية كان يعيشها الصاحب السوق.

الدراسات الحديثة :

ومن اهم الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع نذكر على رأسها، الدراسة التي قامت بها **أوليفا ريمي كونستابل**، وهي **التجارة والتجار بالأندلس**، وفي مقالها المعنون بـ:**التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية**، وتعتبر هاتان الدراستان من بين أهم الدراسات الحديثة عن تاريخ النشاط التجاري بالأندلس، فقد اعتمدت المؤلفة على وثائق الجنيزا اليهودية بالقاهرة، وقد اعتمدت عليها اعتمادا خاصا، نظرا لندرة الدراسات في هذا الموضوع، فاستفدت منها في جانب العلاقات التجارية بين الأندلس وغيرها من المناطق،وتطرقتْ إلى أهم السلع الداخلة إلى الأندلس والصادرة منها، خاصة وان المؤلفة تركز على جانب التجارة الخارجية، ومكانة الأندلس من ذلك.

أما الكتاب الثاني فهو لكمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، فقد عالج كمال السيد جانب التجارة معتمدا على مصادر مخطوطة وكتب نادرة ككتب الفلاحة الأندلسية، وهو الآخر قد جاءنا بمعلومات قيمة بالنسبة للتجارة الأندلسية، فرغم أنه تناول الفترة التالية إلا أن المصادر التي اعتمد عليها تكاد تكون من فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين.

أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 م–1100م)، ترجمه أحمد محمد عيسى، ويعتبر هذا الكتاب من بين أهم المراجع الأجنبية التي عالجت الموضوع، وتكمن استفادتنا منه، في كونه يعطينا صورة واضحة عن تطور العلاقات بين مختلف دول البحر المتوسط في هذه الفترة التي حددها وما يهمنا هنا هو العلاقات بين الأندلس ودويلات أوربا آنذاك، فقد ذكر المراحل والتطورات التي مرت بها التجارة البحرية الأندلسية، وعلاقاتها التجارية الخارجية.

خالد بن عبد الكريم حمود البكر: النشاط الاقتصادي في عصر الإمارة، وهذا الكتاب يعتبر من بين أهم الدراسات العربية الأكاديمية الحديثة التي عالجت موضوع الاقتصاد بالأندلس، ورغم كون المؤلف عالج أوضاع فترة الإمارة الأموية، إلا أنه لا يخلو من فائدة بالنسبة لموضوعنا، إذ تناول

هو الآخر النشاط التجاري وما يتعلق به من أسواق، وسلع، ومتاجر، ونقود وغيرها، فتلك الفترة تعتبر كمدخل لموضوع دراستنا.

وللحبيب الجنحاني عدة دراسات في الجانب الاقتصادي عامة، وخاصة ما تعلق منها بالمغرب الإسلامي، ومنها كتاب، **دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الإسلامي**، وكذلك الدراسة الأخرى بعنوان: **المغرب الإسلامي- الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال(ق3-4 هـ /9-10م)**، ومقال بعنوان: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر**، وهو يتناول في هذه الكتب موضوع الاقتصاد عامة، ولا تخلوا كتبه من إشارات إلى موضوع التجارة في المغرب والأندلس، والعلاقات القائمة بين المنطقتين في مجال التبادل التجاري.

كما أننا اعتمدنا على مرجع هام في التاريخ الاقتصادي، وهو كتاب، **لعز الدين عمر موسى بعنوان: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجريين**، وهو يتناول جانب التجارة، وتأثرها بالحروب، والوضع الأمني، وتوالي الدويلات على الأندلس.

وبالإضافة إلى هذه المصادر والمراجع الأساسية، هناك الكثير من الكتب والدراسات الأخرى التي تناولت الموضوع، لا تقل أهمية عن هذه المصادر والدراسات التي ذكرناها، أثبتناها في مكانها من الرسالة، وهي موجودة في القائمة البيبليوغرافية لمن أراد الاطلاع عليها.



مدخل:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأندلس

خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

المدخل:

عاشت الأندلس خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، جوا مليئا بالاضطرابات والفوضى، وخاصة مع بداية النصف الثاني منه، فهناك الكثير من الأسباب التي جعلت الوضع السياسي، ومن ثمة الوضع الاقتصادي يعرف تراجعا كبيرا، فظهور المجاعات بسبب نقص الإنتاج الفلاحي أدى إلى الكثير من المشاكل والأزمات، فقد كانت سنوات الكوارث الطبيعية دورية، وكان تأثيرها واضحا في الحياة العامة[1]، فكانت المجاعة في الأندلس التي شبهت بمجاعة سنة ستين أي 260هـ/873م[2]، ثم تلتها مجاعة سنة285هـ/896م، والتي وصفت بالشدة فغلت فيها الحنطة(القمح)، وارتفع سعرها، فأجحفت بالناس، واشتهرت هذه السنة بين الناس[3]، ثم جاءت سنة297هـ/909م التي شهدت مجاعة شديدة عمت جميع ربوع الأندلس، ومات بها أكثر الخلق، وعبر كثير منهم البحر إلى أرض العدوة، وهذه السنة تعرف بسنة جوع جيان[4].

فالزراعة قوة الإنتاج الرئيسية بالأندلس، عانت الكثير من التدهور، نتيجة الظروف الطبيعية وبقاء وسائل الإنتاج البسيطة والبدائية، ما أنتج ندرة في السلع، وارتفاع في السعر، وبالتالي انتشار كبير المجاعات، وبديهي أن تبقى الصناعة تابعة للعجز الزراعي السائد في الأندلس[5]، وكان من نتائج هذه المجاعات، بالإضافة إلى أسباب أخرى، ظهور الثورات، وتزايد عدد الخارجين بالأندلس، فتدهورت طرق التجارة الداخلية نتيجة هذه الحروب مما أدى إلى تقلص الأسواق، وانحطاط مستوى التجارة الداخلية، بينما تدهورت التجارة الخارجية نتيجة ضعف البحرية الأندلسية.

فكانت السمة البارزة التي يذكرها الكثير من المؤرخين عن الثورات القائمة بالأندلس خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، هي جري هؤلاء الثوار وراء النهب، وجمع

---

[1] ابن حيان ابو مروان القرطبي: المقتبس، اعتني بنشره بدرو شالميتا، ضبط وتحقيق، ف كورينطي، وم صبح، وغيرهم، المعهد الاسباني العربي، كلية الاداب بالرباط، مدريد1979، ص383، ص476، الحبيب الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر، من خلال مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، العدد29، السنة 11، مارس 1984، ص348-349.

[2] ابن حيان: نفسه، ص109.

[3] ابن حيان: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر، ملشور م أنطونية، نشر بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937، ص127.

[4] نفسه: ص146.

[5] إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، دار سيناء للنشر، القاهرة، ط1، 1995، ص52-53.

المغانم من الرعية، فالظاهر أنه لم تكن لهم مبادئ واضحة، ومخطط لها بداية للخروج عن السلطة المركزية، وبهذا يتضح أن أسباب هذه الثورات كان أساسها، ومحركها هو الجانب الاجتماعي، فيذكر ابن حيان "أن بعض الثوار شنوا الغارات بناحية جيان فأصابوا الدواب والبقر والمواشي، فأثقلوا وانضووا إلى حصن حريسة بالغنائم"[1]، ويضيف الرازي أن سعيد بن هذيل، وعمر بن حفصون[2]، وسعيد بن وليد بن مستنة، واجتمعوا ثلاثتهم في عسكر ضخم ضمهم، فشنوا الغارة إلى باب حاضرة جيان، واستاقوا مالا يحاط به من أموال الرعية[3].

فضغط الثورات من جهة، وأخذ الثوار لأموال الرعية، وعجز السلطة المركزية من جهة ثانية في حماية الناس وإخماد هذه الانتفاضات، بالإضافة إلى ظهور سنوات القحط والمجاعة بصفة دورية ومتقاربة، كل هذا أدى إلى تلاحق الثورات[4]، فانتقضت كورة شذونة على السلطان، وبتأييد من أهلها، فاتصلت شرارة ثورتها بكورة الجزيرة، ورية، ولبلة[5]، واضطربت البلاد، وازداد السلطان عجزا لاتساع هذه الثورات وتلاحقها.

وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة بين اليمانية، والمضرية فاتخذوا الحصون، والمعاقل المنيعة، وأذلوا البسائط والسهول الغنية والخصبة الصالحة للزراعة[6]؛ وقام بنو هابل الأربعة ببعض حصون جيان في أيام الأمير عبد الله، وأفحشوا العناد وأدوا الإتاوة على تمريض في الطاعة[7]؛ وكانت ثورات أهل شرق الأندلس المستمرة منذ سنة238هـ/852م، كما ثارت النواحي الغربية في ماردة[8]، وبطليوس

---

1 ابن حيان: المقتبس، نشر ملشور، المصدر السابق، ص145.

2 عمر ابن حفصون: عمر با حفص المعروف بابن حفصون كان من الخوارج القائمين قبل سنة275هـ/888م وكان جلدا شجاعا أتعب السلاطين وطال امره لأنه يتحصن بقلعة ببشتر وقد ألفت بالأندلس في اخباره وحروبه تواريخ مختلفة . الحميدي أبو محمد الازدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس' تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997 ، ص 268 ترجمة 687.

3 ابن حيان: نفس المصدر، ص25-26.

4 إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق ، ص95.

5 لبلة Niebla: وهي مدينة قديمة في غرب الاندلس تبعد عن اشبيلية بمرحلتان، وكانت تعرف بالحمراء وبها أسواق وتجارات تبعد عن البحر المحيط ب6 اميال وكانت جبايتها 15900 دينار. الحميري عبد المنعم: صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر وتصحيح وتعليق أ- ليفي بروفنسال، القاهر،1937، ص 168- 16.

6 ابن حيان: نفس المصدر، ص52.

7 ابن حيان: المقتبس، نشر ملشور، المصدر السابق، ص27-28.

8 ماردة Marida: مدينة بجوفي قرطبة منحرفة الى الغرب قليلا تبعد عن بطليوس ب20 ميلا، وكان ينزلها الملوك الاوائل فكثرت بها آثارهم وقد اشتهرت بالرخام. الحميري: المصدر السابق، ص175–177.

سنة254هـ/868م، وكان أغلب هذه الثورات في حصون أقطعتها لهم الإمارة من أرض الصوافي[1]، مثل عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وخير بن شاكر، وأسكن الأمير محمد القواد المولدين قرطبة، إلا أن عبد الرحمن بن مروان الجليقي، هرب وتحصن في قلعة في ريف ماردة، واتفق مع الأمير محمد على النزول بقرية بمدينة بطليوس، وما حولها على أن يعفيه الأمير من المغارم والمكوس[2]، وقامت في الثغر الأعلى بسرقسطة[3]، وما حولها ثورات بني قسي سنة246هـ/860م، واستمر الوضع مضطربا الى سنة260هـ873م، بل الى نهاية هذا القرن[4].

وكان لهذه الأوضاع آثار اقتصادية سلبية كبيرة فظهرت الهجرة الجماعية الإجبارية من القرى والأرياف، وبذلك ترك العمل في الزراعة، والصناعات والحرف المختلفة، لنقص المواد الأولية، ونقص الأموال اللازمة للقيام بأي نشاط اقتصادي، ويلتحق بهذا كله العمل بالتجارة في المدن، فالظلم والعدوان على الناس في أموالهم، ذاهب بآمالهم في تحصيلها و اكتسابها، وهذا ما يؤدي إلى خراب العمران على حد تعبير ابن خلدون[5].

فيلاحظ في ميدان ضرب العملة مثلا، أن الأندلس لم تكن لها إلى نهاية القرن3هـ/9م إلا عملة فضية، وكانت العملة الذهبية المتداولة عهدئذ في أسواق الأندلس مشرقية، استعملت بالخصوص في شراء العبيد الصقالبة، الذين كانوا يصدرون إلى المشرق الإسلامي[6].

فكان بذلك للوضع السائد آنذاك في الأندلس، تأثيرا كبيرا على عملية سير النشاط التجاري، وخاصة في فترة الأمير محمد(238-273هـ/861-886م)، فقد فشل هذا الأخير

---

[1] أرض الصوافي وهي كل أرض لم يكن لها مالك عند الفتح، فاعتبرت فيئا للمقاتلة ابتداءا، ويدخل ضمن هذا المفهوم، أراضي الاسر الحاكمة، والنبلاء، وأراضي من قتل، أوهرب في الحرب، إضافة الى أراضي البريد. غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، الممارسات والنظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1997، ص295.

[2] ابن حيان: كتاب المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق وتقديم وتعليق، محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1973، ص320.

[3] سرقسطة Saragosa: وهي في ثغر شرق الاندلس وهي المدينة البيضاء، أعظم مدائن ثغر الاندلس، هي على النهر الاعظم المسمى بوادي ابره. الزهري محمد بن ابي بكر: كتاب الجغرافية، تحقيق، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، ص81-82 .

[4] ابن القوطية أبوبكرمحمد بن عمر: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص111-112.

[5] ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2001، ص353وما بعدها.

[6] الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الاسلامي. دار الطليعة بيروت ط.1980، ص89، ونحن ذكرنا العملة كمثال لأنه بها نستطيع معرفة مدى قدرة الدولة المنافسة التجارية .

في سياسته الإدارية والاقتصادية جملة، وكان لهذا تأثير كبير على التجارة، فقد فشل في استلاف الرعية، والسرعة في رفع الظلم عنها، رغم ما عرف عنه من حزم في الأمور المالية، ومعرفته بعمال الإدارة، فتعددت الشكاوى ضد العمال والوزراء، من ذلك ما قاله الأمير محمد عن هاشم بن عبد العزيز وزيره:" ليس من شيمتنا الإسراع، ولو كان، لكنت أول طائح، بما قد بدا من تناصر السعايات عليك"، والملاحظ من خلال هذه العبارة التهاون الواضح في حق الرعية، وهذا ما سيكون له أثره السلبي فيما بعد على الوضع الأمني بالأندلس، وفعلا ما لبثت إلا فترة، حتى اشتعلت الثورات، وتُعُدي على أملاك الرعية وأرزاقها[1].

ثم تولى الأمير المنذر بن محمد (273-275هـ/886-888م) وكانت الأندلس عند وفاته " قد خرقت بها الهيبة، وزال عنها ستر الحرمة، واستقبل ابنه المنذر... نيران الفتنة"[2]؛ فرغم ما أظهره الأمير من إصلاحات اقتصادية بشأن الرعية، من إسقاط لعشور السنة عن أهل قرطبة، واسترجاع الأملاك التي اغتصبها الوزير هاشم بن عبد العزيز لأصحابها[3]، إلا أن هذا لم يكن كافيا لاستقرار الوضع الأمني والاقتصادي للمنطقة.

ثم بويع الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م)، وكانت له مزايا جعلته محببا لدى الناس، فكان مقتصدا يظهر ذلك في ملبسه وشكله، منكرا للسرف، مبعدا لأهله، قويا على ذوي الظلم والجور، وكان يعقد أحيانا على أبواب قصره مجلسا في أيام معلومة فترفع إليه المظالم، وتصل إليه كتب الشكاوى[4].

وكان الأمير عبد الله يبسط يده بالصدقات على الفقراء، وأهل الحاجة، ويسهم من مال الجبايات إذا وردت عليه، فلابد سهما يأمر بإخراجه، وتفرقته على كل صنف من الضعفاء والمساكين، شكرا لله واستزادة من بركة المال[5]، ورغم هذا فقد واجه الأمير عبد الله ظروفا صعبة، لتمزق الأندلس بالثورات، ونقص وارد بيت المال من الجبايات لإخمادها،

---

1 ابن حيان: تحقيق، علي مكي، المصدر السابق، ص148-393.
2 ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، تحقيق وتعليق، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964، ج1/ص153.
3 ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج.س.كولان، إ.ليفي.بروفينسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج2/ص120.
4 ابن عذارى: المصدر السابق، ج2/ص153، ابن حيان: المصدر السابق، تحقيق، علي مكي، ص195-200.
5 ابن حيان: المصدر السابق، نشر ملشور، ص33-34.

فلم يكن منه إلا أن قام بتوفير ما في يده من أموال المسلمين حيطة عليها، بعد أن هلكت الجبايات، باشتداد شوكة الثوار عليه في كل ناحية[1].

فلم يكن له شغل كبير بالوضع الاقتصادي، إلا إخماد تلك الفتن، واستعادة الوضع الأمني، وقد وصف ابن عذارى الأندلس في عصره بقوله:" وأفضت الخلافة إليه وقد تحيفها النكث، ومزقها الشقاق، والفتنة مستولية، والقلوب مختلفة، والشر قد اشتهر وتألب على أهل الإسلام، أهل الشرك، ومن ظاهرهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيفهم على أهل الإسلام، وقد انقطع الحرث في زمانه، وكاد ينقطع النسل، وانقطع الجهاد إلى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المحفوف"[2].

وقد زادت هذه الثورات في تفاقم الأزمات الاقتصادية، إذ استمرت قرابة نصف قرن، فكانت هذه الحركات المناهضة تسعى جاهدة إلى تحطيم أي نشاط تجاري للدولة المركزية، ومحاولة ضرب الشريان الرئيسي للخصم في الصميم، وكذلك للاستحواذ على مغنم ومكسب مالي تتقوى به؛ فكانوا يستهدفون التجار، والمزارعين، والمسالك التجارية الداخلية، وهذا ما يجعل التجار ينقبضون عن العمل، للخوف اللاحق بهم من طرف قطاع الطرق.

وبذلك تعطلت التجارة، وقلت السلع في الأسواق، وارتفعت أسعارها، وقلت الحركة التجارية بالمدن المارة بها الطرق التجارية، والتي كان كسبها متوقفا على النشاط التجاري، وتستثنى من كل هذا تجارة السلطان التي تجد من يحميه، فأرهقت خزائن الأمراء برواتب الجند وأعطياتهم وإقطاعاتهم بسبب الثورات، كما انقبض الناس عن مزاولة نشاطاتهم التجارية، لنقص الحماية والأمن إلا القليل منهم، وخربت المزارع، والمناجم، وكسدت التجارة، وتهددت الطرق بالأخطار[3].

ولكن رغم كل هذا فإن الأمير عبد الله، واصل مقاتلة ومجابهة الثائرين بكل مكان، دون ملل أو تعب، فضرب بعضهم ببعض بما توفر لديه من مال، ويعود للأمير المنذر،

---

[1] مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها، تحقيق وتعليق،اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص174.
[2] ابن عذارى: نفس المصدر، ج2/ص121.
[3] محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976، ص203.

والأمير عبد الله جزءا كبيرا من الفضل في استقرار، وازدهار النشاط التجاري الذي سيشهده عصر الناصر في القرن4هـ/10م.

وتولى الناصر الأموي الإمارة، والثورات محدقة بالأندلس من كل جانب، فقد عظُم الشقاق، وكان الناصر موقنا من انه لا يتم له أي إصلاح اجتماعي، ولا اقتصادي، ولا سياسي، من دون القضاء على الثوار المنتزين في أطراف الأندلس، والذين كانوا يهددون الأمن الداخلي للأندلس، وواردات الدولة الاقتصادية، فجزءا هاما من الضرائب كان محبوسا لدى هؤلاء الثوار، فمن دون أمن، ولا ضرائب، لا يتم أي نمو، ولا استقرار حضاري للمنطقة.

ولكنه عرف مكمن الداء، وهو النظام الأمني، والضرائبي، فقد عارضت الرعية جميع أنواع المكوس التي تتجاوز ما جاء به الكتاب والسنة[1]، فقام الناصر بتحبيب الناس إليه بتخفيف المغارم سواء على التجار أو المزارعين، وكان نتيجة لذلك أن بايعته الرعية رضا واغتباطا، وبوجوه متهللة، وصدور منشرحة، وألسنة داعية شاكرة[2]، وكانت حالة الرعية في هذه الظروف مغتبطة بحيث، تحصلوا على ما أرادوه من الحرية في الوظائف، والإعفاء من النوائب، والقبالات، والإنزال في الدور، وأصبح لا يؤخذ منهم غير الزكاة، على السنة المعلومة[3].

فأصبحت السلطة المركزية تحاول كسب وتأييد الرعية باتخاذ إجراءات لفائدتها، من ذلك أن" جيش الناصر لما دخل مستوليا على إشبيلية[4] سنة301هـ/913 م، كان الهاتف "معلنا" بأمان الناس جميعا، وبسط العدل لهم، واسترجعوا كل مغصوب منهم، فسر الناس جميعا، وسكنت نفوسهم، وأقبلوا على شأنهم[5].

---

1 الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس، المرجع السابق، ص350.

2 ابن الخطيب لسان الدين السلماني: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص33، ابن عذارى: المصدر السابق، ج2/ص157-158.

3 ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا، المصدر السابق، ص322، الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص350،.

4 اشبيلية Séville : وهي تعني المدينة المنبسطة وهي غرب من قرطبة على النهر الأعظم و استقربت من البحر ولها جبل الشرف وكانت قديما مقرا لملوك اسبانيا. العذري احمد بن عمر الدلائي: نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع المسالك، تحقيق، عبد العزيز الأهواني، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، 1965، ص95.

5 ابن حيان: نفس المصدر، ص79، الجنحاني: نفس المرجع، ص354.

وجعل الناصر همه، إعادة السلطة والهيبة إلى قرطبة، وتشجيع العمل التجاري، وكانت السنوات الأولى من توليه الإمارة بمثابة سنوات المخاض، والمرحلة الانتقالية، لعهد الخلافة، فتوقفت معظم الثورات، واستسلم أصحابها، وعاد الهدوء والأمان للدولة الواسعة، واستنزل الناصر الجند المنتزي، فألجأ أكابر الأجناد، ووجوه القواد من العرب وغيرهم إلى الخضوع له، والوقوف عند أمره ونهيه[1]، كما حدث هذا مع معظم المنتزين مثل ابن حفصون، وموسى بن ذي النون، و بني حجاج، ولخص ابن حيان هذا الوضع بقوله:"فأزعجوا جميعا إلى الجماعة، تحت جناح الخليفة كما يعود الناس أمة واحدة ساكنة، مرؤوسة غير رئيسة، محكوما عليها غير حاكمة، ونزع من أصحاب الاقتطاعات أراضيهم، ومزاياهم السابقة، وأوكل الأمور إلى رجال دولته"[2].

وهذا الاستقرار السياسي أعاد موارد الدولة الاقتصادية، فتوفرت بالتدريج القوة المالية فبلغت درجة كبيرة، ساعدت على ازدهار ونشاط الحركة التجارية بالأندلس، وفرض الناصر بذلك نظام جبائي دوري، أعاد توزيع الأموال والملكيات إلى أهلها، وخفف الضرائب على التجار، وأمّن السبل والطرق التجارية[3]، وعاد بذلك النشاط الزراعي، والصناعي للأندلس حتى عرفت فائضا في الكثير من السلع، وكان لازدهار الزراعة والصناعة[4] بالأندلس أكبر الأثر في نشاط الحركة التجارية في داخل الأندلس وخارجه، خاصة وأن المجتمع الأندلسي كان مجتمعا زراعيا قبل كل شيء، يعتمد في حياته على الأرض والزراعة، ومن ثم تأتي التجارة والصناعة، لتكملا ما تعجز الزراعة عن سده من

---

[1] مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص176-177.

[2] ابن حيان: نفس المصدر، ص220.

[3] يحي أبوالمعاطي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس(238-488هـ/852-1093م)، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة القاهرة، 2000.

[4] ويقول الجنحاني أن قضية الفلاحة المغربية في العصر الوسيط مرتبطة بالتجارة ارتباط وثيق، وذلك أنه برزت سمة مميزة للاقتصاد المغربي ابتداء من القرن3هـ/9م تتمثل في تلك الثنائية الاقتصادية الفلاحة والتجارة وأصبحت بذلك كثيرا من المواد الفلاحية بضائع أساسية في قائمة التبادل التجاري، مثل الحبوب والزيوت والتين والزبيب وقصب السكر وغيرها. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية(ق 3-4هـ/9-10م)، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص34-35.

حاجات السكان[1]، فنشطت حركة الصادر والوارد عبر شبكة الطرق التجارية البرية والنهرية و البحرية[2].

شعر المسلمون في الأندلس أن لديهم جميع ما يحتاجون إليه من مقومات التجارة الخارجية[3]، ومن ثمة فتحوا الباب واسعا لتصدير وجلب السلع والمواد الأولية الهامة اللازمة لبناء اقتصاد قوي، يقوم على إمكاناتهم البحرية[4].

أما في المجال الخارجي فيلاحظ أن التجارة في القرن الثالث، كانت هي الأخرى متدهورة ومتذبذبة، فبالرغم من وجود بعض العلاقات التجارية بين مدن البحر المتوسط، إلا أنها لم تنشط نشاطا كبيرا، فأسست الجاليات الأندلسية بعض المحطات التجارية، على طول الساحل المغربي في أواخر القرن3هـ/9م، وأخذ الأندلسيون يتدفقون فيما بعد على هذه المراكز للتجارة والاستقرار[5]، كما بدأت تظهر العلاقات التجارية، بين مدينتي ناربون، ومرسيليا خاصة في أواخرالقرن3هـ/9م، واللتان تزعمتا نشاط التجارة الساحلية المتجهة نحو الأندلس، وخاصة تجارة الرقيق، وذلك مقابل مواد أندلسية كالجلود[6].

ولكن يظهر أن هذا التبادل كان ضعيفا، لوجود الأخطار، والاعتداءات البحرية، خاصة إذا علمنا أن البحرية الأندلسية لم تكن بالتطور الذي شهده القرن الرابع الهجري، ويؤكد ذلك حسين مؤنس قائلا:"ونتيجة لهذا فقد توقفت كل ألوان التبادل التجاري عن طريق الموانئ البحرية بين الأندلس، وبلاد الفرنجة، وكان هذا نتيجة حتمية لأعمال القرصنة المتبادلة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، من منتصف القرن التاسع الميلادي، الثالث

[1] صلاح خالص: اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص37.

[2] محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص274.

[3] كان أصحاب التجارة الدولية يوصفون بكلمة "تجار" وهي الكلمة العربية الأكثر انتشارا، وقد تشير الكلمة إلى رجال يعملون في أنشطة تجارية مختلفة تشمل التجارة المحلية البسيطة، لكنها أكثر ما تطلق على تجار يعملون في تجارة مع اسقاع بعيدة وعلى نطاق واسع ، وإن معظم الحقائق عن التجار المسلمين الناشطين في تجارة الأندلس الخارجية تصف أناسا يقعون في صنف "الركاض" أو التاجر الرحال، اوليفا ريمي كونستابل: التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية، كتاب، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير، سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ص1067.

[4] أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500م– 1100م)، ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص249.

[5] محمد سهيل طقوس: تاريخ المسلمين في الأندلس(91-892هـ/710-1492م)، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص321.

[6] محمد حناوي: جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن10م، عن كتاب الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، جمع، محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الهلال للطباعة والنشر الرباط، ط1 ،1995، ص157.

الهجري إلى منتصف القرن العاشر الميلادي، الرابع الهجري[1]، ولم تبدأ الانطلاقة الفعلية للأسطول البحري(العسكري والتجاري) الأندلسي إلا بعد التقرير الذي قدمه يحي الغزال[2] بعد عودته من رحلته في بحر الشمال، إذ أدركت السلطات الأندلسية بعد دراسة تقرير الغزال ضرورة مواجهة سفن النورمان في عرض البحر قبل الهجوم المفاجئ على أرض الأندلس وإفساد غاراتهم المخربة[3].

كما أن العلاقات التجارية الأندلسية لم تكن واضحة في ظل هذه الظروف، فيذكر حناوي أن مرحلة ما قبل القرن4هـ/10م اتسمت عادة بالاضطرابات العسكرية، وبعدم الاستقرار في جل أنحاء المتوسط ويصعب الحديث عن علاقات اقتصادية في ظل الصراعات العسكرية والسياسية[4].

وعلى الجملة فقد تعامل الأندلسيون في نطاق ضيق جدا مع دول أوربا خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، كما انه لم تظهر هناك تجارة نشطة حتى مع العالم الإسلامي، بدليل وصول الذهب السوداني حتى بلاد المغرب، ولكن لم تظهر هناك عملة ذهبية بالأندلس إلا بعد القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وما نقوله لا ينفي التبادل التجاري مع بعض هذه الدول ولكن في أطر محدودة.

---

1 حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 1993، ص141، خالد بن عبد الكريم البكر: النشاط الاقتصادي في عصر الإمارة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، ص294.

2 هو أبو بكر يحي بن الحكم البكري الملقب بالغزال، لقب بهذا الاسم لفرط جماله، ولد سنة154هـ/770م، بمدينة جيان، كان رجلا حكيما أرسله عبد الرحمن الاوسط في سفارة الى بلاط ملك النورمانديين، وقد نظم الغزال أرجوزة في فتح الاندلس، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين والنصارى، وقد توفي الغزال منفيا في بلاط هارون الرشيد في بغداد سنة255هـ/864م. آنخل جانثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، مصر، دون تاريخ، ص55-56.

3 ابراهيم احمد العدوى: السفارات الاسلامية الى أوربا في القرون الوسطى، دار المعارف، مصر،1957، ص123-124.

4 محمد حناوي: المرجع السابق، ص151-152.

الفصل الأول

التـــجارة الــداخليـــة

أولا: العوامل المؤثرة في النشاط التجاري بالأندلس:

لقد تحكم في النشاط التجاري الداخلي للأندلس الكثير من العوامل، ومنها ما كان تأثيره سلبيا كبعض الظروف السياسية التي كان يمر بها عالم البحر المتوسط في تلك الأثناء ومنها ما كان تأثيره ايجابيا كبعض العوامل الطبيعية وإمكانيات زخرت بها الأندلس مكنتها من تكون قوة تجارية لها مكانتها. ولذا فحديثنا لابد أن يأخذ منذ البداية منحى معين وهو تبيان الظروف والعوامل والأحوال التي أثرت في النشاط التجاري الأندلسي سواء كانت سلبية أو ايجابية، وسوف تطغى العوامل السلبية أكثر من العوامل الايجابية لظروف تلك الفترة.

- **العوامـــل الطبيعيـــة:**

1– الموقع الجغرافي:

إن الموقع الجغرافي الإستراتيجي للأندلس سمح لها بأن تلعب دورا اقتصاديا وتجاريا كبيرا ببلاد الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، فكانت الأندلس حلقة الوصل بين أوربا والمغرب وافريقية وبلاد المشرق الإسلامي، وكذلك الواسطة بين الضفة الغربية للبحر المتوسط والبحر المحيط.

ويشير ابن غالب إلى أهمية الأندلس بالنسبة للمغرب الإسلامي بأنها أعظم قطعة شأنا وأرفعها قدرا وأشهرها ذكرا وأكثر مدائن وأنفعها سواحل وأرفقها بأهلها عند الشدائد[1] وكان الأندلس حينذاك بلدا عامرا بالمدن أكثر مما كان المغرب، فصارت قرطبة[2] زمن عبد الرحمن الناصر من كبريات مدن العالم الإسلامي.

وكانت الجهات الأكثر أهمية في الحركة التجارية هي الركن الجنوبي والجنوبي الشرقي، أي الجزء المطل على البحر المتوسط، وهذا يبين أهمية تجارة البحر بالنسبة للأندلس[3] وأصبح بهذا التجار الأندلسيون يشكلون الجماعة المسيطرة اقتصاديا وسياسيا

---

[1] ابن غالب محمد بن أيوب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كنوز الأندلس ومدنها، لطفي عبد البديع، نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، نوفمبر 1955، مجلد1، ج2/ص307.

[2] قرطبة Cordoue : هي قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها ودار خلافة الأمويين بها وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال وهي في سفح جبل يسمى جبل العروس.
E-Lévi provençal : la description de L'Espagne D'Ahmed Al-razi , Al-Andalus, 1953, vol, 17 .P64

[3] ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص260.

واجتماعيا على التجارة الأندلسية[1] فذكر ابن غالب أن قرطبة مثلا أصبحت أم المدائن، تجبى إليها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية لأنها واسطة الكور[2] ويقول عن البيرة[3] بأنها باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق[4] ويضيف عن مدينة طليطلة[5] بأنها كانت مركزا لجميع بلاد الأندلس ولم تزل موئلا ومقصدا للخلق يقصدونها من كل الجهات فتعود عليهم بالرفق[6].

ونظرا لهذا الموقع الذي تمتعت به فإنها لعبت دورا اقتصاديا هاما فحاولت في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي توحيد المغرب الإسلامي وإخضاعه لها وقد خطت خطوات في ذلك الاتجاه عن طريق التجارة والدبلوماسية[7]، وبهذا العمل سيطر الأمويون على مضيق جبل طارق الإستراتيجي الذي يعد همزة الوصل بين حوض البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، فضمنوا السيطرة الاقتصادية والتجارية على هذه المنطقة، فيحدثنا ابن حوقل عن أهمية موقع الأندلس:" فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر وأكثرها عامر مأهول يغلب عليها نيل النعيم والتملك الفاشي بالخاصة والعامة"[8].

واشتهرت المرية[9] وذاع صيتها فأصبحت تصلها سفن المشرق والأقطار الأوروبية للتجارة معها وخاصة في فترة ملوك الطوائف على عهد خيران العامري[10].

---

1 كونستابل: المرجع السابق، ج2/ص1064.

2 ابن غالب: المصدر السابق، ص 295 – 296.

3 البيرة كورة من كور الأندلس، وهي بين القبلة والشرق من قرطبة، وكانت من قواعد وأمصار الأندلس الجليلة، ثم خرجت في الفتنة، وانتقل أهلها إلى مدينة غرناطة، فهي اليوم قاعدة كورها وكان يفصل بين البيرة وغرناطة 6 أميال، نزل هذه المدينة جند دمشق وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية الداخل، وهو الذي أسسها حين عبر إلى الأندلس. الحميري: المصدر السابق، ص29-30.

4 ابن غالب: نفس المصدر، ص283-284، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص78.

5 طيطلة Toledo : تقع طليطلة إلى الجنوب الغربي من الأندلس وهي مركز لجميع الأندلس وهي على ضفة النهر الكبير في مكان يبلغ ارتفاعه على ألف متر من فوق سطح البحر و كانت هذه المدينة مركز امن دهرا في عهد الرومان، و اكتسبت أهميته خاصة بعد انتشار المسيحية بالأندلس أيام القوط وكانت عاصمة القوط في سنة 418م وفتحها طارق سنة 92 هـ/714م و أصبحت فيما بعد عاصمة بني ذي النون في أيام ملوك الطوائف. الإدريسي أبو عبد الله الشريف:" القارة الإفريقية جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص275-276.

6 البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد: المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه، جمال طلبة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003، ج2/ص389، ابن غالب: نفسه، ص288.

7 عبد الله العروي: تاريخ المغرب في عهد الوحدة والسطوة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط2، 2000، ج1/ص90.

8 ابن حوقل النصيبي أبو القاسم: كتاب صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، ص108.

9 ألمرية: بالأندلس مدينة محدثه أمر ببنائها الناصر لدين الله سنة344هـ/955م، وهذه المدينة كبيرة وفيها ما يقارب ألف فندق وبها مرسى صيفي كبير. الزهري: المصدر السابق، ص101، الحميري: المصدر السابق، ص183-184.

10 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 168.

2- المنـــاخ:

كان لمناخ الأندلس المعتدل وتوافر المياه لكثرة أنهارها الجارية وأراضيها الخصبة وصلاحيتها للفلاحة، اكبر الأثر في كثرة المحصولات وتنوع الإنتاج ونشاط الحركة التجارية بداخل الأندلس فتمتعت برخاء اقتصادي كبير في فترة القرن 4هـ/10م[1]، فتوفرت فتوفرت بها الكثير من المحاصيل النادرة بغيرها من البلدان، ولهذا كان الإقبال على الأسواق والإنتاج الأندلسي كبيرا.

ويصف الجغرافيون مناخ الأندلس بالإيجاب، فيقول البكري:" بأنها شامية في طيب هوائها ويمانية في اعتدالها واستوائها وهندية في عطر ذكائها و أهوازية في عظم جبايتها وعدنية في منافع سواحلها"[2]، ويضيف الدمشقي عن غرناطة[3]:" بأنها تشبه دمشق من الشام وكانت اشبيلية تسمى حمص وهي من أحسن مدن الدنيا"[4] أما "إلبيرة ففحصها كغوطة دمشق وبها الثلج لا ينقطع على مرور الأيام"[5] كما كانت قورية[6] من أحصن المعاقل وأحسن الفواكه وبها بواد شريفة وضياع طيبة[7]، كما جمعت مالقة بين مرافق البر البر والبحر وكثرة الخيرات والفواكه[8] أما سرقسطة وطليطلة فكانتا مدينتان لتخزين الغلال الغلال من جميع الفواكه والطعام والحبوب[9]، وكان الفحص الشرقي من المرية في حالة

---

[1] محمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص274.

[2] الحميري: نفس المصدر، ص03، البكري: المصدر السابق، ج2/ص383 .

[3] غرناطة Granada: وهي مدينة من أحسن بلاد الأندلس تشرف على النهر المعروف بشنيل وهو يشق وسطها فيدخل من ناحية الجوف ويخرج من قبلتها وهي كثيرة البرد والثلج بسبب جبل شلير، وقد كانت هذه المدينة تابعة لإلبيرة ثم خرجت عنها. الزهري: نفس المصدر، ص94-96، ابن الكردبوس أبو مروان: تاريخ الأندلس أو الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد 13، 1965-1966، ص74.

[4] الدمشقي شمس الدين أبي عبد الله محمد الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر مهران، ليبزج، 1923، ص243. الغرناطي أبو حامد الأندلسي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص62-63.

[5] الدمشقي: نفسه، ص242، ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ص104، القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص502، ابن غالب: المصدر السابق، ص283.

[6] قورية: هي مدينة بالأندلس قريبة من ماردة، ولها بادية شريفة وبها أصناف من الفواكه أكثرها العنب والتين. الحميري: نفس المصدر، ص164 .

[7] البكري: المصدر السابق، ج2/ص381.

[8] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم وتعليق، علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ط4، 1985، ج2 /ص767-768.

[9] ابن غالب: المصدر السابق، ص287 ، الزهري: المصدر السابق، ص82، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت البغدادي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج6/ص265.

سقوط الأمطار يغل ثلاثة محاصيل متتابعة[1]، كما عرفت مثلا بلنسية[2] بشرق الأندلس بمدينة التراب وأطلق عليها الأندلسيون مطيب الأندلس وذلك لإنتاجها الفلاحي[3]، وكانت كورة تدمير[4] ثم بعدها مرسية[5] تسمى مصر أيضا لكثرة شبهها بها لان لها أرضا يسبح عليها نهرا في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر[6].
مصر[6].

وبهذا فإن المناخ بالأندلس كان احد العوامل المساعدة على حركية التجارة والنمو الاقتصادي لكثرة السلع الفلاحية وتنوعها.

3- الكوارث والآفـات:

من بين العوامل التي كان تأثيرها واضحا على التجارة الأندلسية وبشكل سلبي، الكوارث الطبيعية التي كانت تصيب الإنتاج الفلاحي بصورة خاصة، فالفيضانات كانت في بعض الفترات تأتي على المزروعات وبذلك تقل السلع الاستهلاكية وتظهر المجاعات والأزمات من جراء ذلك، فيذكر ابن حيان أن نهر قرطبة وافى بمد عظيم وساء تأثيره واعتد في أمهات السيول الطامية[7]؛ فهذه السيول كانت تأتي على الأخضر واليابس خاصة إذا علمنا أن المزروعات النادرة وذات النوعية الجيدة والتي توجه إلى التبادل التجاري كانت في معظمها تزرع في السهول التي على ضفاف الأنهار، حتى يتمكنوا من سقيها بصورة جيدة.

ولذلك كان ضرر السيول الجارفة من أعظم المخاطر التي تهدد الإنتاج الفلاحي بالأندلس، فمن جراء هذه الفيضانات والسيول كانت تظهر المجاعات الكثيرة، فيقول ابن حيان:"عن مجاعة سنة330هـ/941م وفيها كانت المجاعة في الأندلس والتي شبهت بمجاعة

---

1 القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج5/ص217.

2 بلنسية Valencia : مدينة بشرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة 16 يوما وهي كثيرة التجارات وبها أسواق وحط إقلاع بينها وبين البحر 3 أميال ولها أقاليم كثيرة. الحميري: المصدر السابق، ص47.

3 أبو الفضل: المرجع السابق، ص257.

4 كورة تدميرTODMIR من كور الأندلس وسميت باسم ملكها تدمير كانت قاعدتها مرسية، وبنيت بأمر من الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة95 هـ/714م، ومن بين مدنها قرطاجنة وجنجالة وشقورة ولقنت، الإدريسي: المصدر السابق، ص 259 ص285، الحميري: نفس المصدر، ص62.

5 مرسية: وهي قاعدة تدمير بالأندلس، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 216هـ، واتخذت قرار للقوات، وهي على نهر كبير كنيل مصر وهي تبعد عن بلنسية ب5 مراحل وعن قرطبة ب10 مراحل. الحميري: نفسه، ص181–183.

6 المقري أبو العباس احمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968، ج1/ص164.

7 ابن حيان : نشر ملشور، المصدر السابق، ص144.

سنة ستين، فاشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغا لم يكن لهم عهد بها وبلغ قفيز[1] القمح بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير، ووقع من جراء هذه المجاعات أن ظهرت الأوبئة والأمراض فوقع الوباء في الناس فكثر الموت في أهل الفاقة والحاجة حتى عجز عن دفنهم[2]، وكان من جراء هذه السيول أن انقطعت الطرق وتعطلت المتاجر وبهذا قلت السلع في الأسواق الأندلسية وارتفعت أسعارها من جراء ذلك؛ والملاحظ انه سيبقى الحال على ذلك إلى أن يتم إصلاح الطرق سواء الداخلية أو الخارجية، ومن هذه الفياضات ما حدث أيام المنصور ابن أبي عامر بحيث جاء في شعر وليد ابن مسلم المداوي و قد رأى زيادة النهر:

أَمَا تَرَى النَّهْرَ يَا مَنْصُورُ كَيْفَ طَوَغَيَمَّ مَنْ جَاوَرَ القَبْرَيْن بالضَرَر

وَاعْجَبْ لجُودكَ لَمْ يَغْن الوَرَى غَرَقَيله وَقَدْ عَمّ أَهْلَ البَدْو وَالحَضَر[3]

وكذلك من المشاكل التي كان لها تأثيرا على الإنتاج والتجارة بالأندلس بعض الحشرات الضارة كآفة الجراد التي ظهرت مثلا بمدينة

لورقة[4]، وكذلك نقص الإنتاج الزراعي وتدهور التجارة نتيجة الجفاف في بعض الفترات فتذكر بعض كتب النوازل سنوات الجفاف التي ضج الناس فيها بالدعاء وصلاة الاستسقاء طلبا من الله تعالى رفع ما هم فيه من غبن، فيقول الزبيدي" أن الناصر لدين الله خرج إلى المدور[5] اثر احتباس الغيث[6] والظاهر أن الناصر قد خرج هنا إلى المدور بغرض صلاة صلاة الاستسقاء ويذكر ابن الخطيب أن المرية كانت سماؤها بخيلة شحيحة المياه[7].

4-دور الطرق في النشاط التجاري:

---

[1] قفيز: القفيز بفتح القاف وكسر الفاء ممدودة، والجمع أقفزة وقفز، وفي المقاييس يساوي من الأرض قدر 144ذراعا وهو بالعراق عشر الجريب، والقفيز في الموازين يساوي 8أرطال على اختلاف في بعض البلدان، والقفيز في المكاييل يساوي 33لترا أي 12صاعا أو 48مدا، أي كيلتان بمكاييلنا الحالية. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1993، ص463-464.

[2] ابن حيان: نفس المصدر، ص109–110–124، الجنحانى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص348.

[3] الحميدي: المصدر السابق، ص327–328.

[4] القزويني : المصدر السابق، ص555.

[5] المدور ALMODUAR حصن بالأندلس بناحية قرطبة وهو يبعد عن مدينة فرنجولش ب12 ميلا وكذلك هو متصل بحصن الجرف" الإدريسي:المصدر السابق ، ص287 ص 302، الحميري:المصدر السابق، ص143.

[6] الزبيدى أبوبكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص290-291.

[7] ابن الخطيب لسان الدين: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، مصر، 2002، ص122.

1-4 -الطرق البرية:

لقد انتشرت في الأندلس مجموعة من الطرق والمسالك البرية التي سهلت من عملية التواصل التجاري بين مختلف مناطق الأندلس وربطت القاصي منه بالداني، وكان من هذه الطرق ما هو رئيسي ومنها ما هو فرعي.

الطرق الرئيسية:

كانت أغلب الطرق الرئيسية بالأندلس تتبع تقريبا التقسيم الروماني القديم[1] وعن هذا يحدثنا المقري:"ومنها الرصيف المشهور بالأندلس، فقال في بعض أخبار رومية أنه لما وُليَ يوليوس قيصر ابتدأ بتذريع الأرض وتكسيرها إلى أن أقبل على الأندلس وركز قصبته شرقي قرطبة ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة إلى شقندة[2] إلى إستجة[3] إلى قرمونة[4] إلى البحر وأقام على كل ميل سارية نقش عليها اسمه"[5].

فكان للرومان اهتمام كبير بتشييد الطرق وبنائها وورثت الأندلس عنهم هذه الطرق فيما بعد، والظاهر أن الأندلسيين قاموا بترميمها نظرا لطول الفترة بين المرحلة الرومانية والقرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كما قاموا باستحداث طرق جديدة، وهذا لأن يوليوس قيصر أقام هذه الطرق على أساس أن طليطلة هي العاصمة للأندلس لكن بعد ذلك أصبحت العاصمة هي قرطبة فكانت طليطلة مركزا لجميع بلاد الأندلس[6]؛ أما قرطبة حسب ابن غالب فأصبحت قاعدة الأندلس وأم المدائن بحيث تجبى إليها ثمرات كل جهة لكونها واسطة من الكور[7].

وتكمن سهولة المواصلات التجارية بالأندلس لكون مدنها تقترب من بعضها فلا يجد التاجر عناء السفر، وبذلك يسهل نقل السلع المختلفة ويعطينا المقري مثالا على ذلك

---

[1] محمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص 274.

[2] شقندة Ségouda: قرية بعدوة نهر قرطبة، قبالة قصرها" الحميري: نفس المصدر، ص 104.

[3] استجة Estija:مدينة بين القبلة و الغرب من قرطبة تفصل بينهما مرحلة كاملة وهي مدينة قديمة كانت واسعة الأرباص ذات أسواق عامرة وفنادق جمة ولها خمسة أقاليم. نفسه، ص14-15.

[4] قرمونة: مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية تبعد عن إستنجة بخمسة وأربعين ميلا وهي مدينة كبيرة قديمة وكانت تدعى "كارب موية" وهي في سفح جبل. نفسه، ص158-159.

[5] المقري: المصدر السابق، ج1/ص203.

[6] البكري : المصدر السابق ، ج1/ص379 ، الحموي: المصدر السابق ، ج 6ص 365.

[7] ابن غالب: المصدر السابق، ص 296.

فيقول:"وربما لقي المسافر فيها-اشبيلية- في اليوم الواحد أربع مدائن ومن القرى والمعاقل ما لا يحصى[1].

ويؤكد الزهري:"أن بلاد الأندلس صغيرة فيها ثمانين مدينة من القواعد الكبار، ومثلها أزيد من الصغار، ليس في الأرض صقع أصغر من هذا الصقع، لا يجد المسافر ثلاث أو أربع مدن قريبة بعضها من بعض إلا في الأندلس[2]، ومن بركة الأندلس وسهولة المواصلات بها على التجار، أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين[3] دون ماء، ولا يمشي ثلاث فراسخ، إلا ووجد فيها الحوانيت لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة على طول سفره[4].

وقد زاد انتشار المدن والقرى والحصون مع بداية القرن4هـ/10م، مما زاد في تدعيم شبكة المواصلات فظهرت عدة مدن أيام عبد الرحمن الناصر[5] يقول الضبي:" أن فيها- سنة404هـ/1013م بنيت شنتمرية[6]، ويذكر ابن الخطيب أن تأسيس مدينة غرناطة، مثلا كان في القرن5هـ/11م، أي أيام ملوك الطوائف فغدت قاعدة الولاية[7].

وقام عبد الرحمن الناصر ببناء الحصون منها حصن ذكوان[8] وكان السبب في إقامته إقامته مواجهة عمر بن حفصون وأولاده الذين أعلنوا عصيانهم لحكومة قرطبة[9]، فبغض النظر عن الهدف الأول الذي أسست من اجله هذه المدن والحصون من زيادة في السكان أو لأجل توفير الأمن عن طريق الحاميات العسكرية أو المراكز التجارية إلا أنها خدمت التجارة بشكل كبير، فالنمو الديمغرافي وكذا التطور السياسي والاقتصادي الذي عرفته

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1/ص226.
[2] الزهري: المصدر السابق، ص80.
[3] الفرسخ: يساوي ثلاثة أميال وهو يساوي 5544 متر، محمد ضياء الدين الريس:الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، ص301.
[4] الزهري: نفس المصدر والصفحة.
[5] عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله وكان والده محمد قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله في صدر دولة أبيهما عبد الله، وترك ابنه عبد الرحمن وهو ابن 20 يوما فولي الأمر وله 22 سنة وتلقب بالناصر وتسمى بأمير المؤمنين وصار جميع الأندلس في طاعته فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة 350هـ/961م ولم يبلغ أحد من بني أمية مدة ولايته". الحميدي: المصدر السابق، ص18.
[6] شنتمرية Santa Maria : مدينة بالأندلس من مدن أكشونبة وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة وهي مبنية على نهر أرغون على مسافة 3أميال وتبعد عن مدينة شلب ب28 ميلا وهي مدينة متوسطة القدر وبها المراكب واردة وصادرة". الحميري، المصدر السابق، ص144-155.
[7] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص99.
[8] حصن ذكوانcoin مكان يقع غرب مدينة مالقة . ابن الخطيب : معيار الاختيار، المصدر السابق، ص128.
[9] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص112.

الأندلس خلال القرن4هـ/10م، نتج عنه شبكة من المسالك التجارية[1] فكت العزلة عن مختلف المدن وكذلك التحركات المختلفة للتجار ساهمت في ظهور المسالك الجديدة بالأندلس.

أما عن هذه المسالك والمسافات، فيذكر المقدسي أن الطريق من قرطبة إلى اشبيلية ثلاثة مراحل[2]، ومن قرطبة إلى طليطلة ستة أيام ومنها إلى وادي الحجارة[3] ستة أيام[4]، ومن قرطبة إلى سمورة[5] أربعة أيام ومنها إلى قورية[6] اثني عشر مرحلة، ثم إلى ماردة أربعة أيام ومن قورية إلى باجة[7] ستة أيام، ومن باجة الى آخر مدينة شنترين[8] ستة عشر يوم، ومنها إلى فحص البلوط[9] يومان، ثم إلى لبلة أربعة أيام، ومنها إلى قرمونة أربعة أيام بين باجة واشبيلية نحو الغرب على طريق ماردة ومن قرمونة إلى اشبيلية مرحلتان، ومن استجة إلى مورور مرحلة[10].

ثم إلى شذونة[11] يومان، والى جبل طارق[12] ثلاثة أيام[13]، ومن استجة إلى مالقة سبعة أيام، وبين استجة ومرشانة[14] عشرين ميلا، وكذلك بينها وبين قرمونة والى مالقة

---

[1] الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية، المرجع السابق، ص76.

[2] المرحلة: المرحلة حسب الحميري هي عشرون ميلا ، الميل يساوي 1848مترا، وبذلك فالمرحلة تساوي 36960مترا. الحميري: نفس المصدر، ص169، ضياء الدين الريس: المرجع السابق، ص300.

[3] وادي الحجارة Guadalajara: ويعرف بمدينة الفرج بالأندلس وهي بين الجوف والشرق من قرطبة يبعد عن طليطلة 65 ميلا، وعن مدينة سالم 50 ميلا. الحميري: نفسه، ص193.

[4] المقدسي شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق، محمد أمين الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص198.

[5] سمورة: هي دار مملكة الجلالقة، قاعدة من قواعد الروم غزاها عبد الرحمن الناصر سنة327هـ/938م، وكانت من أشد الأمم على الأندلس. الحميري: نفس المصدر، ص98- 99.

[6] قورية: هي مدينة بالأندلس قريبة من ماردة، ولها بادية شريفة وبها أصناف من الفواكه أكثرها العنب والتين. الحميري: نفسه، ص 164.

[7] باجة Beja: أي الصلح وهي من أقدم المدن بالأندلس وإليها ينتمي يوليوس قيصر وهو سماها باجة، ومنها القاضي أبو الوليد الباجي. الحميري: المصدر السابق، ص36.

[8] شنترين Santarram: بالأندلس من كور باجة، وهي متصلة بأحوازها وهي من أطيب بقاع الأرض بحيث كانت جبايتها 2900 دينار. الحميري: نفسه، ص113-114.

[9] فحص البلوط: بالأندلس من ناحية قرطبة بينهما مرحلتان أو ثلاث ويتصل بأحواز فريش وبفحص البلوط عدة أسواق وجبايته 2002 دينار. الحميري: نفسه، ص142-143.

[10] مورور: متصلة بأحواز قرمونة وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة وهي من قرطبة بين القبلة والغرب، وكانت جبايتها أيام الحكم بم هشام 21000 دينار. الحميري: نفس المصدر، ص188.

[11] المقدسي: المصدر السابق، ص198.

[12] جبل طارق: سمي بذلك لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل، وهذا الجبل منقطع مستدير وبينه وبين الجزيرة الخضراء 6 أميال. الحميري: نفس المصدر، ص75.

[13] المقدسي: نفس المصدر، ص198.

[14] مرشانة: مدينة بكورة اشبيلية ومرشانة أيضا حصن من حصون ألمرية. الحميري: نفس المصدر، ص181.

بطريق الشرق إلى أرجدونة[1] ثلاث مراحل ومنها إلى بجانة[2] ستة مراحل، ومنها إلى مرسية سبعة مراحل، ومنها إلى بلنسية عشرون يوما، والى طرطرشة[3] ستة مراحل[4].

الطرق الفرعية:

وبالإضافة إلى هذه الشبكة الرئيسية، هناك شبكة ثانوية فرعية، منها طريق يتفرع من اشبيلية ليذهب إلى شلب[5]، كما كان هناك طريق يمر من جيان إلى حصن القبذاق، ثم إلى قبرة[6] ثم إلى استجة ثم أشونة[7] ثم شلير[8] ثم إلى حصن أركش[9] ثم إلى قرية القشمة ثم ثم إلى جزيرة طريف[10].

وقد ساهمت هذه الطرق بصفة فعالة في التواصل بين مختلف مدن الأندلس بنقل مختلف المتاجر والمصنوعات الجاهزة إلى الأسواق، فكانت بمثابة الشريان في توزيع السلع.

4-2- الطرق النهرية:

إن كثرة الأنهار والأودية بالأندلس كان له أثر كبير في سير التجارة الداخلية، فقد ساهمت هذه المجاري في انتعاش التجارة بتسهيل الموصلات، ونقل مختلف السلع والمتاجر سواء الصادرة أو الواردة، فخففت من تكلفة نقلها وتوزيعها إلى داخل البلاد أوتصديرها إلى مختلف المناطق كما ساهمت في سرعة إيصال البضائع وبكميات كبيرة إلى باقي المدن والموانئ ليتم تصديرها إلى خارج الأندلس.

---

[1] أرجدونة: بالأندلس وهي بقبلتي قرطبة، ولها مدن كثيرة ومنها مالقة تبعد عنها بـ28 ميلا وبها انهارا كبارا. الحميري: نفسه، ص12.

[2] بجانة: مدينة بالأندلس كانت في القديم قرى أرش اليمن، وقد نزل بها بني سراج القضاعيين وكان لهم حراسة البحر وحفظ الساحل وهي تبعد عن بجانة وألمرية 5 أو 6 أميال . الحميري: نفسه، ص37– 39.

[3] طرطوشة Tartousa: مدينة بالأندلس تبعد عن بلنسية بمسيرة170 ميلا أي مقدار4 أيام وعن طركونة 50 ميلا تبعد عن البحر الشامي 20 ميلا وبها أسواق وهي جامعة لكل صناعة ومتجر تحلها التجار من كل ناحية.الحميري: نفسه، ص124.

[4] المقدسي: نفس المصدر، ص198.

[5] شلب: هي قاعدة كورة أكشونية بالأندلس وهي بقبلي مدينة باجة ، تبعد عن بطليوس ب3 مراحل ومنها إلى ماردة 4 أيام. الحميري: نفس المصدر، ص149، أبو الفضل: المرجع السابق، ص274.

[6] قبرة: مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة 30 ميلا وتحسن بها ضروب الفرسان. الحميري: المصدر السابق، ص149.

[7] أشونة : من كور استجة بالأندلس بينهما نصف يوم و هو حصن ممدن كثير الساكن. الحميري: نفسه، ص 23.

[8] شلير: هو جبل الثلج المشهور بالأندلس متصل بالبحر المتوسط والثلج به شتاء وصيفا وهو يرى من أكثر بلاد الأندلس ويرى حتى من البحر ببلاد المغرب وطوله يومان وهو جنوب وادي آش وغرناطة. الحميري: نفس المصدر ، ص112.

[9] أركش : هو حصن بالأندلس على وادي لكة . الحميري، نفسه، ص 14.

[10] ابن جبير أبو الحسين محمد بن احمد: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1964 ،ص07-08،

- جزيرة طريف: هي على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربها ببحر الظلمة وهي مدينة صغيرة ومنها إلى الجزيرة الخضراء 18 ميلا وبها أسواق وفنادق. الحميري: نفس المصدر، ص177.

ومن الأنهار التي تحمل أهمية كبيرة في المواصلات التجارية الأندلسية نذكر منها: الوادي الكبير الذي يربط بين الكثير من المدن الأندلسية فهو يخرج من جبل مدينة شقورة[1] شقورة[1] ثم يمر بأبدة[2] ثم بياسة[3] ثم إلى قرطبة ثم يمر باشبيلية ثم إلى قادس[4] ثم إلى بحر الظلمات[5] فكان هذا النهر تدخله السفن التجارية الشراعية المعتدلة فساهم في دخول مختلف السلع إلى قرطبة وجميع المدن التي يمر بها، فيذكر الإدريسي أن القليعة على ضفة النهر الكبير، ويجاز إليها في المراكب، ويضيف، انه من شاء من اشبيلية إلى قرطبة ركب المراكب وسار صاعدا في النهر[6]، ويقول ابن مفلح أن اشبيلية بها النهر الكبير، الذي يضاهي دجلة والفرات والنيل، وتسير القوارب فيه للنزهة والصيد[7]، كما كان لنهر شطويره أهمية اقتصادية كبيرة، إذ كان ينقل عبره المسافرين فيقول الإدريسي، أنه نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا[8].

أما نهر يانة فهو يوازي الوادي الكبير، فيمر بماردة ثم ببطليوس ثم إلى حصن مارتلة[9] ينصب في البحر المظلم بالقرب من جزيرة شلطيش[10] ومما يلاحظ على هذا النهر أنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض ولهذا كان يسمى النهر

---

[1] شقورة Segura de la Sierra : من أعمال جيان بالأندلس، يخرج من أسفله نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير وكذلك النهر الأبيض الذي يمر بمرسية . الإدريسي، المصدر السابق، ص287.

[2] أبدة Ubeda : هي مدينة صغيرة بالأندلس على مقربة من النهر الكبير و بينها وبين بياسة 7 أميال. الإدريسي: نفسه، ص 296، الحميري: نفس المصدر، ص11.

[3] الإدريسي: نفسه، ص 296 ،الحميري: نفسه ص 57 -58 ،ابن سعيد: المصدر السابق ، ج2/ص58.

- بياسة Baeza : هي على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر وحولها مستغلات الزعفران. المقدسي: المصدر السابق ، ص296.

[4] قادس L'ile de Lion : وهي جزيرة بالأندلس تبعد عن مدينة شريش 6 أميال وهي من مدن اشبيلية وطولها من القبلة إلى الجوف 12 ميلا وعرضها في أوسع المواضع ميل واحد وأكثر مواشيها المعز. الحميري: المصدر السابق، ص145، المقدسي: المصدر السابق، ص301.

[5] أمين الريحاني: المغرب الأقصى نور الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط4، 1987، ص547.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص301، العذري: المصدر السابق ص98-99.

[7] المقري: المصدر السابق، ج1/ص208.

[8] الإدريسي: نفس المصدر، ص267.

[9] مارتلة Martela: هي على نهر بطليوس بالأندلس وهي حصن مشهور بالمنعة والحصانة وهي تبتعد عن مدينة شلب بـ4 أيام ومن ولبة مرحلتان .الإدريسي: نفسه، ص267، الحميري: نفس المصدر، ص175.

[10] الإدريسي: نفسه، ص268–273، الحميري: نفس المصدر والصفحة.

- شلطيش Saltas: وهي جزيرة بالأندلس، يحيط بها البحر من ناحية ولها من ناحية الغرب اتصال بالبر وطولها نصف ميلن وبهذه المدينة سوق وبها صناعة الحديد ومنها إلى جزيرة فارس مائة ميل وبينها وبين حصن قسطلة في البحر 18 ميلا. المقدسي: نفس المصدر، ص265.

الغؤور[1] فأهميته الاقتصادية تبقى متذبذبة فأحيانا يصلح الملاحة وأحيانا يتضاءل دوره في في التجارة.

وأما نهر تاجه فيكتسي هو الآخر أهمية تجارية كبيرة فهو يربط أواسط الأندلس بالساحل الأطلسي، فيخرج من ناحية الجبال المتصلة بقلعة ألبونت[2] ثم يمر بطليطلة ثم طليرة ثم شنترين ثم إلى أشبونة[3] فينصب هناك في البحر[4] وسعته تبلغ ستة أميال[5] ولهذا ولهذا فهو يسهل الملاحة على السفن ذات الحجم المتوسط.

أما النهر الأبيض فيمر بأوريولية[6] ثم المدور ثم ينصب في البحر وكما يقول الإدريسي أنه كانت بمدينة لقنت[7] أودية تدخلها المراكب[8] وإن كان هذا النهر ذو أهمية تجارية ضعيفة مقارنة بالأنهار الكبيرة الأخرى إلا انه كان له دور في فك العزلة عن تلك المدن التي يمر بها.

وبالإضافة إلى هذه الأنهار الكبيرة كان هناك بعض أنهار ثانوية قليلة الأهمية بالنسبة للتجارة، ومع ذلك فإنها كلفت الدولة بناء القناطر عليها لتسهيل حركة المرور.

5- وسائل النقل البرية للسلع بالأندلس:

كان يغلب على بلاد الأندلس التضاريس ولهذا فقد كانت الطرق البرية صعبة نسبيا، وكان النقل في الفترة المدروسة صعبا ومكلفا فلم تكن هناك وسائل للنقل تواكب طبيعة المنطقة ونشير هنا إلى وسائل النقل البرية المتعلقة بنقل السلع والتجارة الداخلية للأندلس.

---

[1] الحميري: نفس المصدر، ص46.

[2] ألبونت Alpuente: وهي تقع بإقليم القواطم بالأندلس وهو يقع من الجوف بالنسبة لإقليم مرباطر بشرق الأندلس. "الإدريسي: نفس المصدر، ص260.

[3] أشبونة Lisboa (Lisbonne): مدينة بشرق الأندلس، شمال نهر تاجة وهي تمتد على ضفافه من جنوبه. الإدريسي: المصدر السابق، ص271.

[4] الإدريسي: نفسه، ص276-277، ابن غالب: المصدر السابق، ص288، الحميري: المصدر السابق، ص62، ابن سعيد: المصدر السابق، ج1/ص341.

[5] الإدريسي: نفسه، ص271.

[6] أوريولة Orihuela: عبارة عن حصن، كانت أوريولة قاعدة كورة تدمير قبل أن تختط مرسية سنة(216هـ/831م) ولما شيدت هذه المدينة نقلت القاعدة إليها وأصبحت الكورة كلها تسمى مرسية، وهي على ضفة النهر الأبيض ولها قنطرة على قوارب يدخل إليها منه، وبها رخاء شامل وبها أسواق وضياع وتبتعد عن مرسية بـ12 ميلا وعن ألش بـ28 ميلا وعن قرطاجة بـ45 ميلا. الإدريسي: نفسه، ص283.

[7] لقنت Alicante: مدينة صغيرة بالأندلس بينها وبين دانية على الساحل70 ميلا ومنها إلى ألش في البر مرحلة وبهذه المدينة أسواق ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر وهي على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية. الإدريسي: نفسه، ص170.

[8] الإدريسي: نفسه، ص284، الحميري: نفس المصدر، ص171–172، ابن سعيد: نفس المصدر، ج2/ص202.

فقد اعتمد الأندلسيون في نقل مختلف المتاجر على بعض الحيوانات التي تتحمل الأثقال مثل البغال والحمير والخيول والثيران مستخدمين في ذلك العربات[1]، فكانت الواحدة من هذه العربات لها أربع بكرات ويجرها فرسان وأكثر وربما البقر أو الجمال، والذي يخدم العربة يركب احد الأفراس وعليها سرج وفي يده سوط للضرب وعود للتوجيه وكان للعربة التي تحمل الأثقال والأطعمة أقفال مثل البيت[2].

ويشير ابن حوقل إلى أهم وسيلة للنقل بالأندلس، وهي البغال الفارهة الضخمة الأجسام التي اختصت بها هذه المنطقة وأن الأندلسيون كانوا يعتمدون عليها في تنقلاتهم[3] فالبغال والخيول قد استخدمت في حمل الدروع ونقل السلاح[4] ومختلف المتاجر البرية نحو بلاد الشمال؛ كما اشتهرت الأندلس باستعمال الحمير في نقل السلع وحمل المتاع والبضائع لجلدها وقوة تحملها وقدرتها على السير في الطرق الجبلية المتعرجة[5].

ويشير ابن غالب إلى التجارة الثقيلة التي كانت قائمة أيام بناء مدينة الزهراء[6] فقد استخدمت البغال لنقل السلع ومواد البناء المختلفة، فكان يخدم بها في كل يوم ألف وأربعمائة بغل(1400) منها أربعمائة بغل من زوامل السلطان المختصة به[7]، وأما العدد الباقي فيكمله عن طريق كراء الدواب لنقل الجير والرخام والخشب وغيره[8].

وتشير كتب العقود إلى اكتراء الدواب واستخدامها في النقل البري، فكان يكتب في العقد اسم المؤجر والمستأجر والثمن وينص على وصف الدابة وخلوها من العيوب وميعاد سفرها والوزن الذي تحمله والجهة المقصودة والطريق المستخدم[9] وقد أوصت كتب وقد أوصت كتب الحسبة ببعض الأحكام المتعلقة بكراء الدواب وحمل البضائع والأثقال عليها

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ص288، باشا نجاة ولدت سوسي: التجارة في المغرب الإسلامي من ق4 إلى ق8هـ، منشورات الجامعة التونسية، تونس،1976، ص50.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص323-324، جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين3 و4 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص215.

[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص114، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص324.

[4] المقري: المصدر السابق، ج1/ص199.

[5] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص288-289.

[6] مدينة الزهراء: هي المدينة التي بناها عبد الرحمن الناصر بالأندلس وهي أغرب وأبدع ما بني في الإسلام وهي مدينة فوق مدينة بها ثلاثة أجزاء أعلاها القصر وأوسطها البساتين والثالث فيه الدور والجامع وهي تبعد عن قرطبة 5 أميال. المقدسي: المصدر السابق، ص305، الزهري: المصدر السابق، ص87.

[7] ابن غالب: المصدر السابق، ص300.

[8] ابن غالب: نفس المصدر والصفحة.

[9] ابن رشد أبو الوليد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق،أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1988، ج9/ص81-82، كمال السيد: نفس المرجع، ص288.

لحمايتها وسلامتها، فمنها أنه لم يكن يسمح بالأحمال الثقيلة بأي حال، وكان كل من يخالف ذلك يتعرض لعقاب المحتسب فكما يقول ابن عبدون عن حمالو الخشب والأحجار أن لا يتركوا يثقلون على الدواب وان ظفر المحتسب بمن يفعل ذلك أدبه ولا يمشي حمال إلا أمام دابته ويده في رسنها[1].

➢العــوامــل السيــاسيــة:

1- الأمن بالأندلس وتأثيره على التجارة خلال القرن4هـ/10م:

لكن بالرغم من وجود المسالك وقرب المدن من بعضها البعض، فانه كانت هناك بعض المشاكل والعقبات التي تعترض سبيل التجارة والتجار، وخاصة ما يتعلق بالأمن في جنوب شرق الأندلس، ومدن الثغور بالشمال.

فبالإضافة إلى وعورة بعض المسالك لكثرة التضاريس والمجاري والسيول المائية خاصة في بعض المواسم[2]، كان هناك نقص للأمن التجاري، فكانت مدينة تطيلة[3] لبعدها لبعدها عن العاصمة قرطبة عرضة للطمع سواء من النصارى في الشمال أو من بعض المنتزين المسلمين الخارجين على السلطة الأموية المركزية فتهددت الطرق التجارية، يقول ابن حيان في هذا الصدد:"وكان يحي بن ذي النون[4] من أجرئهم على السلطان وأثقلهم وطأة على الرعية وأدومهم على قطع السبيل وإشاعة الفساد في الأرض وكانوا يغيرون على طليطلة[5]، وكان من نتائج ذلك أن توقف التجار عن سلوك مثل تلك الطرق لخوف ضياع سلعهم ونهبها[6].

وظهر الكثير من اللصوص الذين يقطعون الطرق ويضرون بأهل النواحي من ذلك، ما ظهر في الطريق بين قرطبة واشبيلية رجل من البربر من بعض أرباع قرمونة يدعى

---

1 ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي: رسالة في القضاء الحسية، تحقيق، إ ليفي بروفسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص41.
2 خالد البكر: المرجع السابق، ص46.
3 تطيلة: مدينة بالأندلس في جوفي وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة وهي مدينة آمنة فأهلها لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلا ولا نهارا، قد انفردوا بذلك بين سائر البلاد ومن مدن تطيلة طرسونة. الحميري: المصدر السابق، ص64.

4 يحي بن ذي النون: هو حفيد المأمون بن ذي النون وكان يلقب بالقادر وقد آل الأمر إليه حين وفاة المأمون هذا بطليطلة وبلنسية. ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ج4/ص107، محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص228.
5 ابن حيان: نشرة ملشور، المصدر السابق، ص17-18.
6 محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص203.

الطماشكة يقطع الطريق ويفسد في الأرض[1] والظاهر أن هذا الشخص كانت تدعمه جماعة لسلب التجار ونهبهم، كما كان أهل بنبلونة[2] النصارى يغيرون على التجار نظرا لامتناعهم بين الجبال الشامخة والشعاب الغامضة وقلة الخيرات لديهم، فيذكر البكري أنهم: "فقراء جاعة لصوص"[3].

وقد كانت هناك محاولات جادة لتامين هذه الطرق، التي تهددت بالأخطار، من ذلك انه كانت ترسل العساكر لتمهيد هذه الطرق فيذكر ابن حيان انه "جيء إلى محلة العسكر باللصوص، الذين كانوا يقطعون ويسرقون بجانب منطقة الشرف، منهم ستة وجيء منهم بثلاثة أسرى ضربت في العسكر رقابهم"[4]، كما تم إثبات بعض الخارجين على مدنهم خوفا خوفا من تهديداتهم، من ذلك مثلا أن الناصر لدين الله أسجل ليحيي على بلده في سنة300هـ/912م، وهو ممل لطاعته يقطع الطرق ويسلب الرفاق ويتمرس بالخليفة[5] كما استقام إبراهيم بالتزام الطاعة وإقامة الدعوة وحمل مال المفارقة فصلحت أحوال قرطبة بانفتاح طريق اشبيلية وموالاة صاحبها وصارت سببا لانفتاح باب غربي الأندلس ودرور المعايش منه بقرطبة[6].

ولتامين التجارة الداخلية من الغارات، قام الخلفاء بإحاطة المدن بالحصون والأبراج وبهذا أصبحت الحصون منتشرة على الطريق البري الوحيد الموصل بين بجانة ووادي آش[7] من جهة الغرب ومرسية من جهة الشمال الشرقي[8] كما رفع رجل من أهل استجة أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع إلى الأمير يسأله بناء حصن بقرية شنت طرش آخر حد اشبيلية ينزله في أصحابه ويضمن له إصلاح الطريق ومنع الطماكشة ومن معه من المفسدين قطعة الطريق فأجابه الأمير إلى ذلك[9].

---

1 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص70.

2 بنبلونة: مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة 125 ميلا، لها كانت دار مملكة غرسية بن شانجة سنة330هـ/941م وهي بين جبال شامخة. الحميري: المصدر السابق، ص55-56.

3 البكري: المصدر السابق، ج2/ص379، الحميري: نفسه، ص56.

4 ابن حيان: نفس المصدر، ص144.

5 ابن حيان: نفسه، ص20.

6 نفسه، ص133.

7 وادي آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة بها الكثير من السلع من أصناف الثمار والقطن. الحميري: نفس المصدر، ص192.

8 ابن حيان: نفس المصدر، ص88، عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص28.

9 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص70.

ولقد أثرت الحركات المناهضة للنظام الأموي والحكم المركزي بالأندلس، تأثيرا سلبيا على الاقتصاد بصفة عامة، وعلى التجارة بصفة خاصة، فقد ورث القرن الرابع فتن كثيرة، وكان من أعظمها ثورة عمر ابن حفصون، والذي كلف الدولة المركزية الأندلسية الكثير من الأموال، والنفقات لاسترجاع عافيتها، فيتأسف ابن حيان للحالة التي وصلت إليها الأندلس في ظل هذا الوضع فيقول:"وقد انطبقت أرض الأندلس نفاقا، واستعرت خلافا، وذلك بإغفال من كان قبله لحسم ما كان ينجم من قرن الخلاف، حتى تفاقم الأمر بعد تطاوله، وتفاوت الشيء بعد قرب تداركه[1].

وعن تلك الخسائر التي قام بها ابن حفصون، يقول ابن حيان: **"**فأطلقت خيله على إفساد الزرع وقطع الأشجار وإفساد العمارة وتخريب الديار فكان من ذلك دأبه، وواصل الغارة ففشا التدمير بين قلعة يحصب فأتلف دنيا عريضة وأخرب الحوانيت فصيرها براحا[2] ويضيف ابن عذارى:"أن ابن حفصون إنتسف معايش بربشتر[3] وحصون رية[4].
رية[4].

وعن اختلال الأمن يقول ابن عذري:" انه كان سامعا مطيعا ثم تعدى ومد يده فلم يدع مالا عند من أمكنه واستحدث على أهل الكور في أموالهم وأمضى نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل"[5]، إذن هذه الظاهرة السيئة مع نهاية القرن3هـ/9م وبداية القرن4هـ/10م من انتشار الخوف وعدم امن السبل كان من شأنها أن تؤثر تأثيرا سلبيا على التجارة، لكن مع كل هذا فإنه قد قيد الله لفترة القرن4هـ/10م حكاما ذوي حزم وإخلاص بذلوا ما في وسعهم لاستعادة الأمن والهدوء والدولة المركزية، وفعلا بقيت الأوضاع مستقرة طيلة هذا القرن.

2-الأمن خلال القرن الخامس الهجري:

---

[1] نفسه: ص104.
[2] نفسه: ص110.
[3] بربشتر: مدينة من بلاد بربطانية بالأندلس ومن أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع. الحميري: المصدر السابق، ص39.
[4] ابن عذارى: المصدر السابق، ج2/ص122.
[5] نفسه: ج2/ص122.

لقد أثرت الحركات المناهضة للنظام الأموي والحكم المركزي بالأندلس تأثيرا سلبيا على الاقتصاد بصفة عامة وعلى التجارة بصفة خاصة، وكانت الفتنة البربرية[1] من أهم الفتن التي تراجع خلالها الاقتصاد الأندلسي بشكل كبير بسبب ظاهرة اللاأمن التي عرفتها الأندلس لكن هذا لا يعني عدم استغناء بعض الأفراد ونمو وتطور تجارتهم، بل نحن نتكلم عن التأثير العام على الأندلس في تلك الفترة.

فالملاحظ أنه في تلك الأجواء المضطربة كان لا يأمن تاجر على بضاعته ولا فلاح على أرضه من النهب، فحتى يستثمر الأندلسي أمواله في التجارة أو غيرها ينبغي أن توفر الدولة له الأمن على ممتلكاته، فيروي لنا ابن بسام الاضطراب الذي حدث خلال فترة نهاية القرن4هـ/10م وبداية القرن5هـ/11م فكانت إمارة المستظهر[2] 47 يوما لم تنتشر فيها طاعة ولا التأمت عليه جماعة ولا تجاوزت دعوته قرطبة[3] ويقول عن فترة سليمان ابن الحكم[4] أيام الفتنة البربرية سنة400هـ/1009م، والذي كانت سني حكمه شداد نكدات صعابا مشؤومات كريهات المبدأ والفاتحة قبيحات المنتهى والخاتمة، فلم يعدم فيها حيف ولا فرق فيها خوف مع اشتعال الفتنة واعتلاء المعصية وضعف الأمن[5]، ويضيف التنسي عن عن الفوضى بقرطبة والتخريب الحادث بها" فبلغه قيام المرتضي بشرقي الأندلس فعزم على تخريب قرطبة واستصفاء أموال أهلها وابتدأ في هدم الدور وتوعد أن يعود بجميع ذلك

---

[1] الفتنة البربرية: تختلف الآراء حول تحديد ماهية هذه الفتنة و كذلك المسؤوليات فيها وتذهب أغلب الآراء الأندلسية إلى تسميتها بالفتنة البربرية وتحميل البربر مسؤولية اندلاعها، كابن حيان وابن خاقان أما ابن عذارى فيرى أنها فتنة السفيه ابن عبد الجبار الذي جر الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس برأيه بالفتنة البربرية ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى. محمد حقي: البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص217، عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن5هـ/11م، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2001-2002، ص268-269.

[2] المستظهر بالله أبو المطرف عبد الرحمن ابن هشام ابن عبد الجبار ابن الناصر أخو المهدي، بويع بالخلافة في أيام اشتداد الفتنة بالأندلس سنة414هـ/1023م وهو ابن22 سنة وكان مولده سنة392هـ/1001م، ثم قام عليه أبو عبد الرحمن ابن عبيد الله ابن عبد الناصر فقتله في نفس السنة التي حكم فيها وكان في غاية الأدب والبلاغة، أبو محمد علي ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص50.

[3] ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ج1/ص52-53.

[4] سليمان ابن الحكم قام في شوال من سنة399هـ/1008 وتلقب بالمستعين بالله ودخل قرطبة سنة400هـ/1009 وتلقب بالظافر بحول الله وخرج بعساكر البربر في بلاد الأندلس يغير على المدن ثم عاد فدخل قرطبة سنة403هـ/1012، ثم بايعه البربر وقد قتله علي ابن حمود بقرطبة سنة407هـ/1016م، فكانت مدته منذ دخل قرطبة3 أعوام و3أشهر وانقطعت دولة بني أمية وذكرهم على المنابر في جميع أقطار الأندلس في هذا الوقت. الحميدي: المصدر السابق، ص23.

[5] ابن بسام: نفس المصدر، ص40.

إلى سبتة[1]، ومن خلال هذا النص تتضح حالة الفوضى والاضطراب واللاأمن الذي عاشته الأندلس خلال تلك الفترة.

ومن آثار هذه الفتنة هجرة بعض العلماء التجار من قرطبة وتحولهم إلى مدن أخرى أكثر أمنا والظاهر أن الكثير من العلماء كانوا تجارا وأصحاب مناصب في فترة الخلافة وهذا ما يجعلهم يتصادمون مع مصالح الخارجين عن السلطة المركزية ولذلك واجه العلماء قسوة شديدة من قبل البربر وغيرهم من الناقمين، ويتضح موقف العلماء مثلا من طاعة الخليفة من قول الباجي وهو يوصي ولديه:" فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة فإن السلطان الجائر الظالم أرفق بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة[2].

وفعلا كان من آثار الفتنة على الاقتصاد والتجارة مثلا أن كان سليمان بن الحكم قائد البربر بالأندلس يفسد وينهب ويفقر المدائن والقرى ولا تبقي البربر معه على صغير ولا كبير، كما نجد ممن ثاروا أيام الفتنة وكانت لهم أموال وثروة واستثمارات بنو رزين[3] وقدثارو أثناء الفتنة بشنتمرية(السهلة)[4].

---

[1] التنسي أبو عبد الله: تاريخ دولة الادراسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص58.

[2] عبد الرحمن جودة هلال: مقدمة لوصية الباجي لولديه، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1955، عدد3، مج1/ص43.

[3] بنو رزين: كان منهم أمراء بلاد السهلة بقرطبة وكانت لهم ثروة وعدد وهم يعرفون كذلك ببني الأصلع وأصلهم من قبيلة هوارة، وقد ثاروا أثناء الفتنة البربرية بشنتمرية ويقال لها السهلة. ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي: جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1962، ص500، مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص188.

[4] مؤلف مجهول: مفاخر البربر، نفسه، ص188.

3- العلاقات السياسية بين دويلات الطوائف وانعكاساتها على التجارة:

إن انعكاسات العلاقات السياسية كان لها دور كبير على تجارة الأندلس في فترة القرن5هـ/11م، إذ عرف هذا العصر توالي المحن وشاع الخلاف بين أهواء أهل الأندلس[1] فأصبحت الحالة الاجتماعية بالأندلس تنذر بتفجر الأوضاع، فوصفت المصادر حال القهر وشدة السطوة وإرهاب الرعية، فكان ذلك اجلب لنفار القلوب وبعث الشرود فانقادوا لكل من عاند ورد الأمر فزعا من اليأس الحاصل فكان ذلك سببا في تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف[2].

وبالرغم مما حدث من بعض ملوك الطوائف من قسوة، فإننا نجد البعض الآخر يستعمل سياسة اللين والملاطفة كخيران الفتى الذي اتبع مع أهل المرية-وهي المدينة التجارية-سياسة العدل والإنصاف وبذلك فشا الأمن فظهرت الاستثمارات وبلغت في أيامه العمارة وفشت الصناعات ما هو مشهور، "وكان مذهبه في الجود قصدا لم يشتهر بكرم ولا وسم بلوم[3].

ثم جاء بعده زهير العامري الذي اتسع ملكه هو الآخر اتساعا كبيرا فامتدت المرية في عهده إلى قرطبة ونواحيها غربا والى شاطبة ومرسية في الشمال الشرقي والى بياسة وطليطلة في الشمال الغربي وامتد نفوذه إلى قرطبة نفسها[4]، ثم ظهرت بعد ذلك الصراعات الداخلية بين ملوك الطوائف، فبعد الصداقة التي كانت قائمة بين زهير العامري وحبوس بغرناطة تحولت إلى العداء والفرقة والاضطراب[5]، ويذكر ابن عذارى أن الأندلس انقسمت في سنة435هـ/1043م إلى فريقين الأول فريق الأندلسيين برئاسة سليمان بن هود الجذامي[6] بالثغر الأعلى، والآخر فريق البربر يترأسه باديس بن حبوس، وقد ساءت العلاقات بين الفريقين نظرا للأطماع التوسعية المتكررة من احدهما على الأخر،

---

1 ابن بسام: المصدر السابق، ج1/ص100.
2 نفسه: ج1/ص40.
3 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص61.
4 نفسه: ص68.
5 نفسه: ص70.
6 سليمان بن هود الجذامي كان صاحب لاردة وتلقب بسعيد الدولة وكان صغيرا حكم تحت وصاية بني بيطر. ابن بسام، نفس المصدر، ج1/ص151-152، عبد الله عنان: المصدر السابق، ص290-293.

وكانت هذه الأطماع تهدف إلى التوسع والسيطرة على المناطق الاستر تيجية والمقدرات الاقتصادية.

فحاول المعتصم بن صمادح[1] ضم أملاك باديس بن حبوس إليه[2]، وكان الصراع قائما بين بني عباد باشبيلية، والحموديين بقرطبة، وخاصة يحيى المعتلي الحمودي[3] الذي توجه إلى حصار بني عباد، ثم فشل الحموديون وانقطع ملكهم بقرطبة[4]، وأصبح لدى دويلة بني عباد الناشئة أطماعا توسعية على جاراتها، يقول المراكشي في هذا الصدد:"انه حدث للقاضي إسماعيل بن عباد[5] أمل في التغلب على تلك البلاد، فنهض إلى قرمونة، وأشونة، وحصن استجه فحاصرهما وأخذهما[6].

والظاهر ان هذه الصراعات كانت قائمة على أطماع اقتصادية وتجارية كان الغرض منها السيطرة على بعض المناطق الزراعية والطرق التجارية المهمة والتي من شانها أن تدر أموالا ضرائبية كبيرة على بيت مال هؤلاء الطوائف، ومع وجود هذه الأطماع والصراعات فإننا نجد البعض من هؤلاء الطوائف سلك مسلكا سياسيا سليما كأبي الحزم بن جهور، الذي لم يدخل في الفتن الكائنة، واظهر النزاهة والعفاف[7].

إن هذه الصراعات الداخلية، وإنفاق الأموال على القوة العسكرية، وتمتينها، وإنشاء بعض الحاميات في العديد من المناطق الداخلية، تطلب الكثير من النفقات المالية لغرض دفاع كل ملك من ملوك الطوائف عن أملاكه من سطوة جيرانه.

---

[1] المعتصم بن صمادح: هو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم بالله خلف أبوه في حكم مدينة المرية سنة443هـ/1051م والذي بذل جهودا عظيمة في توسيع هذه المملكة على حساب جيرانه بغرناطة وقد اشتهر المعتصم بحبه للشعر والأدب. عبد الله عنان : المصدر السابق، ص166-169.

[2] ابن عذارى: المصدر السابق، ج3/ص219، عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص79.

[3] يحيى المعتلي الحمودي كان من الثوار على عمه القاسم بن حمود سنة412هـ/1021م واستولى على قرطبة وقرب إليه أبو القاسم بن عباد ثم خلعه أهل قرطبة سنة417هـ/1026م. ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ج4/ص197-198، عبد الله عنان: نفس المرجع، ص33-34.

[4] التنسي: المصدر السابق ص61.

[5] أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد: وهو مؤسس مملكة بني عباد الحقيقي وعلى يده اتخذ سلطان بني عباد ألوانه الملوكية المدعمة بالقوة العسكرية، فكان ذا مركز كبير بالأندلس، بالإضافة إلى ثروته الطائلة. الحميدي: المصدر السابق: ج2/ص71. المراكشي عبد الواحد: كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1963، ص126.

[6] المراكشي عبد الواحد: نفسه، ص114.

[7] نفسه: ص111.

فعوضا أن يكون الجند الأندلسي مرابطا بالثغور كما كان سابقا يدافع عن أراضيه الإسلامية بدافع وغيرة دينية، أصبح خلال فترة ملوك الطوائف الجند المرتزقة الذين لا غرض لهم من التجنيد إلا جمع المال والميل لمن يدفع أكثر ولا يحملون إلا عاطفة الحقد على البلاد الإسلامية، وهذا ما أضاف تكاليف ومصاريف أكثر لحماية الأراضي الأندلسية، يقول أرشيبالد لويس انه نتج عن القلاقل السائدة وتخلي الارستقراطية العربية عن القيام بعبء القتال أن وقع قسط كبير من مهمة الدفاع عن البلاد على كاهل الجنود المرتزقة من المسيحيين سواء، كانوا من أصل اسباني، أو من شمال أوربا، وشاع استخدام هؤلاء الجند في جيوش ملوك الطوائف[1]، وأصبح حتى ملوك الطوائف أنفسهم لا يملكون القوة العسكرية، ولا حماس المقاتلين، بحيث أصبحوا يعيشون حياة مترفة وأصبح المجتمع مجتمع حواضر لا يقوى على الدفاع، بل أصبح كل همهم حماية قصورهم، وبعض مناطق الدخل الاقتصادي الخاص بهم[2].

إن الصراع السياسي بين ملوك الطوائف أدى إلى تدني الوضع الأمني على المستوى الداخلي بصفة خاصة وهذا ما اجبر بعض التجار على الانقباض عن العمل وبذلك تناقص الموارد الضرائبي.

إن هذا الوضع من تكاليف باهظة ومصاريف واسعة ومداخيل ضرائبية قليلة كل هذا أدى إلى عجز اقتصادي نسبي لدى ملوك الطوائف مما أجبرهم على الضغط على الرعية وهذا ما أثار سخط هذه الأخيرة وبدأت الهوة تتسع بين طبقة الحكام وطبقة التجار، وهذا فتح الباب أمام نصارى الشمال بالتدخل في الشؤون الداخلية لملوك الطوائف وبالتالي تضاعفت النفقات، ولم يكن من بد لجمع هذه الأموال إلا من الرعية سواء كانوا تجارا أو زراعا وبذلك العزوف عن النشاط وتوتر الوضع الاجتماعي نتيجة لهذه الظروف.

---

[1] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص345.

[2] محمد الكتاني: عن تاريخ الأندلس في عهد ملوك الطوائف، مجلة دراسات مغاربية، المغرب، عدد 1-2، 1996، ص11.

ويقول ارشيبالد لويس أن ملك قشتالة[1] استطاع أن يحتل طليطلة عام478هـ/ 1085م، وان يوسع ملكه نحو الجنوب ويجبر أمير اشبيلية وهو آنذاك أقوى أمراء الأندلس على أداء الموال جمة وقام السيد القمبيطور[2] بعمليات سلب مماثلة في بلنسية وما حولها[3] وقام الفونسو[4] كذلك بمطالبة ابن عباد باشبيلية بأداء إتاوة عامين خلال السنة الحالية وجاء ابن عمار[5] كما أراد فرجع وكف باسه وامتلأت نفس المعتمد سرورا بذلك[6]، فالأندلس كانت بصدد الإتلاف لاستيلاء النصارى عليها وأخذهم الإتاوة من ملوكها قاطبة[7].

إن هذه الوضعية المالية للأندلس في أيام ملوك الطوائف كانت ضعيفة، بحيث لم يستطع معها وزير المالية حينذاك أن يسيطر على الوضع[8] فأصبحت مثلا إمارة لورقة ومرسية مهددتان بغزو قشتالي محتوم وافتقد أهالي الأندلس إلى الأمن والسلام فشكوا إلى يوسف ابن تاشفين ما أصابهم من القمبيطور[9] ويحكي لنا النويري وضعية الرعية وموقفهم وموقفهم من الأوضاع المتردية والأطماع الكبيرة من قبل النصارى على الأندلس:" وكثر

---

[1] قشتالة هي ما خلف الجبل المسمى بالشارات من جهة شمال الأندلس ومن مدنها ليون ومدينة لشنش ومدينة مسرة. الحميري: المصدر السابق، ص161، الزهري: المصدر السابق، ص105.

[2] القنبيطور: أو الكمبيادور هو فارس قشتالي واسمه الأصلي رودريجو أو روي دياث أما لقبه "بالسيد" el cid فهو تحريف لكلمة السيد العربية، وقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم وأما وصفة بالكمبيادور el-campeasdor فمعناها المحارب الباسل، ولد بمدينة برغيش سنة435هـ/1043م كان من محاربي سانشو ملك قشتالة وبعدها أصبح من الجنود المرتزقة في خدمة المقتدر بن هود بسرقسطة. عبد الله عنان: المرجع السابق، ص232-234.

[3] ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص235.

[4] هو الفونسو السادس ابن فرنا ندو ملك ليون واشتوريش ثم أصبح لاجئا سياسيا عند ملك طليطلة المأمون بن ذي النون في سنة465هـ/1072م ثم أصبح ملكا لقشتالة في نفس السنة ثم ملك ليون وجليقية ومن ثم بدأت أطماعه التوسعية في طليطلة وخاصة بعد سنة471هـ/1078م، فتم له فتحها سنة(478هـ/1085م)، وعادت هذه المدينة عاصمة لاسبانيا النصرانية وأصبحت مركز رئيسي للكنيسة الاسبانية. عبد الله عنان: نفس المرجع، ص390-395.

[5] هو أبو بكر محمد بن عمار أصله من شلب من قرية تسمى شنبوس وكان خامل الذكر ورد مدينة شلب طفلا فنشا بها وتلقى الأدب على علمائها، ثم رحل إلى قرطبة وأصبح يتكسب بصناعة الشعر، ثم ترقى إلى وزيرا للمعتمد في مدينة شلب ووكل إليه أموره ثم أصبح وزيره في اشبيلية بعدما آل الأمر إليه. علي ادهم: المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية للطباعة، مصر، ص94-96.

[6] المراكشي عبد الواحد: المصدر السابق، ص180.

[7] نفسه: ص195.

[8] أمحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن 5هـ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، أسمير (المغرب الأقصى) دون تاريخ، ص77-79.

[9] عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص83-84.

الدعاء لأمير المسلمين ابن تاشفين بالأندلس في المساجد وعلى المنابر وانتشر له الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعا فيها[1].

لكن رغم كل هذا الوضع فإن هناك فئة قليلة من التجار قد استفادت من هذه الأوضاع الغير مستقرة لتعقد بعض الصفقات الرابحة لصالحها وعلى الأخص فئة ممن يجمعون الضرائب وأصحاب الجاه والسلطان وبعض كبار التجار، لكن يبقى هذا احتمال لأننا لا نملك الأدلة للبرهنة على ذلك؛ إلا ما يظهر من أن المجتمع الأندلسي رغم الضغوط فإنه ما زال محافظا على بقائه بالأندلس وهو في حاجة دائمة إلى السلع الضرورية، بل وحتى الكمالية بالنسبة لفئة الأثرياء من ذلك المجتمع.

- **العوامـل الاجتماعية:**

-الهجرة السكانية بسبب الوضع الأمني:

إن الوضعية السيئة للأندلس خلال القرن5هـ/11م من الظلم وعدم انتشار الأمن كان من نتائجه ظهور الهجرة الداخلية والخارجية، وهذا ما سبب نقصا كبيرا في السكان سواء العاملين في حقل التجارة، أو الفئة المستهلكة عامة، يضاف إلى هذا القتل الذي تفشى سواء في بداية القرن4هـ/10م، أو خلال القرن5هـ/11م، وكان من أسباب هذه الهجرة كذلك ظهور سنوات القحط والمجاعة بالأندلس، فقلت السلع، وارتفعت الأسعار، وأصبح المجتمع مضطربا غير مستقر، فاضطر الكثير من أفراده إلى الهجرة، بحثا عن ما يسد حاجتهم، فسنوات القحط المتتالية كان لها تأثيرها الواضح في حياة المجتمع الأندلسي.

---

[1] النويري أحمد بن عبد الوهاب: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق، مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، ص486.

فالملاحظ انه بعد ما كانت الأندلس وجهة للهجرة من شمال افريقية، والمغرب، ومن المشرق الإسلامي، أصبحت في بعض الفترات على العكس من ذلك، وهؤلاء السكان سواء كانوا ا تجارا أو سكانا بسطاء فان المجتمع لا يستطيع الاستغناء عنهم باعتبارهم قطاعا مستهلكا هاما، وباعتبار أن التجارة لا تنشط إلا في وسط تكون الكثافة السكانية فيه عالية ليكون الإقبال على الأسواق والمنتجات كبيرا، فنجد أن سليمان بن بيطير مثلا بعد أن كان مستقرا بقرطبة خرج مهاجرا إلى مالقه بعد زمن الفتنة[1]، وعاد احمد بن محمد إلى مصر بعد رحلة قام بها إلى الأندلس، فكانت عودته بسبب الفتن القائمة، هناك خلال القرن4هـ/10م[2]، وخرج أبو العلاء صاعد[3] أيام الفتنة من الأندلس قاصدا صقلية سنة417هـ/1026م[4] وانتقل يوسف العبدري إلى مرسية في زمن الفتنة[5].

من ذلك ما حدث لأحمد بن عفيف[6] الذي كان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة أيام محمد المهدي، فلما وقعت الفتنة خرج عن قرطبة فيمن خرج عنها وقصد ألمرية، وكذلك من آثار هذه الفتنة اختفاء الكثير من علماء الأندلس فيقول المراكشي عن ذهاب الفضلاء والعلماء في مثل هذه الفتن:" وذهب فيها من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين خلق كثير"[7] ومن ذلك ابن الجباب[1] الذي قتلته البربر يوم دخولهم قرطبة

---

1 سليمان بن بيطير بن ربيع الكلبي أبو أيوب، قرطبي كان رجلا صالحا حافظا للمسائل. القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2/ص305.

2 احمد بن محمد بن سعدي أبو عمر فقيه فاضل محدث رحل قبل سنة400هـ/1009م فلقي أبا محمد بن أبي زيد بالقيروان وقد عاد إلى مصر بعد رجوعه إلى الأندلس أيام الفتن الكائنة بالمغرب. الضبي احمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق، روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997،ص 134- 135.

3 أبو العلاء صاعد بن الحسين ألربعي اللغوي ورد من المشرق إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم المؤيد وولاية المنصور بن أبي عامر في حدود سنة 380هـ، واصله من ديار الموصل، وقد أكرمه المنصور وبالغ في الإحسان إليه. الضبي: نفسه، ص280.

4 الحميدي: المصدر السابق، ص280، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص83.

5 يوسف بن إبراهيم العبدري أبو الحجاج المعروف بالتغزري، ففيه محدث رواية عارف أديب انتقل إلى مرسية في الفتنة وصار خطيبا بقرية من قرى اريولة، وقد اقتنع ولم يتعرض للظهور. الضبي: نفس المصدر، ص426.

6 احمد بن عفيف بن عبد الله بن مديوال بن مراح بن حاتم الاموى من أهل قرطبة يكنى أبا عمر روى عن احمد بن خالد التاجر وعني بالفقه وعقد الوثائق والشروط وصنف في أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة وتولى عقد الوثائق لمحمد المهدي فلما كانت الفتنة خرج إلى المرية وقصد خيران ومازال بها إلى أن توفى سنة 420هـ/1029م. ابن بشكوال ابوالقاسم خلف بن عبد الله: الصلة في تاريخ علماء الأندلس، شرحه وقدم له، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ص47-48.

7 عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص88-89.

7 عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص88-89.

سنة403هـ/1012م[2]، كما امتحنت البرابرة أبا المطرف عبد الرحمان الأنصاري[3] مما أودى بحياته وفي سنة432هـ/1040م[4] وكذلك عبد الله الثقفي الذي قتله البربر بقرطبة سنة403هـ/1012م[5]، وكذلك قتل محمد الجالطي[6] وكان خطيبا بالزهراء فعطله البربر وقتلوه سنة403هـ/1012م[7]، والظاهر أن الكثير من العلماء كانوا تجارا وأصحاب مناصب في فترة الخلافة وهذا ما يدعوهم للتشبث ببيعة الخليفة الشرعي.

إن ما تذكره كتب التراجم ماهو إلا نزر يسير من فئة الأعيان الذين قتلوا أو هاجروا من الأندلس إلى غيرها من البلدان بل الظاهر أن ما لم يذكر هو الأكثر وخاصة من عامة المجتمع، وهذا ما يؤدي إلى اختفاء فئة استهلاكية كبيرة من المجتمع الأندلسي عن طريق الهجرة والقتل الجماعي.

وكذلك من بين أسباب تناقص السكان بالأندلس في هذه الفترة نجد الحروب الداخلية المستمرة والعنيفة، فيذكر ابن حيان:"أن أهل حاضرة البيرة قتل منهم في إحدى الوقائع اثنا عشر ألف رجل، وكما قتل منهم أزيد من سبعة آلاف رجل بقيادة الجعد[8] وحملت اكثرمن خمسمائة رأس من بعض المارقين إلي ساحته قرطبة[9].

وفي أيام الفتنة كثر القتل في جيش المهدي فراح ضحيتها الكثير من الفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين ومن خيار أهل قرطبة[10]، فيقول المراكشي عن المجازر الجماعية بين

---

1 ابن الجباب احمد بن محمد بن مسعود من أهل قرطبة يكنى أبا عمر كانت له عناية بالعلم، قتلته البربر يوم دخولهم قرطبة يوم الاثنين سنة403هـ/1012م. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1/ص38 ترجمة 45.

2 نفسه: ص47، ترجمة75.

3 عبد الرحمن بن هارون الانصاري وكان هو الأخر ممن امتحنته البرابرة في الفتنة أيام ظهورهم على قرطبة، وقد أودت بحاله وقدحت في خاطره. القاضي عياض: المصدر السابق، ج2/ص299.

4 نفس المصدر والصفحة.

5 ابن الأبار محمد بن عبد الله أبو عبيد الله القضاعي البلنسي: كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995، ج2/ترجمة868.

6 الجالطي محمد بن قاسم بن محمد الأموي أبا عبد الله من أهل قرطبة وكان من أهل العلم والأدب والدراية والرواية وكان حافظا للفقه ذاكرا للأخبار بصيرا بالعقود والوثائق ولي القضاء سنة395هـ/1004م، وتقلد أحكام الشرطة للخليفة هشام بن الحكم، وقتل في أيام الفتنة سنة403هـ/1012م وكان مولده سنة336هـ/947م. ابن بشكوال: نفس المصدر، ص388.

7 الضبي: المصدر السابق، ص107، ترجمة 261 .

8 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص54-62.

9 نفسه: ص100.

10 ابن بسام: المصدر السابق، ج1/ص30-31.

الأندلسيين والبربر"فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من عامة قرطبة مع المهدي نيف وعشرون ألف رجل[1].

إنه لايهمنا هنا الجانب السياسي من هذه الصراعات بقدر ما يهمنا الجانب الاقتصادي والاجتماعي لهذا القتل الجماعي فمثل هذه الأرقام في تلك الفترة التاريخية تعتبر كافية لتحدث أزمة في الفئة النشطة الأندلسية سواء في اليد العاملة أو المستهلكة.

ثانيا: الحركة التجارية في الأسواق الأندلسية:

-أنواع الأسواق:

كانت التجارة بالأندلس تتركز في الأماكن التي يكثر فيها عدد السكان سواء من التجار أو أصحاب الحرف أو المستهلكين، وعلى هذا الأساس فإن السوق قد يقع في شارع أو أكثر أو في رحبة عند ملتقى الطرق أو في الارباض الواقعة خارج الأسوار أو على مقربة من احد الأبواب[2] وقد اشتهرت الأندلس وأقاليمها بكثرة الأسواق وتنوعها كما تشير إلى ذلك الكثير من المصادر، فكانت السوق بالأندلس تمثل قلب الدورة الاقتصادية والمرآة العاكسة لحياتها اليومية وحركية أفرادها ونشاطها التجاري والصناعي والفلاحي، فكان يتردد على هذه الأسواق مختلف طبقات الناس من الصناع والعمال والأحرار والعبيد والحمالين وغير ذلك من الفئات الاجتماعية.

نستطيع أن نميز بالأندلس ثلاثة أنواع من الأسواق، تختلف اختلافا نسبيا من حيث الزمان، والمكان، ونوعية وحجم التجارة المقامة فيها، فهناك الأسواق التي تقام في المدينة بصفة مستمرة ودائمة ويومية وكان قسط كبير منها تمثله القيساريات، وهناك الأسواق القروية التي تقام عادة أسبوعيا وفي أيام معلومة، والى جانب ذلك كانت هناك بعض الأسواق التي تقام هي الأخرى في وقت معين وفى أيام مخصوصة من السنة واصطلحنا عليها بالأسواق الموسمية، وسنبدأ بالقيساريات باعتبارها أماكن ثابتة.

1-القيســاريات:

---

[1] المراكشي عبد الواحد: المصدر السابق، ص88-89 .

[2] باشا نجاة: المرجع السابق، ص71، عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص159.

تعد القيساريات[1] من المراكز التي تدل على حجم المدينة وازدهار الحركة التجارية بها، وقد اهتم الأمويون بالأندلس خلال القرن4هـ/10م بإنشاء مثل هذه المرافق خاصة في المدن ذات الأهمية التجارية الكبرى والكثافة السكانية العالية، فوصفت قرطبة العاصمة في أيام الخلافة بكثرة القيساريات الممتدة على طول ضفة النهر الكبير جنبا إلى جنب مع الأسواق، فكانت القيسارية تمثل المركز التجاري الرئيسي للمدينة وهي بمثابة سوق يومي للسكان، بحيث كان يباع في هذه الحوانيت المصنوعات ذات القيمة الرفيعة كالذهب والفضة والسلع الثمينة كالمنسوجات الحريرية والكثير من التجارات الأخرى[2].

فالقيسارية في ذاتها مدينة صغيرة تشتمل على الكثير من الأزقة ويسهر على حمايتها درا بون أو حراس معهم كلاب لحراستها[3]، وكانت تتألف من شبكة من الطرقات الضيقة المسقوفة، كما خصص الناصر لدين الله عند بناء مدينة ألمرية مكانا للقيسارية التي تضم عددا من الحوانيت[4] ويقول العذري بأنها تقع في الجانب الغربي من المدينة[5]، وإلى الجنوب الشرقي من المسجد الجامع، وكانت تعرف هذه القيسارية زمن الخلافة باسم السوق العظمى لكنها تعرضت لحريق كبير سنة324هـ، ثم أعاد بناءها الخليفة الناصر.

ثم جاء بعده الخليفة الحكم المستنصر، فاتخذها قيسارية للتجار، وتوسعت بها السوق[6]، وقد أعيدت السوق في هذا الوقت أحسن مما كانت عليه، وجعل بها سقف الخشب المقرمد، فاكتملت بذلك محاسن سوق قرطبة[7]، ويقول ابن الخطيب عن مدينة مالقة بأن سككها غاصة، وأسواقها بالدكاكين متراصة[8]، ويذكر العذري أن ببلنسية باب يعرف بباب

---

[1] القيسارية: هي عبارة عن بناء مؤلف من شبكة من الطرقات الضيقة المسقوفة، أو ممرات تدور حول بهو فسيح تتفتح عليها الحوانيت، وتعتبر القيسارية المركز الرئيسي للتجارة في المدينة، وتجري كل الأمور التجارية فيها. احمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون تاريخ، ص278، كمال السيد: المرجع السابق، ص304.

[2] الطوخي: نفسه، ص278.

[3] الطوخي: نفسه، ص279، السيد عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى، عن كتاب: بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، القسم(2)، ص17.

[4] حمود البكر: المرجع السابق، ص245-246.

[5] العذري: المصدر السابق، ص86.

[6] العذري: نفسه، ص05.

[7] ابن حيان: نشر شالميتا، المصدر السابق، ج5/ص383، كمال السيد: نفس المرجع، ص306.

[8] ابن الخطيب لسان الدين: مفاخرات بين مالقة وسلا، ضمن مجموع مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، جمع، احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983، ص62.

بباب القيسارية، ولا شك أن هذا الباب كان مدخلا إلى المدينة يصادف القيسارية مباشرة[1].

أما عن حوانيت القيسارية فكانت صغيرة، وضيقة، ولذا فإن البائع لا يحتاج للتحرك الكثير لإحضار السلع من مواضعها، فكان للحانوت باب واحد يفتح مباشرة على الشارع أو الممر، وهذا الباب يتكون من ألواح خشبية متحركة وعند فتحه تكون على هيئة مضلة تحمي البائع والمشتري من أشعة الشمس والمطر[2]، فكانت هذه الحوانيت لا تعدو أن تكون تكون أماكن ضيقة قليلة الارتفاع أشبه ما تكون بالخزانات المقامة داخل الجدران وكانت أبوابها تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة يعلوها صلة مائلة من الخشب والحصير وكان يواجه الحانوت حاجز خشبي لبيع السلع يتجاوز عرض الحانوت[3].

2-أسواق المدينـــة:

كان هناك الكثير من الأسواق المقامة بالمدن الأندلسية، ولا تكاد تخلو مدينة من هذه الأسواق، غير أنها تتفاوت بين السوق الكبيرة، والمتوسطة، والسوق التجارية الصغيرة، فنجد مصطلح "سوق عامرة" يتردد كثيرا في مصادر تلك الفترة، كما أننا نجد أسواق المدن تنسب إلى الحرف التي تقام بها، فابن حوقل عند زيارته للأندلس يذكر أن اشبيلية مشهورة بالتجارات والأسواق[4]، ويضيف الإدريسي أن بها أسواقا كثيرة، ويقول عن قرطبة انه ليس بجميع المغرب، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في فسحة أسواق، ونظافة محال، وكثرة أهل وهي في ذاتها مدن يتلو بعضها بعضا، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق[5]، ويصف الحميري إستجه بأنها واسعة الارباض ذات أسواق عامرة[6]، وكان عبد الرحمان الناصر لما ابتنى مدينة الزهراء قام بتخطيط الأسواق فيها، واجتلب إليها العامة[7]، فكانت إذن معظم مدن الأندلس مليئة بالأسواق المشهودة العامرة، والتجارات، والحط والإقلاع[8].

---

[1] العذري: المصدر السابق، ص18.
[2] كمال السيد: المرجع السابق، ص306-307.
[3] عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران، المرجع السابق، ص14.
[4] ابن حوقل: المصدر السابق، ص115.
[5] ابن حوقل: نفسه، ص111، الادريسي: المصدر السابق، ص302-303.
[6] الحميري: المصدر السابق، ص14-15.
[7] ابن حوقل: المصدر السابق، ص111-112.
[8] الإدريسي: المصدر السابق، ص 265-300.

بالإضافة إلى هذه الأسواق هناك أسواق أهل الحرف مثل: سوق البزازين[1]، الصباغين[2]، الحذائين، والعطارين[3]، والخياطين[4]، والأسماك وغيرها، وهناك من كانت كانت لهم حوانيت لبيع الوجبات الغذائية للصناع والتجار، وكانت أسواقهم مقسمة فلكل مكانه ووجهته التي يحددها له صاحب السوق وبالإضافة إلى هذه الأسواق التي كان بداخل المدينة وفي أرياضها بعض الأماكن التي تحمل اسم السويقة، والظاهر أن بعض صغار التجار كانوا يتجمعون فيها وتقع غالبا خارج الأسوار كسويقة ابن أبي سفيان بقرطبة وسويقات بلنسية وميورقة[5] وقونكة[6] وسويقة ابن نصير وسويقة المسمار قرب جامع اشبيلية[7].

ومن الواضح أن الأسواق التجارية بالمدينة كانت تتخذ بجوار المساجد، فكانت رحبة المسجد الأعظم بغرناطة تعج بالسلع التجارية، وفي المنطقة الضيقة التي كانت تقع بين السقاطين ومجرى نهر حدرة[8] فكان موقع السوق بجوار المسجد يمثل مكانا هاما لاجتماع الناس بحيث يسهل عليهم شراء ما يحتاجونه دون الحاجة إلى الانتقال بعيدا، فيشير

---

1 البزازين:البز من الثياب هي أمتعة البزاز والبزة الهيئة والبزازين هم الذين يمثلون صناعة أقمشة البز. ابن عبد الرءوف احمد القرطبي: آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، فاطمة الادريسي. دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، ص65.

2 الصباغين: وهم من يمتهنون حرفة الصباغة و تلوين الثياب. ابن مكانس فخر الدين المصري: محاورة بين أهل الحرف، تحقيق وتعليق، أمينة محمد جمال، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، بدون بلد، ط1، 1997، ص41.

3 العطارين: وهم صانعو وبائعو العطور وهم يلتقون في صناعتهم مع الصيادلة إذ هم يعانون صناعة الأعشاب وغيرها. السقطي: المصدر السابق، ص67-68، ابن مكانس: محاورة بين أهل الحرف، نفس المصدر، ص37-38.

4 الخياطين: هم من يمتهنون حرفة خياطة وترقيع الثياب، ابن مكانس، نفس المصدر، ص42-43.

5 ميورقة: جزيرة في البحر الزقاقي بالأندلس تقابلها بجاية من بر العدوة، ومن الجوف برشلونة ومن الشرق منورقة وجزيرة سردانية، وغربيها جزيرة يابسة وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق70ميلا وعرضها50ميلا، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 3640كم^2. الحميري: المصدر السابق، ص188-189،ابن عميرة أبوالمطرف احمد المخزومي: تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص26.

6 قونكة: إقليم بالأندلس يمر عليها نهر شقر ومن قرية والمو . الحميري: نفسه، ص194.

7 ابن بشكوال: المصدر السابق، رقم444، كمال السيد: المرجع السابق، ص302.

8 ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى: وصف افريقية والمغرب والأندلس، مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، نشر وتعليق، حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، ص106، الطوخي: المرجع السابق، ص275.

الونشريسي إلى ذلك:"انه ينبغي المحافظة على المساجد مما يقوم به الناس من جلب الحطب والبقول وما إليها ووضعها في حوانيت ملاصقة للمسجد فيصيبه الوسخ بسبب ذلك[1].

ويقول عبد العزيز سالم بأن الأسواق العامرة بالثياب والديباج وحوانيت العطور والصاغة كانت تقام في ساحة المسجد الجامع ورحبته المحيطة به ومن هذا المكان كانت تتفرع الطرق والدروب الرئيسية، فكان الباعة والزبائن يتجولون في هذه الأماكن لقضاء حوائجهم، وكان بغرناطة جامع من أبدع الجوامع وتحف به دكاكين العطارين[2] وكانت تنتظم السوق الخاصة بمواد الاستهلاك العادي أو بمواد الترف وبيع الأقمشة والثياب الجاهزة على السماط الأعظم الواصلة إلى الجامع الأعظم[3].

وكانت بعض الأسواق تقع في ربض المدينة كأسواق النخاسة وأسواق الدواب التي انتشرت في عدد من مدن الأندلس وكانت مرتبطة على الخصوص بتجارة الرقيق من الغلمان والجواري، وأصناف الماشية من أغنام وأبقار وابل وخيول وبغال وحمير، وكان القصد من جعل مثل هذه الأسواق خارج المدينة الحرص على نظافتها والتخلص من الروائح الكريهة التي تصدر عن الدواب وتؤذي الناس[4].

وكانت عملية البيع لا تتم إلا بعد إجراء الفحص اللازم للدابة بواسطة البيطار للتأكد من سلامتها[5]، ومن هذا ما روي انه دخل رجلا على الناصر لدين الله في مجلسه فذكر انه انه اشترى حمارا فوجد فيه عيبا فأخبر القاضي بذلك، لكن القاضي بعد أن استطلع تجار الدواب وأهل السوق قرروا أن هذا العيب جديد ولم يكن موجودا في الحمار عند شرائه فألزموه به، فغضب الناصر لدين الله وقال:" تجاوزت القاضي وأهل السوق إلى الخليفة في هذه المسالة الوضيعة، ثم أمر به فضرب[6].

---

1 الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل الأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف علي الحجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1981، ج7/ص482 ،ج8/ص443.

2 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص214.

3 باشا نجاة: المرجع السابق، ص52.

4 ابن فرحون برهان الدين اليعمري المالكي: تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام، تخريج وتعليق، جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت،2001 ،ج2 ص261.

5 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، هامش ص110، حمود البكر: المرجع السابق، ص241.

6 ابن سعيد: المصدر السابق، ج1/ص185، حمود البكر: المرجع السابق، ص241.

فكانت تتواجد مثل هذه الأسواق تتواجد بربض كل من مالقة وقرطبة وطرطوشة ولورقة[1] كما كانت هذه الأسواق منتشرة مثلا في أرباض مرسية وطليطلة واشبيلية وشاطبة[2]؛ فكان سعيد بن جودي[3] زعيم العرب في إلبيرة كثيرا ما يرتاد سوق النخاسة في قرطبة للبحث عن الجواري الحسناوات[4].

لكن الظاهر أن هذه الأسواق قد ازدهرت أيام الفترة الأموية خلال القرن4هـ/10م بسبب كثرة الغارات على النصارى في الشمال وكذلك لاستقرار الدولة، وبروز الأندلس في هذه الفترة كقوة عسكرية واقتصادية عظمى في الغرب الاسلامى، أما في فترة ملوك الطوائف فالظاهر أن هذه الأسواق قد تراجعت إن لم نقل قد اختفى بعضها بسبب انسداد طريق الشمال الذي كان مصدرا مهما يأتي منه العبيد الصقلبي، وكذلك ركون هذه الدويلات إلى الاهتمام بالأوضاع السياسية الداخلية وترك الغزو، بالإضافة إلى نقص الأموال عند الرعية الأندلسية بسبب الضغوطات المستمرة من قبل النصارى لطلب الجزيات المستمرة على ملوك الطوائف ولجوء هؤلاء إلى ابتزاز الأموال من الرعية وخاصة من التجار والمزارعين.

3- الأسواق الأسبوعية:

وهذه الأسواق تعقد في يوم معلوم من أيام الأسبوع، ويهجرها تجارها وروادها في الأيام الأخرى، وغالبا ما كانت هذه الأسواق تقام في المناطق القروية، فتذكر كتب

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق ص108، المقدسي: المصدر السابق، ص233، الإدريسي: المصدر السابق، ص196، الحميري: المصدر السابق، ص124،ص178.

[2] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص299 السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية وأثرية في العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت،1971،ج1/ص182.

[3] سعيد بن سليمان بن جودي بن اسباط بن إدريس السعدي أبو عثمان، ينسب إلى هوازن من جند قنسرين ولي جده اسباط الشرطة للحكم الربضي، ثم ولي قضاء البيرة، ثم أصبح بعده سعيد بن جودي أميرا للعرب بإلبيرة، فكان سياسيا بارعا ومقاتلا باسلا قد هابه حتى ابن حفصون لشجاعته كما كان في فنون العلم والأدب ذا نباهة قد هابه، قتل غيلة على ايدي بعض أصحابه سنة284هـ. ابن الابار ابوعبد الله القضاعي: الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ،ط2،1985،ج1/ص154-156، ترجمة57 .

[4] حمود البكر: نفس المرجع، ص244.

الجغرافيا والرحلات عدة أسواق كانت تقام في القرى المحيطة بالمدن، فكان مثلا في قبرة وقرمونة سوق جامعة يوم الخميس، أما شوذر[1] ففيها سوق جامعة يوم الثلاثاء[2]، وكانت هناك أسواق أسبوعية أخرى في قرى كورة جيان وربض لورقة وبيانة[3]، وقد احتفظت بعض المناطق بهذه التسميات إلى حد الآن، فمنها مكان بمنطقة وشقة[4] كان يسمى سوق الثلاثاء، ووجد مكان ببطليوس يسمى سوق الأحد[5]، وكانت هذه الأسواق تتوزع على طيلة أيام الأسبوع فهناك سوق السبت سوق الثلاثاء وسوق الأحد وسوق الأربعاء[6].

ويبدو أن هذه الأسواق كانت تتعلق بتجار معينين يخصصون يوما معلوما لكل قرية قريبة منهم فكان التجار الرحل أو المتجولون إذا أقاموا سوقهم يوما في منطقة ما، أقاموه يوما في منطقة أخرى، وهكذا طيلة أيام الأسبوع، والظاهر أنهم كانوا يتجهزون بالسلع من أسواق المدينة، أي من تجار الجملة فيحملون معهم بعض السلع المستوردة والمحلية المصنعة من قبل الحرفيين في المدن، ثم يعودون معهم ببعض السلع التي تحتاجها المدينة من تلك القرى .

4- الأسواق الموسميـة:

أما هذه الأسواق فكانت تعقد في مناسبات ومواسم مختلفة على مدار السنة، ومنها ما كان يقوم دوريا وبانتظام في فترات معلومة ومتباعدة، ومنه ما يأتي فجأة كالأسواق التي تقام إلى جانب المعارك والمحلات والحشود العسكرية بتوفير ما تحتاجه الجيوش،[7] وكان يقصد هذه الأسواق الكثير من التجار من المناطق البعيدة، فكان لهذه الأسواق دور هام وخاصة الأسواق التي تقام بجانب المحلات العسكرية، وهي متعلقة على الخصوص بتوفير

---

[1] شوذر: بالأندلس من كور جيان، وهي قرية تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها، وبها سوق حافلة. الحميري: المصدر السابق، ص117.

[2] الحميري: نفس المصدر والصفحة. حمود البكر: المرجع السابق، ص244، كمال السيد: المرجع السابق، ص303.

[3] الحميري: نفسه، ص171، الإدريسي: المصدر السابق، ص296.

[4] وشقة: Huesca مدينة بالأندلس تقع بشرقي مدينة تطيلة، تبعد عن سرقسطة ب50ميلا، وهي تتصل باحواز بربطانية، الحميري: نفس المصدر، ص194-195، العذري: المصدر السابق، ص55.

[5] كمال السيد: نفس المرجع، ص303.

[6] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص142.

[7] عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983، ص293.

سلع معينة يحتاجها الجيش في فترات معينة دون أخرى، وكان يقام السوق بالقرب من المحلات العسكرية حتى يثبث الجيش ويقاوم ويحاصر الحصون والقلاع بشدة ولا يحتاج إلى شيء.

فيروى أن الناصر لدين الله أمر بأن تحمل السلع والبضائع من سوق قرطبة إلى قلعة ببشتر[1]، وأمر ببناء حصن إلى جانب هذه القلعة في موضع يقال له طلجيرة، وعندما فرغ منه أسكنه بالرجال وجلب إليه الميرة وبنى فيه الأسواق وتمكن بعد ذلك من تضييق الخناق على ببشتر حتى افتتحها[2]، ويذكر الإدريسي بعض هذه الأسواق المعهودة في حصن آشير[3] وحصن بكيران[4]، وحصن القبذاق[5].

وقد تشكل بعض المناسبات مثل عيد الأضحى موسما لتجارة الماشية وغيرها من السلع، فيذكر أبو عبد الله الثقفي أنه كان يجتمع له في موسم كل عيد، عشرون كبشا ومائة دجاجة، وإوز ونِعم لا تحصى[6]، وهذه السلع والهدايا لا تأتي إلا في موسم يتنافس فيه الناس في البيع والشراء، مما يدلنا على ازدياد وانتعاش حركة السوق في موسم عيد الأضحى بإقبال المسلمين على شراء الأضاحي.

ولكن مع ذلك فان المصادر لا تسعفنا بتقديم أدلة تفصيلية وافية، عما كانت عليه الأسواق بدقة سواء في فترة الخلافة أو ملوك الطوائف.

وقد كان لليهود نشاط كبير في أسواق الأندلس فكانوا يقومون بعدة أعمال تجارية، فعملوا كسماسرة ووسطاء في العمليات التجارية، كما كانت تقتصر بعض أعمال اليهود

---

[1] ببشتر babastro: وهو حصن منيع بالأندلس بينه وبين قرطبة 80 ميلا، وقد كان قاعدة العجم، وهو كثير الديارات والكنائس، وله قرى كثيرة، وبه الكثير من الخيرات، ولكنها الآن قليلة بسبب فتنة ابن حفصون التي أتت على أكثر خيراتها. الحميري: المصدر السابق: ص: 37.

[2] ابن حيان : نشر شالميتا، المصدر السابق، ج5/ص211.

[3] أشير Iznajar: وهو حصن بالأندلس يبعد عن مدينة أرشدونة بـــ20 ميلا، وعن باغة بـــ18 ميلا، وهو آهل كثر العمارة وله سوق مشهودة، الإدريسي: المصدر السابق، ص298.

[4] بكيران: وهو حصن بالأندلس يبعد عن شاطبة غربا بـــ40 ميلا، وعن دانية ومدينة آلش كذلك بـــ40 ميلا، وهو حصن منيع عامر وله سوق مشهودة وتصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية، الإدريسي: نفسه، ص282.

[5] القبذاق Alcaudete: وهو حصن بالأندلس يقع في الناحية الشرقية لمدينة باغة بينهما مرحلة خفيفة، ويبعد عن حصن بيانة بمرحلة خفيفة كذلك، وهذا الحصن كبير عامر، وهو في سفح جبل وبه سوق مشهودة، الإدريسي: نفسه، ص299.

[6] ابن جلجل أبي داوود سليمان بن حسان: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955، ص111.

على الدلال لإشهار البضائع للبيع، معلنا عن أثمانها مشرفا على عمليات المزايدة فربطوا الصلة بين الباعة(تجار السوق) وبين المشترين(الزبون المستهلك).

وكذلك بأسواق الريف الأندلسي كتجار وباعة متجولين، والظاهر أن هذا العمل حكم به بعض اليهود الضعفاء ماديا والذين لم تسمح لهم إمكانياتهم ورؤوس أموالهم من المشاركة في التجارة العالمية(الاستيراد والتصدير) فهناك بعض الإشارات إلى تجارة الريف لدى بعض اليهود ولكنها على نطاق ضيق إذ كان هناك باعة متجولين في المداشر[1]، وهذا استغلالا منهم لحالة أهل الريف الذين لا يدخلون إلى الأسواق فلم يكن من الحزم في ذلك الوقت أن يغامر الريفي بدخول السوق للبيع والشراء، فهو لا يعرف مقاصد السوق ولذلك كان أهل الريف إذا دخلوا بأسواق المدينة في دهشة متزايدة وفي حيرة لا يدرون أي مسلك يسلكون وأي مخرج يؤدون[2].

ثالثا: تنظيم وإدارة السوق بالأندلس:

1-الرقابة العامة في المدينة:

كانت خطة السوق[3] بالأندلس نوعا من أنواع القضاء الذي يتميز بسرعة البت في القضايا، لكنها تختلف عنه وعن خطة المظالم من بعض الأوجه.

فكانت مثلا ولاية المظالم[4]، تقوم في الأشياء التي عجز عنها القضاة، أما الحسبة فتقوم في الأشياء التي ينزه عنها القضاة كالخصومات اليومية في الأسواق والتعرض للناس

---

[1] الونشريسي: المعيار المعرب، المصدر السابق، ج5/ص250، كواتي مسعود: اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، دون تاريخ، ص156-157.

[2] باشا نجاة: المرجع السابق، ص53.

[3] كان لفظ الحسبة هو المصطلح السائد في بلاد المشرق، أما في الأندلس فيطلق على هذه الخطة ولاية السوق وصاحبها يعد من الحكام الستة الذين تجري على أيديهم الأحكام، ويسمى من يتولاها صاحب السوق، وهذه التسمية هي السائدة في كتب التراجم الأندلسية ،ويتضح ذلك من قول ابن حيان 'والحسبة هي المعروفة عندنا بولاية السوق". ابن حيان: المقتبس، المصدر السابق، ص176، مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة العربية، 1997، ص255.

[4] يقول الونشريسي أن رتبة المظالم أعلى من رتبة الحسبة إذ يجوز لوالي المظالم أن يحكم وليس للمحتسب ذلك وكذلك له أن يرجع للقاضي والمحتسب، والمحتسب لا يرفع لأحد منهما، فمنصبه يحتاج إلى نفوذ الأمر وعظم الهيبة والعفة وسطوة الحماة وتشبث القضاة، فلا بد أن تمتزج فيه قوة السلطان ونصفة القضاة. الونشريسي: كتاب الولايات

من غش وخديعة وتفقد المكاييل والموازين، فترتبط نشأة هذه الخطة بالأندلس في الحاجة إلى تغيير المناكر العامة في الطرقات والأسواق بصورة أكثر فاعلية[1]، وكان صاحب السوق بالأندلس يتقلد وظيفته من طرف القاضي بعد موافقة الخليفة وصاحب المدينة[2]، وبعد أن تتوفر فيه بعض الشروط كالتجربة والمروءة والتعفف مما في أيدي الناس حتى لا يؤدي به ذلك إلى أخذ الرشوة من التجار وأهل الحرف والصناعات بالأسواق مقابل السكوت عن المنكر[3]، كما كان القاضي هو الذي يهتم برزقه وبجميع أموره.

لقد كانت الحاجة إلى صاحب السوق ضرورية لأن الناس بطبعهم محوجون مخالبون أشرار[4]، كما أن هذه الوظيفة تخدم القضاء بصفة مباشرة، فصاحب السوق في نفسه قاضي إداري يحكم في دائرة اختصاصه، وقد ينوب عن القاضي في مباشرة بعض الأحكام عند الضرورة، كما أن صاحب السوق يباشر التعامل في الأسواق مع شرار الناس[5].

وعلى العموم فإن هذه الخطة كانت بالأندلس قائمة على أحسن وجه، وقد ظهر في هذه الفترة الكثير ممن تولوا خطة السوق فتفاوتت أحكامهم ما بين القسوة والضغط في إقامة الأحكام، وبين المرونة في التعامل مع الناس وقد جمع صاحب السوق أحيانا بين هذه الخطة وخطة الشرطة. بالإضافة إلى أنه كان بعض العلماء التجار يجلسون في الأسواق ويعملون كمرشدين للناس، فكان من هؤلاء أحمد بن هلال مثلا مفتيا للسوق في قرطبة[6]، كما كان يجتمع أهل الحسبة على أحمد بن محمد بن زكرياء في قرطبة للاستفادة منه[7] وأبو لحسن بن الأشبيلي التاجر والذي لم يدع تجارته بسوقه وكان مرشدا لمن استفتاه[8]. كما كان محمد

ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تعليق، محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985، ص32-33.

[1] الونشريسي: الولايات، نفسه، ص28، ابن عبدون: المصدر السابق، ص20.

[2] ابن عبدون: نفسه، ص20، موسى لقبال: الحياة اليومية لمجتمع المدينة، دار هومة، الجزائر، 2002، ص40.

[3] ابن عبدون: نفسه، ص40.

[4] ابن عبدون: نفسه، ص20-21.

[5] موسى لقبال: نفس المرجع، ص41.

[6] أحمد بن هلال بن زيد العطار أبي عمر قرطبي: كان حافظا للشروط نبيلا في الرأي على مذهب المالكية، ولد سنة272هـ وتوفي سنة364هـ/974م. القاضي عياض: المصدر السابق، ج1/ص186.

[7] أحمد بن محمد بن زكرياء، ابن الوليد بن عبد الرحمن المعروف بالصافي يكنى أبا بكر من أهل قرطبة توفي سنة363هـ/973م. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق، روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص30، ترجمة 162.

[8] أبو الحسن بن الأشبيلي، يعرف بالخزان من أهل قرطبة وقد عني بالعلم، فرزق علما وجاها توفي سنة447هـ/1055م. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، المصدر السابق، ص216، ترجمة709.

بن فيل الحماد يتجر(بالسوق) ويفتي أهل السوق بقرطبة[1]، وقد كان هؤلاء يحملون على إنكار بعض المنكرات دون التعرض للناس ويدخل عملهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون الإكراه في ذلك، لكنهم في الحقيقة يساعدون صاحب السوق في عمله؛ وممن تولى هذه الخطة نجد أحمد بن نصر الذي كان يلي خطة الشرطة والسوق بمدينة جيان[2]، كما تولى هذه الخطة بطليطلة خلف بن بقي التجيبي، وممن كان بقرطبة خلف بن سعيد الكلبي القرطبي[3]، وكان أحمد بن يونس الجذامي ممن ولاه هشام المؤيد خطتي السوق والشرطة، كما كان إسماعيل بن بدر القرطبي واليا لأحكام السوق في أيام الناصر لدين الله، وكان محمود السيرة في أمره[4].

أما في فترة ملوك الطوائف فنجد محمد بن أبي طالب القيسي وقد جمع إلى جانب وظيفتي السوق والشرطة بقرطبة، النظر في الأحباس وأمانة الجامع في نفس المدينة، وكذلك ممن تولوا هذه الخطة عبد الرحمن بن مخلد القرطبي والذي عينه أبو الوليد بن جهور خطتي الشرطة والسوق فقام بمهمته خير قيام إلى غاية وفاته سنة437هـ /1045م[5]، كما كان عبد العزيز بن محمد اليحصبي صاحب الأحكام والحسبة بمرسية وقد وقد توفي على خير عمله بها[6].

لكن مع هذا فإنه كانت تقع بعض المناوشات بين التجار أنفسهم وأصحاب السوق[7]، ولذلك كان أحيانا يظهر بعض التعسف من هؤلاء في هذه الولاية وخاصة من جمعت لهم

---

[1] محمد بن فضيل بن هذيل الحراد أبو عبد الله سمع من عمر بن لبابة، وكان حافظا للمذهب عالما بالرأي والشروط، وكان يتجر في سوق الحديد ويفتي أهل السوق بقرطبة، استشهد في غزوة الخندق سنة327هـ/938م. القاضي عياض: نفس المصدر، ج5/ص93.

[2] أحمد بن نصر بن خالد من أهل قرطبة يكنى أبا عمر، أصله من طليطلة، وقد توفي سنة370هـ/980م، ابن الفرضي: نفس المصدر، ص 51، ترجمة167.

[3] خلف بن بقي بن سعيد بن بقي التجيبي، يكنى أبا بكر وهو من أهل طليطلة تولى أحكام السوق ببلده وكان يجلس لها في الجامع وكان صليبا في الحق. ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1/ص148، ترجمة375، وقد تولى أيوب بن سليمان المعافري وهو من أهل قرطبة وأصله من جيان خطة أحكام السوق ثم عزل عنها كراهية من أهل بلده، وكانت وفاته في سنة302هـ/914م. ابن الفرضي: نفس المصدر، ص78-79، ترجمة267.

[4] إسماعيل بن بدر إسماعيل بن زياد أبا بكر من أهل قرطبة طال عمره إلى أن سمع بعض الناس منه وتسهلوا فيه، وتوفي في أول ولاية الحكم المستنصر سنة351هـ/962م. ابن الفرضي: نفسه، ص64-65، ترجمة216.

[5] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص315-316، موسى لقبال، المرجع السابق، ص42-43.

[6] الضبي: المصدر السابق، ص334-335، ترجمة 1086.

[7] كما فعل فئة من الغشاشين كانت تنادي صاحب السوق وتتكتل ضده وتتهمه بسوء المعاملة وبالاستغلال قصد الإطاحة به وتنحيته من السوق ومنها تألب الخرازين على صاحب السوق ومحاولة إخراجه منه، ومنعه من التصرف والنظر في معاملتهم التجارية وأظهروا عقدا يزعمون فيه إذاية صاحب السوق لهم وإضراره بهم وتسلطه عليهم. ابن سهل

أحكام السوق والشرطة، فكان حبيب بن محمد بن ذكوان يلي هذه الخطة ولكنه صرف عنها لأشياء ظهرت منه[1].

كما عزل أيوب بن سليمان المعافري عن خطة السوق كراهية من أهلها[2]، وعزل خلف بن بقي التجيبي عنها نظرا لصلابته في الحق[3]، كما أننا نجد البعض من هؤلاء من ليس بكفء لهذا المنصب ومنهم حسن بن محمد بن ذكوان القرطبي والذي كان واليا لأحكام الشرطة والسوق ولكنه لم يكن عنده كبير علم وإنما كانت أثرة آثره أبو الوليد بن جهور بها[4].

وعلى العموم فإن ولاية السوق كانت قائمة في الأندلس سواء من طريق رسمي من قبل الدولة أو من قبل عامة الناس، فيقارن المقري بين الديار المصرية والديار المغربية والأندلسية، فيقول أن مصر لا ينكر فيها إظهار أواني الخمر ولا آلات الطرب... وغير ذلك مما ينكر ببلاد المغرب[5].

أبي الاصبغ عيسى الجياني، ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق، يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007، ص600، الهروس مصطفى، المرجع السابق، ص255-256.

1 حسن بن محمد بن ذكوان من أهل قرطبة، استقضاه أبو الوليد محمد بن جدور بقرطبة ثم صرف عن أحكام القضاء وبقي معطلا في داره إلى أن توفي سنة 451. ابن بشكوال: نفس المصدر، ص126-127 ترجمة213، ابن سعيد: المصدر السابق، ج1/ص160-161، موسى لقبال: نفس المرجع، ص42.

2 ابن الفرضي: المصدر السابق، ص78-79.

3 ابن بشكوال: نفس المصدر، ص148.

4 ابن بشكوال: نفسه، ص126-127.

5 المقري: المصدر السابق، ج2/ص349.

2- مراقبة الأسعار:

كان صاحب السوق يعمل جاهدا على تنظيم واستقرار الأسعار وخاصة بالنسبة للمواد الضرورية وجعلها في متناول المستهلك الأندلسي، وهذا بالنزول للأسواق وتحديد أسعار بعض السلع وحصر شطط الباعة في ذلك.

فمسألة التسعير من المسائل التي شغلت اهتمام الفقهاء، فنجد فقهاء الأندلس قد وجدوا حلا لها في أسواقهم وهذا اعتمادا على أقوال الأئمة المالكية في ذلك، فيذكر ابن حبيب الصورة التي يجوز التسعير فيها:" وذلك يكون بجمع الإمام لأهل السوق وغيرهم من الموثوق بأمانتهم، فيسألهم كيف يشترون ويبيعون، فإن رأى من البائعين اشتطاطا في الأسعار نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به، ثم يتعاهد ذلك منهم بين حين وآخر، فمن وجده قد زاد في الثمن أمره بأن يبيع كبيع أصحابه وإلا أخرجه من السوق وأدبه، ولا يحل التسعير إلا عن تراض، وعلى هذا أجازه من أجازه أما إكراه الناس على التسعير فخطأ[1].

وقد سئل يحي بن عمر عن التسعير هل هو مباح؟ فقال عن القيمة التي تقام على الجزارين، وغيرهم من أصحاب الحوانيت الذين يبيعون السمن والعسل والزيت والشحم؛ فإن تركوا بغير قيمة أهلكوا العامة[2]، أما عن القيمة التي تقام على الجزارين والبقالين وأهل الأسواق أو مما تحتاج إليه العامة، فقد قال الإمام مالك أن من حط من سعر الناس أقيم[3]، وهذا استدلال بقول عمر بن الخطاب الذي مر بحاطب أبن أبي بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق، فقال له عمر إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا[4]، وبين ذلك عيسى بن دينار فقال:" أن حاطبا كان يبيع دون سعر الناس، فأمر عمر بأن يلحق بالسعر

---

1 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص72، الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج6/ص409، المجيلدي أحمد بن سعيد: التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق، موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص48-49.

2 يحي بن عمر الأندلسي: أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، سنة1956، عدد1، المجلد4، ص106.

3 مالك بن أنس: الموطأ، كتاب البيوع، باب ما جاء في الحكرة، دار الكتب العلمية، تصحيح وتعليق وتخريج، محمد فؤاد عبد الباقي، مج2/ص651، مصطفى الهروس: المرجع السابق، ص262.

4 الونشريسي: نفس المصدر والصفحة، ابن عبد الرءوف، نفس المصدر، هامش ص72.

المتبع في السوق وإلا أقيم منه"[1] والظاهر أن التسعير قد اختص ببعض السلع دون غيرها وكذلك اختص بمن هم قائمون بالحوانيت في سوق المدينة.

فأما التجارة البعيدة وهي التي يقوم صاحبها بجلب السلعة من مكان بعيد فلا تشملها هذه الأحكام، فسئل القاضي أبو عمر بن منظور عن حكم التسعير على أرباب الفواكه والخضر والجبن والزيت والسمن والأطعمة؟ فأجاب بما نص عليه القاضي ابن رشد، وهو أن جالب السلعة لا خلاف أنه لا يسعر عليه شيء مما جلب للبيع وإنما يقال لمن اشترى منهم وباع بأعلى مما يبيع به عامة من يجلب، بع بما تبيع به العامة أو ارتفع من السوق[2]، فقال ابن حبيب أن التسعير إنما يجوز في مثل الزيت والعسل والسمن، واللحم والبقل والفاكهة وشبه ذلك[3].

ويظهر أن سعر الحبوب وخاصة القمح والشعير لم يكن مما يحدد سعره، وذلك استرشادا بقول الفقهاء في ذلك، فقال ابن حبيب أنه لا يجوز لأحد التسعير في القمح والشعير وشبهه، لأن ذلك إنما يبيعه جالبون، وبهذا منع صاحب السوق أهل الريف، إذا أتوا بالطعام ببيعه في السوق ولا ينزلون في الدور والفنادق حتى لا يشتري الكمية تاجر واحد أو عدد من التجار، فيتحكمون بعد ذلك في السعر ويرتفع الثمن[4]، غير أن جالبي الطعام كانوا يفضلون بيع محاصيلهم ومنتجاتهم جملة واحدة للتجار، ليتخلصوا مما معهم من سلعة ويحصلوا على ما يريدون من ثمن ويعودون سريعا إلى قراهم[5]، أما ما كان يجلبه البعض من الأماكن البعيدة، فهو يخضع في ذلك لسعر السوق أي قانون العرض والطلب، وهذا ما يلاحظ في بعض الأزمنة في سوق قرطبة في سنة303هـ إلى أن بلغ الكيل ثلاثة دنانير للقفيز[6].

---

1 مصطفى الهروس: المرجع السابق، ص262.
2 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص72.
3 المجليدي: المصدر السابق، ص 52.
4 عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص205–206، المجيلدي: نفس المصدر، ص51.
5 عصمت عبد اللطيف: نفسه، ص 206.
6 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص109–110–124، الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص348.

وكان يتم كذلك تحديد سعر اللحوم، بعد أن يعرف ثمن الذبيحة كبشا أو عنزا، ويعلم وزنها فيسقط من وزنها قدر العظم بالتقريب حسب اجتهاده ويبيع سقطها، وجلدها، ويسقط ثمنه من ثمن الجزارة والذبح ويربح فيها درهمين ثم يقسم الباقي على أرطال اللحم فيعلم كم يجب للرطل[1]، وبعد ذلك يضع صاحب السوق ورقة بالسعر المطلوب، ولا يجوز للجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له صاحب السوق في تلك الورقة[2].

وكان صاحب السوق إذا استراب في بائع اللحم يرسل صبيا صغيرا للشراء ثم يختبر الكمية فإذا وجد نقصا ترصد معاملته لأناس آخرين، فإذا تأكد لديه عزره على حسب جرمه، بالتجريس ثم بالضرب، فإذا تاب، بقي على حاله يمارس نشاطه في السوق وإذا عاد إلى غشه أخرج من السوق، وقد ينفى من البلد نهائيا[3]، وقال ابن حبيب فيمن يغش أو ينقص من الوزن فالصواب في هذا أن يعاقبه السلطان بالضرب أو السجن والإخراج من السوق؛ وإن كان قد عرف بالغش والجور في عمله فلا أرى أن ينتهب متاعه ولا يفرق إلا ما خف قدره من الخبز إذا نقص، فيفرق على المساكين تأديبا له، مع الذي يؤدبه من الضرب والسجن والإخراج من السوق إذا كان معتادا للفجور فيه بالغش، فأما ما كثر من اللبن أو الخبز أو غش من المسك أوالزعفران فلا يفرق ولا ينتهب[4].

وأضاف ابن حبيب أن ينبغي أن لا يرد إليه غش من المسك والزعفران وغير ذلك مما عظم قدره، يبيع ذلك عليه من أهل الطيب مع بيان ما فيه من الغش[5]، وعلى هذا فإن صاحب السوق كان يصادر بعض البضائع المغشوشة ويتصدق بها على المساكين ومنها من يعيد بيعها في السوق مع بيان حالها، ومنها ما يتم إحراقها كالسلع النسيجية[6].

---

1 عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص206.

2 المقري: المصدر السابق، ج1/ص218ـــ219، موسى لقبال، المرجع السابق، ص 41، الهروس مصطفى: المرجع السابق، ص259.

3 التجريس: الفضح والتشهير وأصل هذه المادة الجرس المعروف، والتجريس بالقوم هو التسميع بهم، ويطاف بهذا المطفف في الأسواق أمام جمهور الناس بالضرب. المقري: نفسه، ج1/ص219، موسى لقبال: نفسه، ص41.

4 يحي بن عمر: المصدر السابق، ص133-134.

5 يحي بن عمر: نفسه، ص134، الهروس مصطفى، نفس المرجع، ص263.

6 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص66.

3- مراقبة النوعية:

أما عن مراقبة جودة ونوعية السلع، فكان صاحب السوق يمشي ومعه أعوانه للقيام بجولات تفتيشية مفاجئة، فيركب دابته ومعهم المكاييل والموازين المعتمدة، ولمعرفة مدى مطابقة السلع المعروضة للبيع، للمعايير المعمول بها بالأندلس في ذلك العهد.

كان صاحب السوق يتعقب بعض أهل الحرف كالخبازين والجزارين واللبانين والبزازين وغيرهم من التجارالذين تكون سلعهم دائما محل ريبة وأكثر عرضة للغش، فيقوم مثلا بمراقبة الخبازين باعتبارهم يجمعون بين التجارة والصنعة [1]، ويمشي في السوق بنفسه وميزانه الذي يزن به الخبز أحد الأعوان، وليختبر الخبازين يرسل الصبي الصغير أوالجارية الرعناء فيشتريان له من السوق من دون أن يظهر صاحب السوق بنفسه حتى يستطيع معرفة الغش في وزن ونوعية الخبر[2]، وكان يأمر صاحب المخبزة بطبع اسمه على خبزه وأن يكون الخبز صحيحا على وزن معلوم، أما عقوبة من يتلاعب بأوزان وأصناف الخبز، فهي التصدق بالخبز الناقص وإذا كان كثيرا يكسر ويترك للبائع، وقد تصل عقوبته إلى التأديب والطرد من السوق[3].

ومراقبة نوعية السميد الذي يعمل منه الخبز، إذ الواجب غربلته وتصنيفه حسب نوعيته حتى لا يخلط النوع الجيد بالرديء[4]، كما كان على صاحب السوق كذلك التأكد من من غربلة الحبوب قبل بيعها، ومن نوعية الدقيق ونظافة الطحانين وأوانيهم وسلامة ما يطحنون.

أما اللحم فلم يكن يسمح لأي جزار ببيع نوعين من اللحم في دكان واحد، فيباع كل نوع من اللحم في حانوت متخصص، فيمنع الجزار من خلط الأنواع بعضها ببعض، وخلط اللحم السمين بالمهزول أو خلط لحم بطون الذبائح برؤوسها، كما يمنع من خلط المصران والكرش وبيعها مع اللحم، وحتى الطيور المذبوحة يجب التأكد من صحتها وسلامتها من الأمراض والعاهات حفاظا على صحة وسلامة المستهلك الأندلسي[5]، فإذا خالف الجزار

---

1 المجيلدي: المصدر السابق، ص123.

2 المقري: المصدر السابق، ج1، ص 218، الهروس مصطفى: المرجع السابق، ص259.

3 الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج6، ص 410. ابن عبدون، المصدر السابق، ص 202.

4 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص70–73، عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص202.

5 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص79، ابن عبدون، المصدر السابق، ص44.

هذه الأحكام فقد تصل عقوبته إلى الضرب والتجريس في الأسواق بل قد تصل به إلى الطرد من السوق والنفي من البلد[1].

وبهذا فصاحب السوق يعتبر المنظم الحقيقي للحياة التجارية في المدينة، فكان يحافظ على صحة المستهلكين وخاصة فيما يختص بالسلع الغذائية والنظافة العامة، كمراقبة باعة الحوت بجميع أشكاله وتخصيص أماكن لهم باعتبار هذه المهنة من المهن القذرة[2].

وقد بقيت خطة السوق قائمة بالأندلس حتى بعد أن سقطت الخلافة الأموية بالأندلس في بداية القرن الخامس الهجري، وظهرت ممالك الطوائف المنتشرة بأرجاء شبه الجزيرة الأندلسية وليس ببعيد أن تكون تلك الأحكام نفسها قد طبقت عندهم[3]، وذلك يعود إلى أن أحكام الحسبة قد تشابهت سواء خلال القرن الرابع أو الخامس الهجري خاصة وأن المرجعية المذهبية المالكية بقيت مسيطرة على معظم العهود في الأندلس.

4- مراقبة باقي المنكرات:

بالإضافة إلى مراقبة الأسعار ونوعية المنتوجات وما ينتابها من غش فإنه كان على صاحب السوق وأعوانه مراقبة الأسواق وما يتطرق إليها من مخالفات عامة في الطرقات والأماكن العمومية مثل اختلاط الرجال بالنساء في مواقف البيع[4]، وغربلة القمح في الأسواق والأماكن الضيقة لما فيه من إضرار بالناس.

كما كان يحدد لأصحاب الحوانيت مقدار إخراج مصطبة الدكان بحيث لا تزيد عن سمت أركان السقائف إلى الممر الأصلي[5]، كما كان يعمل على تنظيم السوق وتوزيع أهل الحرف كل حسب اختصاصه، كإبعاد أهل الحرف القذرة عن بعض المواد الغذائية التي تتأثر بغيرها مثل إبعاد الخبازين عن باعة الحوت بأصنافه وكذلك البياطرة والحجامين، فيجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم فإن ذلك لقاصدهم أرفق ولصنائعهم أنفق[6].

---

1 الهروس مصطفى: المرجع السابق، ص259.
2 ابن عبدون: نفس المصدر، ص75.
3 موسى لقبال: المرجع السابق، ص42.
4 الطرطوشي أبو بكر بن الوليد: الحوادث والبدع، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة، ا.ع.م، ط1، 1995، ص117، ابن سراج أبو القاسم الأندلسي: فتاوى قاضي الجماعة ابن سراج، تحقيق محمد أبو الأجفان، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، العربية المتحدة، 2000، ص266.
5 ابن عبد الرءوف: نفس المصدر، ص70.
6 ابن عبدون: المصدر السابق، ص74–75، باشا نجاة: المرجع السابق، ص59.

وكان صاحب السوق يأمر بتنظيف الساحات العامة، وكما يمتد نظره إلى وسائل النقل التجارية وغيرها، فيمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه السفينة من البضائع وكذلك يمنع الناس من تحميل الدابة بأكثر مما تطيق من السلع[1].

كما يقوم صاحب السوق بمحاربة الغش في تزييف العملة وصنجات الموازين والمكاييل، خاصة وان الخليفة الناصر لدين الله أصدر أوامره بمعاقبة كل من يحاول التلاعب بالعملة[2].

بالإضافة إلى هذا كان على صاحب السوق تفقد ما يجري في السوق من بيع محرم من ذلك ما يذكره المقري أنه كان بالأندلس يتم كسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، كما أنه إذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية[3]، لكن المقري لا يحدد مكان وطريقة بيع هذه الآلات إن كانت في السوق أو تباع سرا، وهذا دليل على وجود بعض المفاسد في أسواقها فيذكر القاضي النعمان وإن كان بعيدا عن أرض الأندلس بأن "بني أمية في الأندلس يشربون الخمر ويتبايعونها في أسواقهم جهارا"[4]، ولكن ولكن صاحب السوق كان ينهى عن ذلك فقد جاء عند الجرسيقي أنه على صاحب السوق محاربة الأشياء المحرمة على اختلاف أنواعها كأنواع المسكرات وبيع آلات الملاهي الموسيقية[5]، كما يمنع بيع الصور والتماثيل ذوات الأرواح، وقد جاء في فتوى لابن رشد انه لا يحل صناعة الصور ولا بيعها ولا التجارة بها[6]، لكن يستثنى من ذلك لعب البنات.

---

[1] ابن عبدون: نفسه، ص29 ص41، الونشريسي: كتاب الولايات، المصدر السابق، ص50.
وقد وردت الكثير من الأسئلة في مثل هذه النوازل، من ذلك ما قاله ابن رشد عن أهل المركب يخاف أهله الغرق فيطرحون ما فيه لينجوا من الغرق، لكثرة زيادة الحمولة. ابن رشد أبي الوليد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق، أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1988، ج9/ ص85-87.

[2] ابن حيان: نشر، شالميتا، المصدر السابق، ص486، الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص 352، باشا نجاة: نفس المرجع، ص61.

[3] المقري: المصدر السابق، ج1/ص155، ص463، الونشريسي: كتاب الولايات، نفس السابق، ص30.

[4] القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1978، ج6/ص178.

[5] الجرسيقي عمر بن عثمان بن العباس: رسالة في الحسبة، تحقيق، إ ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص121.

[6] ابن رشد أبي الوليد القرطبي: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق، المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987، السفر الثاني، ص940.

ويقول الونشريسي أن الذمي يجب أن يؤدب على إظهار الخمر وتكسر آلات اللهو حتى تصير خشبا، وكذلك ينكر صاحب السوق بعض العهود والمعاملات المجمع على فسادها دون المختلف فيها[1].

رابعا: آليات وأساليب التعامل في الأسواق:

1- النظـام النقـدي (السكـة):

إن تطور الحركة التجارية بالأندلس دفعها لابتكار أساليب جديدة وعملية في المبادلات التجارية، وهذا لتسهيل المعاملات على الفرد والمجتمع ، فأحدث الأندلسيون لأنفسهم عملة محلية يقوم على أساسها التبادل التجاري، ففي منتصف القرن الثالث الهجري، تقريبا قام الأمير عبد الرحمن بإنشاء دار لصك العملة وضرب الدراهم بقرطبة في موضع يقال له باب العطارين[2]، ولم يكن فيها دار صك منذ فتحها العرب[3]، وقد استمر ضرب هذه العملة و بكميات قلية إلى غاية نهاية القرن الثالث الهجري، إذ يروى أن ديسم ابن إسحاق(ت293هـ) ضرب الدراهم الفضية في تدمير على اسم الأمير عبد الله بن محمد[4]، لكن يظهر أن دار السكة بقرطبة قد تعطلت، فيذكر ابن حيان في صدد حديثه عن الخليفة الناصر لدين الله" وقد كان الضرب للنقد قبله معطلا بدهر".

السكة خلال القرن الرابع الهجري:

ما يظهر هو أن تأسيس دار السكة في عهد الأمير عبد الله لم تكن متطورة ولا كافية، ولذلك قام الخليفة عبد الرحمان الناصر بإنشاء دار لضرب العملة تكون مواكبة لإعلان نظام الخلافة بالأندلس، فنرى اهتمام المؤرخين بهذا الحدث العظيم البارز في سنة316هـ، فيقول ابن حيان: "وفيها أمر الناصر باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم، فاتخذت هنالك على رسمه"[5].

---

[1] الونشريسي: الولايات، المصدر السابق، ص30.
[2] ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، طبع في مطبعة ليدن، بريل، 1885، ص88.
[3] ابن عذارى: المصدر السابق، ج 2/ص91، 45-46، حمود البكر: المرجع السابق، ص258.
[4] العذري: المصدر السابق، ص11-12، حمود البكر، نفسه، ص259.
[5] ابن حيان: نشر شالميتا، المصدر السابق، ص243، الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص351.

وبهذا فإن اتخاذ دار السكة لضرب الدينار الذهبي لم يسبق إليه الناصر لدين الله، فيقول الجنحاني:" أن في ميدان ضرب العملة الذهبية بأن الأمويين في الأندلس لم يصدروا إلى نهاية القرن3هـ/9م إلا عملة فضية، والعملة الذهبية المتداولة في أسواق الأندلس عهدئذ عملة مشرقية استعملت في شراء العبيد الذين كانوا يصدرون إلى المشرق الإسلامي"[1]، فحتى دار السكة لضرب العملة الفضية(الدرهم) كانت معطلة قبله، ويضيف ابن حيان:" وفيها اتخذ الناصر دار السكة لعياره، وقد كان الضرب للنقد قبله معطلا لدهر، فعظمت منه منفعة الناس واكتملت خصال دولته"[2].

فأصبحت دار السكة بالأندلس لها شخصيتها القائمة بذاتها منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، فطيلة العهود التي سبقته لم نسمع بذكر لمتولي السكة، لكن في عهده أصبح هناك مسؤول عن هذه الدار وغدت هذه الخطة من الخطط الهامة في الدولة[3] يعمل فيها مجموعة من الموظفين والسكاكين المهرة، تحت إشراف صاحب خطة السكة الذي ينبغي أن يكون صاحبها دينا وأمينا نزيها وذو علم ومعرفة بهذه الصنعة، مع دراية بأنواع خطوط الطوابع[4].

وقد تولى إدارة هذه الخطة عدة رجال في فترة الخلافة وملوك الطوائف فعين الناصر أحمد بن خذير[5]، ثم عين بعده ابنه الأكبر وولي عهده لإدارة دار الضرب في سنة329هـ/940م[6]، وعندما نقلت دار السكة إلى الزهراء كان عبد الرحمن بن يحي هو أول من تولاها وفي سنة 336هـ/947م[7]، أما في فترة الخليفة الحكم المستنصر فقد عين المنصور بن أبي عامر رئيسا لهذه الخطة الهامة[8]، وكان يتم أحيانا ضرب اسم صاحب

---

[1] الجنحاني: دراسات مغربية، المرجع السابق، ص89.
[2] ابن حيان: نفس المصدر، ص243، الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، نفس المرجع، ص351.
[3] سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، الجامعة الإسلامية، الرياض، ط1، 2003، ج1/ص403.
[4] الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق، حسن مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ،سنة .ص .
[5] ابن حيان: نشر شالميتا، نفس المصدر، ص243، حمود البكر: المرجع السابق، ص260.
[6] ابن حيان: نفسه، ص469.
[7] ابن حيان: نشر شالميتا، نفس المصدر، ص344، ابن عذارى: المصدر السابق، ج2/ص215، سالم الخلف: المرجع السابق، ج2/ص404.
[8] المقري: المصدر السابق، ج3/ص96–97، ابن حوقل، المصدر السابق، ص112.

السكة على العملة مع اسم ولقب الخليفة وفي بعض الأحيان يضرب اسم الحاجب، وأحيانا اسم ولي العهد ومن ذلك ما ضرب في عهد المستعين بالله سنة400هـ/1009م[1].

فضرب العملة الذهبية بالأندلس في هذه الفترة يدلنا على الرخاء التجاري الذي تمتعت به والوارد الذهبي الهام الذي كان يأتيها من بلاد السودان كما يقول أرشيبالد أن ذهب السودان ظل يتدفق عليها عبر المغرب الأقصى مما زاد في ازدهار الحياة الاقتصادية بها[2]، فتجمعت من التجارة الصحراوية ثروات كبرى من الذهب وأصبح الدينار عملة قوية قوية كما بلغ في الأندلس في عهد الخليفة الناصر[3]، فالعملة كانت دعامة أساسية من دعائم الدولة فهي المرآة العاكسة لحالة الدولة الاقتصادية ولذلك فهي لا تقل شأنا عن تعبئة الجيوش ضد نصارى الشمال أو مقاومة الثائرين، فلا غرابة أن نجد الناصر مثلا يباشر موضوع السكة بنفسه[4]، وبهذا أصبحت دنانيره ودراهمه عيارا محضا[5] في فترة الخلافة. الخلافة.

إن انتعاش العملة الذهبية بالأندلس لم يكن بمحض الصدفة بل بسيطرة الناصر على مصادر الذهب السوداني بعد إبعاد الفاطميين وتأمين الطرق التجارية الجنوبية، وما يدعم هذا نقص وارد الفاطميين في مجال الذهب في هذه الفترة، يقول في ذلك أرشيبالد، أن انخفاض سعر الدينار الذهبي الفاطمي يدل على انخفاض مستوى الرخاء في هذا الإقليم، ويحتمل أن يعود ذلك إلى قلة الذهب الوارد إلى مصر من شمال إفريقية بسبب الانقسام الحادث بين الفاطميين، وبين الزيريين وقتذاك، وبسبب حركات الهلالية وقطعهم طرق القوافل الذاهبة جنوبا إلى السودان والراجح أن علاقة مصر مع بلاد المغرب كانت أقل أهمية بعد عام444هـ/1052م[6].

وكانت نتيجة لهذا أن أصبحت العملة وفيرة بالأندلس سواء الفضية أو الذهبية ولهذا نجد في نص للقاضي النعمان:" أن الناصر لدين الله كان يفخر بماله وعدته، وبما حواه من

---

[1] سالم الخلف، نفس المرجع، ج1/ص406..
[2] أرشيبالد لويس، المرجع السابق، ص332.
[3] الجنحاني: الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص23-24.
[4] الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص352.
[5] ابن حيان: نفس المصدر، ص243.
[6] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص332.

الخزائن والذخائر[1] وأصبح بذلك الأمويون يصدرون العملة الذهبية[2]، ويصف ابن حوقل مقدار ما توفره دار السكة من العملة فيقول:" ومما يدل بالقليل على الكثير أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا ألف دينار(200.000 دينار) وهذا يعادل ثلاثة آلاف وألف وأربعمائة درهم(34000.00 درهم)[3].

السكة خلال القرن الخامس الهجري:

ثم بعد ظهور الفتنة وتناقص الأمن، واختفاء السلطة السياسية المركزية وآلياتها، فتقل بذلك الرقابة على العملات، وهذا ما يؤدي إلى تزوير الملة والتلاعب بها.

أما فترة ملوك الطوائف فقد قام هؤلاء بضرب عملة محلية تحمل أسماءهم ولعلها لا تختلف من حيث الشكل عما كان شائعا لدى الأمويين من قبل، فجودة الدراهم قد أخذت في التدني بعد سقوط خلافة قرطبة، فجاء في نازلة لابن رشد حول جواز مراطلة الذهب المرابطية بالعبادية، والشرقية فأجاب بأنه لا يجوز؛ وقد جوز ذلك من اوجب الزكاة في عشرين مثقالا، وإن كانت مشوبة بالنحاس[4]، فيستدل من هذا قيمة العملة العبادية واختلاطها بالنحاس، ومن ذلك ما قام به المعتمد بن عباد من ضرب ثلاثين ألف مثقال من الدراهم زيوفا، فبوصول ابن شاليب–الرسول اليهودي لألفونسو- إلى اشبيلية لتسلم الضريبة إلا أنه أبى تسلم المال بحجة أنه نقد مموه[5]، وقد ضربت دنانير ودراهم في مرسية خلال الفترة 383-471هـ/993-1078م تحمل اسم الرشيد ولي عهد المعتمد بن عباد[6].

كما نجد سليمان بن منذر قد وجد اسمه مضروبا على الدراهم في دانية حتى سنة(483هـ/1090م)، ثم في الدراهم المضروبة في طرطوشة حتى سنة492هـ/1099م[7]، وبحلول عام482هـ/1089م أصبح الدينار المرابطي(المثقال) متداولا في الأندلس وقام الأمير تميم بضرب هذه العملة معلنا ولاءه للمرابطين، وتبدل

---

[1] القاضي النعمان: المجالس والمسايرات: المصدر السابق، ج6/ص 178.
[2] الجنحاني: دراسات مغربية، المرجع السابق، ص90.
[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص108، المقري: المصدر السابق، ج1/ص211.
[4] ابن رشد: الفتاوى، المصدر السابق، السفر الثاني، ص932–933.
[5] عبد الله بن بلقين: كتاب التبيان أو مذكرات عبد الله بن بلقين، تحقيق وتقديم وتعليق، أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، المغرب، ص231، هامش241، ص235، هامش271.
[6] ابن بلقين: المصدر السابق، ص233 هامش253.
[7] نفسه: ص231 هامش240.

الوضع بذلك بدخول هذه العملة وتميزها بالجودة وكانت من الذهب الخالص وكان هذا الدينار بمقتضى الشرع الإسلامي يساوي عشرة دراهم[1].

لكن تجب الإشارة هنا إلى اختلاف العملات المتداولة في تلك الفترة فكانت مختلفة وقليلة ومنها ما هو مزيف، يفهم ذلك من كلام ابن حزم في هذه المسألة:" فهو يرى أن كل مسلم يجب أن يتمتع بحرية التصرف والمتاجرة بقطع الذهب والفضة الخالصين بحيث لا يعتبر سوى وزن المعدنين دونما حاجة لعرضها على دور الضرب أو السك[2].

ويظهر ابن حزم في هذا متأثرا بواقعه السياسي المعاش، فهو كان يستحضر واقع التجزئة السياسية التي أصابت وحدة البلاد بسقوط الخلافة وذهاب رسمها وقيام الطوائف بملوكها[3]، فالواقع السياسي قد يكون أثر على ابن حزم تأثيرا كبيرا في مسألة سك العملة وهذا لقلة وارد الذهب بالأندلس خلال تلك الفترة بسبب انحصار التجارة الخارجية الأندلسية البعيدة، يؤكد ذلك محمد الشريف إذ يقول أن الدراسات النمية المتخصصة تخلص إلى وجود ندرة في القطع النقدية الذهبية المضروبة في عصر الطوائف بصفة عامة[4].

أهم العملات:

أما عن قيمة ومقدار ووزن هذه العملة وأنواعها، فيلاحظ من خلال المصادر أنه كانت هناك الدنانير والدراهم وكان مقدار الدينار الواحد يساوي سبعة عشر درهما[5]، وكانت هناك دراهم تسمى طبليا، وكانت كذلك لهم فلوس يتعاملون بها، والظاهر أنها نحاسية حيث كانت تساوي ستين فلسا بدرهم[6]، وكان هناك المثقال من ذلك إشارة المقري إلى أنه كانت الدواب المكتراة تتقاضى عشرة دنانير ثمنا عن كل رخامة صغيرة و كبيرة، وقد كانت هناك الدنانير القاسمية بالأندلس وهي من أحسن العملات على الإطلاق حتى أصبحت مثالا للعملة

---

[1] إبن بلقين : نفسه، ص246–247 هامش355.

[2] العزفي أبو العباس أحمد: إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تخريج ودراسة، محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة 1999، ص104– 105.

[3] نفسه، ص25.

[4] العزفي: نفسه ، ص26.

[5] ابن حوقل: المصدر السابق، ص108، المقري: المصدر السابق، ج1/ص211.

[6] ابن الفقيه: المصدر السابق، ص88.

ذات العيار الجيد المضروب بها المثل في الأندلس وفي خارج الأندلس، فكان يقال"الدنانير والدراهم القاسمية" لجودتها[1].

وكان هناك ربع الدرهم وظهر أحيانا بعض التزوير للعملات بالأسواق الأندلسية، وهذا على ما يظهر كان مرجعه إلى قلة العملة في هذه الأسواق ويفهم هذا من خلال نص ابن حيان: "فقام الضرب في دار السكة بقرطبة من خالص الذهب والفضة، وصحح في ذلك ابن حدير وأجاد الاحتراس من أهل الدلسة، فأضحت دنانيره ودراهمه عيارا محضا"[2]، ولقد اشتد القاضي في عقاب كل من يحاول التلاعب بالعملة[3]، وهذا لأنها كما يقول محمد الشريف: " بغض النظر عن الدور الفعال الذي تلعبه العملة في كل نظام اقتصادي تجاري، باعتبارها وسيلة هامة للتبادل ووسيلة معيارية للقيم، فإن سكها يعبر عن اختيارات سياسية مرتبطة بقضية المشروعية السياسية، فالسكة ليست فقط أداة لنقل الثروة وتلبية الحاجات وإنما هي أيضا نقل لمظاهر السلطة السياسية ورموزها"[4].

ويظهر أن اختلاف العملات لم يكن عائقا في التبادل التجاري وخاصة في التجارة الخارجية، وذلك لأنه كان يراعى في مسألة قبول النقود الأجنبية اختلاف السكة أو الوزن، فربما كان التجار يفضلون وزنا لا عدا، ومن ذلك أن الناصر لدين الله كان يدفع عن كل سارية مجلوبة من ولاية إفريقية ثمانية سجلماسية عند بنائه مدينة الزهراء[5]، كما عثر على على كميات كبيرة من النقود الإسلامية في شمال أوربا وخاصة خلال القرن4هـ/9م، وكذا رواج العملات الذهبية في إيطاليا وانجلترا ووجدت عملة فضية في السويد[6].

2- نظام الأوزان والمكاييل:

تعتبر وحدات الوزن والكيل في الأسواق الأندلسية من الوسائل الضرورية في التبادل التجاري ومعرفة مقدار السلع، وخاصة في الحالات التي لا يصلح فيها العدد، فاتخذ الناس

---

[1] سالم الخلف: المرجع السابق، ص405، ابن حيان، نشر شالميتا، المصدر السابق، ج5/ص248-249.
[2] ابن حيان، نفس المصدر والصفحة.
[3] الجنحاني:الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص 352.
[4] العزفي: المصدر السابق، ص26-27.
[5] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص236.
[6] حناوي: المرجع السابق، ص161، أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص392-393، الجنحاني، دراسات مغاربية، المرجع السابق، ص89-90.

لذلك وحدات خاصة لهذا الشأن تعارفوا عليها بينهم في مقدار ولذلك ظهر بعضها مختلفا ببلاد الأندلس بعض الشيء عن الوحدات المشرقية ومن هذه الوحدات نجد:

الأوزان:

تعتبر الموازين بالأندلس من الآليات الضرورية التي تسهل التعامل بين الرعية في مختلف السلع و معرفة مقادير الجباية والزكاة، فكان الباعة يستخدمون الميزان ذي الكفتين الذي يرتفع من علاقة تتوسط قصبته العليا، كفتيه من الحديد أو النحاس، أما صنجاته فمن الحجارة أو الزجاج أو الحديد مطبوعة من طرف صاحب السوق بطابع خاص[1].

فكان بالأندلس وحدات شرعية موروثة بالإضافة إلى بعض الوحدات الخاصة المستحدثة بالأندلس، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن مقادير الأوزان لم تكن ثابتة بجميع المدن الإسلامية في تلك الفترة ومن هذه الوحدات نجد:

الرطـــل:

فالرطل بالأندلس اختلف في مقداره وذلك تبعا للسلعة الموزونة، فكان رطل اللحم مثلا يختلف عن رطل الزيت ورطل الفلفل بدوره يختلف عن رطل السلع الأخرى[2]، فرطل اللحم مثلا كان يساوي في قرطبة ستة وثلاثون أوقية(36 أوقية)، وهذا ما أشار إليه ابن غالب حين ذكر نفقات اللحم على أهل قصر قرطبة في نهاية القرن4هـ/ 10م[3]، فكان رطل اللحم يعادل 20رطلا فلفلية[4]، وفي رواية أخرى أن رطل اللحم في الأندلس هو 9.5رطل بالفلفلي[5].

أما الرطل العادي فكان يزن بالأندلس حوالي 16أوقية أي ما يقارب 504غرام، وكانت الأوقية تساوي 20درهما أي معدل 30غراما من الفضة[6].

المثقـال والقيـراط:

---

[1] ابن عبدون: المصدر السابق، ص40، أحمد الطوخي: المرجع السابق، ص279، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، هامش ص322.

[2] البكري: المصدر السابق، ج2/ص199، 250، 329، ابن غالب: المصدر السابق، ص298-299، جودت عبد الكريم، نفس المرجع، ص178.

[3] ابن غالب: المصدر السابق، ص296.

[4] البكري: المصدر السابق، ج2/ص329.

[5] جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص188.

[6] ضياء الدين الريس: المرجع السابق، ص356، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص322.

وقد استخدم المثقال بالأندلس لوزن بعض المعادن الثمينة وعلى رأسها الذهب والفضة، وهذا إذا كان التعامل بهذه المعادن كتبر، أما إذا كانت مسكوكة (مضروبة) فإنه يتعامل بها عدا لا وزنا[1]، وهذا ما كان معمولا به في الجاهلية، وأقره الإسلام على ما كان عليه، "فكانت قريش تزن الفضة بميزان تسميه درهما وتزن الذهب بميزان تسميه دينارا، فكان كل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير[2]، ووزن المثقال المعروف أنه 72حبة من حبات الشعير المتوسط[3]، ولكن ابن حزم يذكر أنها تساوي 84 حبة وهذا الاختلاف ربما يعود إلى الاختلاف في مقدار حبة الشعير؛ فالحبة من الشعير كانت تزن 0.06 غرام[4]، وهو يختلف قليلا عن الوزن القديم إذا كان المثقال يزن 4.25 غراما أما وزن الدرهم العربي فكان يزن 2.975 غراما[5].

أما القيراط فكان بالأندلس يساوي نصف درهم وحبة شعير، وبهذا فإن القيراط حسب الوزن الأندلسي يساوي 1.049 غراما، وقد ذكر البكري أن قيراط تنس يعادل ثلث درهم وهو معادل لوزن قرطبة[6].

القنطـــــار:

تختلف المصادر والمراجع في تحديد وزن القنطار، فيذكر ابن خلدون أن وزن القنطار يقدر بـ42.5 كيلوغرام، وهذا حينما يتطرق إلى تركة الناصر لدين الله بالأندلس[7]، بالأندلس[7]، وقد ذكر جودت أن القنطار القرطبي يساوي 128 رطلا[8]، وأضاف أن القنطار القرطبي كان يساوي 49 كيلوغرام[9]، أما قنطار الزيت فيختلف عن القناطير الأخرى، وهذا ما جاء عند ابن غالب:" أن قنطار الزيت يعدل قنطارين ونصف قنطار"[10].

المــــد: (جمعه أمداد):

---

1 ضياء الدين الريس: نفسه، ص340، كمال السيد: نفس المرجع، ص322.
2 البلاذري أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مصر، ط1، 1901، ص471.
3 ضياء الدين الريس: نفس المرجع، ص340.
4 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، نفس المرجع، ص322.
5 ضياء الدين الريس: نفس المرجع، ص 352، ص 354.
6 البكري: نفس المصدر، ج2/ص 242–243.
7 جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص183.
8 نفسه، ص183.
9 نفس المرجع والصفحة.
10 ابن غالب: المصدر السابق، ص198.199.

أما المد والرطل فالظاهر أنهما مصطلحان مترادفان بالأندلس فيذكر كمال السيد:" أن المد والرطل هما مصطلحان مترادفان وذلك لأن المد النبوي كان يساوي 16 أوقية، والرطل بالأندلس كان هو الآخر يساوي نفس القيمة"، وعلى هذا فإن الإشارة إلى الرطل في النصوص الأندلسية هي إشارة كذلك إلى المد، فهو إذن وحدة وزن وكيل في نفس الوقت[1].

وقد ذكر البكري أن القفيز القروي كان يساوي200 مد و4 أمداد بمد النبيρ، وذلك بكيل قرطبة 5أقفزة إلا 6 أمداد[2]، فكان القفيز القرطبي يساوي 42مدا نبويا[3] وسعته التقريبية 28 لترا وكانت 4 أمداد النبوية تعادل صاعا نبويا، والصاع 5 أرطال وثلث[4]، وهناك عدة اختلافات بشأن تحديد المد باللتر، فيذكر حمود البكر أنه يسع 44.16لترا[5].

المـــدي:(جمعه أمداء):

كان المدي في الأصل مكيالا للشام ومصر، وكان يعادل الجريب، بحيث يسع 45 رطلا، وكذلك هو يساوي 15 مكوكا كل منها صاع ونصف[6]، وأما المدي بالأندلس فهو حسب البكري يحوي 8 قناطير، أي مقدار 12 قفيز، وهو المدي القرطبي، وكان المدي يزن كذلك 24 فنقة[7].

الفنقــة:

---

1 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص323.
2 البكري: المصدر السابق، ج2، ص199.
3 كمال السيد: نفس المرجع، ص 328.
4 البكري: نفس المصدر والصفحة.
5 حمود البكر: المرجع السابق، هامش ص263.
6 ضاء الدين الريس: المرجع السابق، ص329–330.
7 المقدسي: المصدر السابق، ص193، البكري: نفس المصدر، ج2، ص296، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص324.

أما الفنقة القرطبية وهي أحد الأكيال التي يكال بها الحبوب، ويختلف حجمها باختلاف الأقاليم، وكانت الفنقة القرطبية تحوي 20 مدا بمد النبيρ[1]، وهي نصف قفيز وتزن بذلك 30 رطلا[2]، وكانت الفنقة التي يكال بها الحمص بالأندلس تتماثل مع الأرباع الشائعة هناك، وكان وزنها يتراوح بين 27 و32 رطلا[3].

الكيـــــل القرطبــــي:

كان لكلمة كيل بالأندلس معنى عام ومعنى خاص، فالمعنى العام هو ما يطلق على جميع المكاييل، أما المعنى الخاص فهو أحد وحدات المكيال، فله معياره الخاص به، فيذكر ابن غالب أن مبلغ النفقة على مدينة الزهراء بالدراهم القاسمية بالكيل القرطبي 80 مديا و6 أقفزة وزائد أكيال[4].

فكان الكيل القرطبي يساوي 6 أمداد نبوية، ويزن 6 أرطال[5]، ويشير ابن عبدون إلى إلى أن كيل الطعام يماثل القدح، والقدح كان يزن بالأندلس ربعا ورطلين، فكان القفيز يعادل 20 قدحا والوسق 10 أقداح، وأما 50 قدحا فتعادل 5 أوسق أي ألف ومائتي مد نبوي[6]، وقد كان الكيل يستخدم في وزن السوائل كالزيت وغيره، بالإضافة إلى السلع الصلبة من حبوب وغيرها ، ولذلك كان ربع الحديد يزن 24 رطلا[7].

الكــــوز:

يشير المقري إلى الأكواز الأندلسية ولكن لا يشير إلى أنها أحد المكاييل أو الموازين، من ذلك أن السيدة صبح كانت تخرج الأموال من القصر بعد تغييرها على ابن أبي عامر، فأخرجت مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة، فكان مبلغ ما حملت فيه من الذهب 80 ألف دينار[8] فيكون مقدار الكوز إذن ثمانين ألف دينار (80 ألف ألف دينار).

---

[1] البكري: نفسه، ج2/ص299، كمال السيد: نفسه، ص330.
[2] كمال السيد: نفس المرجع، ص330.
[3] نفس المرجع والصفحة.
[4] ابن غالب: المصدر السابق، ص 301.
[5] ابن عبدون: المصدر السابق، ص41، كمال السيد: نفس المرجع، ص 325.
[6] ابن عبدون: المصدر السابق، ص41.
[7] ابن عبدون: نفسه ، ص40.
[8] المقري: المصدر السابق، ج3/ص92.

القســـط:

كان القسط معروفا منذ افتتاح الأندلس، والظاهر أنه أتى به العرب الفاتحين من المشرق الإسلامي[1]، وكان يستعمل القسط لكل السوائل، كالعسل والزيت والخل والماء وغيره[2]، يتضح هذا من خلال ما ذكره العذري في المعاهدة التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتيودمير صاحب مدينة تدمير سنة 94هـ، وذلك بدفع الجزية ومقدارها أربعة أقساط خل وقنطار عسل وقسط زيت[3]، كما جاء كذلك في جباية عبد الرحمن الأوسط من كورة إلبيرة 1200 قسط زيت[4]؛ فكان القسط يساوي نصف صاع[5]، والظاهر أن القسط بالأندلس كان يزن في الغالب ثلاثة أرطال ونصف[6]، وكان القسط يكال يكال به المواد السائلة عن طريق أوان من الخزف المطلي[7].

وبالإضافة إلى هذه المكاييل والموازين كانت هناك بعض المصطلحات الأخرى التي تطلق في الأندلس كالحمل؛ وهو على ما يظهر قدر حمولة البغل من ذلك ما يشير إليه المقري من أن دواب الأكرية الراتبة للخدمة بالزهراء ألف بغل وكان يردها من الجير والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل[8].

خامسا:أهم البضائع بالسوق الأندلسية:

1- السلع الزراعية بالسوق الداخلي:

كانت المنتوجات المحلية بالأندلس تشكل عصب التجارة الداخلية، و هي تشمل سلعا نباتية وحيوانية وأخرى مصنعة، فنظرا لتباين الخصائص الجغرافية بين مختلف مناطق الأندلس، كان تنوع الإنتاج الزراعي والصناعي كبيرا، ونتيجة لذلك ازدادت حركة التجارة والتبادل التجاري الداخلي لهذه السلع.

---

[1] ابن سلام أبو عبيد القاسم: كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر بيروت، 1988، ص617، ضياء الدين الريس: المرجع السابق، ص307.

[2] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص 326.

[3] العذري: المصدر السابق، ص5.

[4] نفسه: ص93.

[5] جودت: المرجع السابق، ص 189.

[6] كمال السيد: نفس المرجع، ص326.

[7] أحمد الطوخي: المرجع السابق، ص 279.

[8] المقري: المصدر السابق، ج1/ص567.

وقد كانت بعض هذه السلع موجهة للاستهلاك المحلي بصفة خاصة، فازدادت أهمية المنتوجات الأندلسية الزراعية تبعا للتطور الحضري لمدن الأندلس وازدياد التوسع العمراني[1] ويقول الجنحاني أن الفلاحة بالمغرب بصفة عامة وبالأندلس على وجه الخصوص، برزت سمة مميزة للاقتصاد ابتداء من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي وتتمثل في الثنائية الاقتصادية هي التجارة والفلاحة.

فكثيرا من المواد الفلاحية أصبحت بضائع أساسية في قائمة التبادل التجاري[2] فتجمعا فتجمعا من السكان يبلغ تعداده حوالي ثلاثة آلاف نسمة، يحتاج ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي لتموينه بالمواد الغذائية إلى حوالي عشرة مناطق ريفية خصبة أي مساحة ثمانية كيلومترات مربع ونصف(8.5كلم²) نظرا لضعف إنتاجية الفلاحة، فالضواحي الريفية يجب أن تمد المدنية بالحد الأدنى من المواد الغذائية حتى لا تبقى مهددة في معيشة سكانها في كل لحظة[3]، ويقول ابن خلدون انه مما يراعى حول المدنية أيضا المزارع فإن الزروع هي الأقوات فإن كانت مزارع البلد اقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه واقرب إلى تحصيله[4].

أ- الحبوب:

وقد شكل القمح المحصول الرئيسي خلال عصر الخلافة وملوك الطوائف باعتباره من العناصر الغذائية الرئيسية التي يعتمد عليها السكان ولذلك انتشر بيعه في الكثير من الأسواق الأندلسية، فكان ينتج ويسوق بإقليم مرسية وشبرب وبإقليم لورقة وبفحص شنتقيرة[5] الذي جادت زراعته فيه وكذلك بإقليم غرناطة، ولذلك كثرت بها الأرحي[6] وبكورة باجة[7]، وكانت مدينة لبلة ذات زروع حسنة كثيرة الدخل[8] وكان بيباسة قمح

---

1 نجاة باشا: المرجع السابق، ص 43.
2 الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص34-35 .
3 نفس المرجع والصفحة .
4 ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص434.
5 شنتقيرة.SANGONERA وهو فحص بالأندلس وهو متصل بفحص الفندون بمدينة لورقة ويبلغ طوله خمسة وعشرين ميلا. الحميري: المصدر السابق، ص 172، العذري: المصدر السابق، هامش2، ص131.
6 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص214.
7 ابن غالب: المصدر السابق، ص290.
8 ابن حوقل: المصدر السابق، ص116.

وشعير كثير جدا[1]، وبمدينة جيان حسبا يذكر الإدريسي غلات للقمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب ولها نهر بلون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جدا وبحصن بيانة[2] كانت كانت كذلك مزارع الحنطة والشعير ومنها كان يسوق إلى غيرها، وكانت مدينة قرمونة كثيرة الإصابة في الحنطة والشعير ومدينة شريش[3] الحنطة بها ممكنة وأسعارها موافقة[4]، أما بمدينة شنترة[5] فيقول ابن اليسع أن من خواصها القمح والشعير وان الكيل الواحد يعطي مائة كيل وربما زاد ونقص[6]، وقد اختص بعض التجار بالأندلس ببيع الحبوب ونقله وتسويقه، فيذكر صاحب المسهب أن محمد بن سليمان الحناط كان أباه يبيع الحنطة بقرطبة وكان معاصرا لفترة ملوك الطوائف[7].

وبالرغم من أهمية محصول القمح كسلعة رائجة ومورد تجاري يشتد عليه الطلب فإنه كان قليلا في بعض الفترات ولذلك كانت تحدث أزمات في هذه المادة الرئيسية بالأندلس، وهذا رغم خصوبة أرض الأندلس، فنقل عن ابن حيان انه قد اشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغا لم يكن لهم عهد بمثلها، وبلغ قفيز القمح بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير، ووقع الوباء في الناس فكثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة، وكانت من الأمثال الأندلسية التي تقال في أيام قلة القمح" إذا غلا القمح مالو حصال[8].

والظاهر أن هذه الأزمات كانت في بعض السنين دون غيرها وهذا تبعا للظروف الطبيعية المناخية وحتى السياسية التي كانت تمر بها الأندلس في تلك الفترة، فارتفعت

---

1 الحميري: نفس المصدر ، ص11.

2 بيانة: وهي من أعمال قرطبة ومن مدن شرقي قبرة بينهما10 أميال، وكان بها أسواق عامرة وهي كثيرة البساتين والكروم والزيتون. الحميري: نفسه، ص59.

3 شريش JEREZ DE LA FONTERA مدينة بالأندلس تبعد عن اشبيلية بمرحلتان، وهي قاعدة كورة شذونة وتبعد عن جزيرة قادس ب6 أميال ولهذه المدنية سور حصين بها الكثير من الجنات والحنطة بها ممكنة وأسعارها موافقة. الإدريسي: المصدر السابق، ص301، العذري: نفس المصدر، ص112– 180.

4 الإدريسي: نفسه، ص296 –301 .

5 شنترة: من مدائن الاشبونة بالأندلس على مقربة من البحر، بينها وبينه قدر ميل، وهي أكثر البلاد تفاحا وكمثري، ومنها يخرج العنبر الجيد. الحميري: نفس المصدر، ص112–113.

6 الإدريسي: نفس المصدر، ص273، المقري: المصدر السابق، ج1/ص164، عبد العزيز سالم: تاريخ المرية الإسلامية ، المرجع السابق ،ص 15/14 .

7 محمد بن سليمان الحناط أبو عبد الله الرعيني القرطبي، نشأ نشأة أعانته على أن بلغ غاية من العلم والحديث وكان بنو ذكوان هم الذين كفوه مؤنة الدهر وفرغوه للاشتغال بالعلم، وقد تم نفيه إلى الجزيرة الخضراء وعاش تحت كنف أميرها محمد بن القاسم بن حمود إلى أن توفي بها سنة 437هـ/1045م. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، المصدر السابق، ج1/ص57.

8 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص109– 110– 124، حمود البكر: المرجع السابق، ص129.

أسعار الاطعة مثلا في أيام ملوك الطوائف وخاصة عند النوائب العسكرية من ذلك فترة حصار القمبيطور لمدينة بلنسية[1].

والملاحظ أن القمح يتلوه الشعير في الأهمية سواء في مستوى حجم الإنتاج أو شيوع الاستهلاك، ولذلك كانت تتوفر كميات القمح والشعير في فصل الصيف وخاصة في شهر يونيه وطوال شهر يوليه الموالي والذي فيه يكون حصاد القمح الأعم ودرس الزرع منه[2]، منه[2]، ولذلك فان السوق الأندلسية تعرف عرضا وفائضا كبيرا لهذا المحصول في هذه الفترات، وبذلك تتناقض أسعاره مقارنة بالأيام والفصول الأخرى[3]، فيقول ابن الخطيب عن رندة[4] أن مخازنها بالبر مالية وأقواتها جديدة وبالية وهذا فيه إشارة إلى تلاحق محصول الموسم القديم بالجديد.

أما في المرتبة الثالثة فكان يأتي محصول الذرة، وكان ينتج بغرناطة ومنها يجلب إلى باقي المناطق الأندلسية، فعند غلاء القمح تصبح الذرة هي قوت الفقراء والبدو والفلاحين[5]، والظاهر أن الإقبال عليها كان قليلا ولذلك نجدها تباع بأثمان زهيدة جدا، أو أنها كانت تنتج بكميات كبيرة تفيض عن حاجة السوق الأندلسية[6]، وكانت الذرة تزرع بمناطق جنوب الأندلس وبشكل خاص بضواحي غرناطة.

أما الأرز فكان ينقل من المناطق ذات المياه المتوفرة في القسم الأدنى حتى حوض نهر الوادي الكبير على مقربة من اشبيلية ومالقة[7] وبلنسية ومنها يحمل إلى جميع بلاد

---

[1] ابن عذارى: البيان المغرب، تحقيق ومراجعة، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج4/ص38.

[2] أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2004، ص225.

[3] كمال السيد: المرجع السابق، ص120.

[4] رندة: بالأندلس من مدن تاكرانا، وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة وهى على نهر لكة، كانت رندة من كور قرطبة ثم صارت من كور اشبيلية، تكثر فيها مزارع القطن. ابن سعيد: المصدر السابق، ج1/ص252، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص130.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1/ص143، حمود البكر، المرجع السابق، ص129.

[6] حمود البكر: نفسه، ص129.

[7] أما الأرز فهو محصول مشرقي الأصل ومصري على وجه الخصوص، ودخل هذا المنتوج من ضمن ما ادخله المسلمون إلى الأندلس، وخاصة في فترة منتصف القرن4هـ/10م، وبهذا عرفت أسواق الأندلس هذه السلعة الجديدة فأصبح ينتج بالأندلس ويوزع إلى باقي أسواقها واستغنى بذلك أهل الأندلس عن استيراده من الشرق. كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95هـ- 495هـ)، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ص261، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259.

الأندلس[1]، كما انه زرع في أملاك خليفة قرطبة[2]، ويكون وقت حصاده خلال فصل الخريف، وبالتحديد مع شهر سبتمبر[3]، وبذلك فإن أسعاره تعرف انخفاضا طفيفا مردها إلى كثرة العارضين لهذه السلعة في الأسواق في هذه الفترة.

ولم تقتصر أسواق الأندلس على هذه الحبوب بل كانت هناك محصولات وغلات أخرى، لم تكن بالأهمية السابقة، إلا أنها كانت تشكل تنوعا في السلع التي زخرت بها الأندلس، ومن ذلك البقول التي كانت تزرع بجيان[4]، وعرف أسواق الأندلس اللوبياء البيضاء المائلة إلى الحمرة والعدس والحمص والجلبان والفول والسمسم والجلجلان[5]، فكانت بمدينة شنترين مباقل وخير شامل وكذلك بمدينة يبورة(يابرة) سائر البقول[6].

وقد نتج عن وجود هذه المحاصيل بالأندلس تواجد العديد من المطاحن والارحاء التي كانت تنتج الدقيق من القمح والشعير والذرة بالإضافة إلى دقيق الحمص والأرز، فكثرة الأنهار والأودية بالأندلس مكنها من إنشاء الكثير من الطواحين على نهر قرطبة الذي وجدت به ثلاث بيوت أرحاء في كل بيت منها أربعة مطاحن[7]، كما اشتهرت جيان كذلك بالكثير من الارحاء فكانت على أبواب المنازل[8]، كذلك في مربلة وبيانة وبجانة وشلب وباغة وغرناطة وشريش[9]، وقد وجد بالأندلس نوع متنقل من الأرحاء كان بسرقسطة وطرطوشة ومرسية وهي أرحاء طاحنة في مراكب تنتقل من موضع إلى آخر[10].

---

[1] العذري: المصدر السابق، ص263-264.

[2] ارشيبالد: نفس المرجع، ص263 – 264.

[3] أحمد الطاهري: المرجع السابق، ص226.

[4] الإدريسي:المصدر السابق، ص70– 170.

[5] ابن ليون التجيبي: اختصارات من كتاب الفلاحة، دراسة وتحقيق، أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص112-113، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص123.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص268-273.

[7] الإدريسي: نفسه، ص212، الحميري: المصدر السابق، ص158.

[8] الإدريسي: نفسه، ص 202 ، الحميري: نفسه، ص70-71.

[9] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ ص215، ابن غالب: المصدر السابق، ص289-290، ابن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، نشر بيرنيت، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1958، عدد1-2، ص100.

[10] القزويني: المصدر السابق، ص545، الحميري: نفس المصدر، ص182، الإدريسي: نفس المصدر، ص28.

وبذلك كان الميارون[1] يشترون القمح من المزارعين ثم يقومون بطحنه، وإعادة تسويقه وتوزيعه دقيقا بعد ذلك في مختلف أسواق الأندلس وخاصة على أصحاب المتاجر التي تختص بصناعة الخبز[2]، فكان سليمان الرعيني مثلا ممن يبيعون الحنطة والدقيق بسوق قرطبة، كما كان يوجد من يتخصص في بيع وتوزيع الدقيق وحده في أسواق الأندلس وخاصة في أيام ملوك الطوائف[3].

ب- الخضروات:

عرفت أسواق الأندلس العديد من المنتوجات ومنها الخضر، فكانت هذه السلع توجه بصفة خاصة للسوق الداخلية نظرا لعدم تحمل الكثير منها -عند نقلها- للمسافات الطويلة ولذلك فهي تفسد بسرعة وفي مدة زمنية وجيزة، وعليه فإن السوق الأندلسية زخرت بهذه المنتوجات وبأسعار منخفضة، في زمن كثرة إنتاج هذه السلع وعلى الأخص في فصل الصيف والخريف، ومن هذه المنتوجات نذكر:

الكرنب والقرنبيط، فأما الكرنب فكان هناك نوعان منه الصيفي المغلق الأوراق والشتوي المفرق الأوراق، ويلاحظ وجوده في الأسواق الأندلس في موسمين هما الصيف والشتاء[4]، فيذكر الزهري أن بلنسية اشتهرت بزراعته وأن الرأس الواحد من الكرنب توزن بخمسة عشرة رطلا[5]، أما القرنبيط فكان ينقل من اشبيلية إلى باقي الأسواق الأندلسية الأخرى[6].

---

[1] الميارون: الميار هو الشخص الذي يشتري القمح ثم يقوم بطحنه لدى الطحانين، ويبيعه بعد ذلك دقيقا في أماكن مخصصة لذلك، ويقصد به أحيانا الشخص الذي يقوم بنقل السلع والبضائع من مكان إلى آخر. كمال السيد: نفس المرجع، ص249.

[2] نفس المرجع والصفحة.

[3] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، المصدر السابق، ج1/ ص57.

[4] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص129.

[5] الزهري: المصدر السابق، ص102.

[6] كمال السيد: نفس المرجع، ص 130.

كما كان هناك الجزر واللفت الذي كانت تعرف إنتاجه وتسويقه كل من غرناطة واشبيلية وقرطبة وكان هذا المحصول متوفر في الأسواق خاصة في فصلي الخريف والشتاء، فكانت تنقل هذه الخضر من المدن المنتجة إلى باقي أسواق الأندلس[1].

أما الباذنجان فقد اشتهرت قرطبة واشبيلية بزراعته، وتسويقه فكان هناك نوعا منه مدحرج الشكل صغير الحجم رقيق القشر يعرف بالقرطبي، حتى وصفه احد شعراء الأندلس قائلا:" وَمُسْتَحْسَنٌ عندَ الطَّعَام مُدَحْرَجٌ * غذَاءٌ خَميرَ المَاء في كُل بُستَان"[2]، وكان يتوفر هذا المحصول بكميات كبيرة في الأسواق الأندلسية خاصة في فترة الصيف والخريف[3].

كما كان يتوفر الثوم والبصل بأسواق الأندلس في فترتين متقاربتين، فكان الثوم المبكر ينضج في أيام الصيف ثم بعد ذلك في فصل الخريف، وإذا كان هناك فائضا فإنه يدخر ليستخدم كزريعة ولكن مع ادخاره يبدو انه إذا نقص بشكل كبير من السوق فسيرتفع ثمنه ويغلى، وبذلك فإن التجار الأندلسيون سيستغلون مثل هذه الفرص لمضاعفة أرباحهم، أما البصل فكان متوفر في قرطبة وما حولها، كما انتشر اشبيلية وخاصة بإقليم البصل كما يشير إلى ذلك ياقوت الحموي[4] وهذا على ما يبدو لكثرة زراعة البصل به.

وكان إنتاج الثوم شبيه بظروف إنتاج البصل، ولذلك كانت مناطق إنتاجه مشتركة فيهما[5]، والملاحظ أن هذين المحصولين لا يفسدان بسرعة عند النقل والتخزين ولذلك فإنه لا يستبعد أن تنقل هذه السلعة إلى ابعد المناطق بالأندلس التي لا تعرف إنتاجه.

وبالإضافة إلى هذه الخضر هناك خضر أخرى كالقرع الذي كان يسوق من اشبيلية وقرطبة إلى غيرها من الأسواق الأندلسية الأخرى، وكان القرع يتواجد بالأسواق الأندلسية في بداية فصل الصيف[6]، كما وجد الخس في فصل الربيع وخاصة في مارس وكان المتأخر منه ينضج في ماي أي مع بداية الصيف فيقول ابن بصال عن نوعيه الخس

---

[1] ابن ليون التجيبي: المصدر السابق، ص118-119.
[2] المقري: المصدر السابق، ج4/ص 88.
[3] ابن ليون: نفس المصدر، ص116، كمال السيد: نفس المرجع ، ص131 .
[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج1/ ص442، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص132.
[5] ابن ليون التجيبي:المصدر السابق، ص118-119.
[6] ابن ليون التجيبي: نفسه، ص117، كمال السيد: نفسه، ص131.

الأندلسي انه أفضل الخس وأحمده وأتمه خلقا وأحسنه طعما[1]، وكان الخس ينتشر بأسواق اشبيلية بصفة خاصة، بالإضافة إلى هذا هناك الفول الأخضر والخرشف في فترة الخلافة[2]، كما كان الخس ذو النوعية الجيدة ينتشر بأسواق.

وبهذا يلاحظ أن السوق الأندلسية كانت تعرف فائضا في الخضروات أيام الربيع وأواخر فصل الصيف وبداية فصل الخريف، ولذلك فان أسعار هذه السلع تنخفض مقارنة مع الفصول الأخرى إن وجدت مثل هذه السلع.

ج- الفواكه بالسوق الأندلسية:

لقد تميزت الأندلس بكثرة بساتينها من الفاكهة والأشجار المثمرة، ولذا كان العرض كبيرا وهذا ما يجعل أسعار الفاكهة في متناول جميع طبقات المجتمع الأندلسي، فيذكر الإدريسي انه كان لأهل الجزيرة الخضراء جنات على كلتا ضفتي نهرها[3] فكان بشنترين وشلب وسرقسطة وقورية وطليطلة أصناف من الفواكه الكثيرة العديمة المثال لا يحيط بها تكييف ولا تحصيل[4]، أما دروقة[5] وألمرية وأوريولة فعرفت بغزارة البساتين والكروم ومن الفواكه مالا تحصيل له فكان كل شيء بها كثير رخيص[6]، وقد اشتهرت الأندلس خلال القرن4-5هـ/10-11م بكثرة الفاكهة نظرا للاستقرار السياسي في فترة الخلافة وكذلك نظرا لاستقلالية أمراء الطوائف بعضهم عن بعض ومباهاتهم بتلك الجنات والمنيات في القرن5هـ/11م[7]، فشجع الخليفة الناصر على استثمار الأراضي بالأندلس فحين قام

---

[1] ابن ليون: نفسه، ص119، كمال السيد: نفسه، ص132.

[2] القاضي عياض: المصدر السابق، ج2/ص106-107.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص262-263.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص266-276.

[5] دروقة: مدنية بالأندلس من عمل قلعة أيوب وهي في سفح جبل وهي تبعد عن قلعة أيوب 18 ميلا، وتبعد عن سرقسطة50 ميلا وقد بناها الإمام محمد بن عبد الرحمان وأسكنها بني عبد الرحمان التجيبيون ونصبهم لمحاربة بني قسي. العذري: المصدر السابق، ص41-53، الحميري: المصدر السابق، ص76-77.

[6] الإدريسي: نفس المصدر، ص278-283-289.

[7] المنية وجمعها منى ومنيات وتعني في الاصطلاح الأندلسي بيتا ريفيا في ضيعة أو مزرعة كبيرة، وهي تعرف في اسبانيا اليوم باسم huerta أوcortiga، وفي مصر تعرف بالغربلة، والكلمة من أصل يوناني، أخذها أقباط مصر على صورة منيا بمعنى المحطة. عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، هامش105 ص209.

ببناء مدنية الزهراء أمر بقطع شجرها وغرسه تينا ولوزا فلم يكن منظرا أحسن منها لاسيما في زمان الإزهار وتفتح الأشجار[1].

التيـــن بالأندلس:

لقد اشتهرت الأندلس عامة بجودة تينها وكثرته فكانت أسواق الأندلس طافحة بهذه السلعة في بداية فصل الخريف[2] واهم المدن إنتاجا وتسويقا له مالقة حتى انه أصبح هناك نوع يدعى بالتين المالقي وكان يضرب به المثل في حسنه، فيقول المقري أن مالقة قد اختصت من سائر بلاد الأندلس بالتين البري المنسوب إليها، فطريق الساحل من سهيل إلى بلش مسيرة ثلاثة أيام كله مغروس بشجر التين، وان بعضها ليجتنيه الطفل الصغير من لزوقها بالأرض، وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة[3]، ويضيف الحميدي عن جودة تين مالقة أن المنصور بن أبى عامر سأل احد أصحابه ما يوليه من الخطط، فقال توليني قضاء كورة مالقة وأعمالها فانه يعجبني هذا التين الذي يجيء منها[4].

وكانت التجارة الداخلية مزدهرة بهذه المادة فيقول القلقشندي:" كان التين ينقل من مالقة إلى جميع غرب الأندلس"[5]، كما كانت تتوفر بكثرة بأسواق مدنية بلش[6]، التي كانت كانت تضاهيها وتنافسها في كثرة التين[7]، وعرفت منطقة اشبيلية كذلك إنتاج فاكهة التين وكانت تسوق منها إلى باقي أسواق المدن الأندلسية واتصفت هي الأخرى بالجودة، فعرفت

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1/ص524، لكن تفسير غرس الناصر للوز والتين من اجل الإزهار تفسير غير منطقي فرغم شغف الناصر بالمظاهر الحسنة، إلا أنه حاول في هذا الغرس استثمار هذه الأراضي الجبلية لمضاعفة إنتاج هذه المادة خاصة وأن هذه الأراضي لا تصلح إلا لهذه الأنواع من الأشجار، ولو كان هدف الناصر فقط الإزهار والمنظر الجميل لغرس الأشجار الدائمة الخضرة والتي تزهر بأبدع أنواع الأزهار، ومع ذلك فانه لم يفعل ذلك، ونحن نرى أن الهدف من وراء هذا هو اقتصادي بالدرجة الأولى، فهو يغرس التين واللوز ونحن نعلم أن هذه الأشجار ليست بدائمة الخضرة وخاصة بشجرة التين فهي لا تزهر، خصوصا وان هذه الأشجار تصلح في الأرض الجبلية وكتب الفلاحة قد أشارت إلى ذلك كابن بصال الذي يرى ضرورة انتقاء الأراضي الحرشة اليابسة لزراعة التين واستشهد على ذلك بجودة زراعة هذا المحصول في المناطق الجبلية ويقول ابن الخطيب عن مالقة انه بها قصور وبساتين وجبالها لوز وتين. ابن بصال: ص66، نقلا عن حمود البكر: المرجع السابق، ص131. ابن الخطيب: مفاخرات بين مالقة وسلا، ضمن مجموع مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق،ص60.

[2] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص137.

[3] المقري: المصدر السابق، ج2/ص 218ــ219.

[4] عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص74.

[5] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218–219.

[6] بلش valez: وهي عبارة عن حصن على ضفة البحر، يبعد عن قرية الصيرة بـــ7 أميال. الإدريسي: المصدر السابق، ص292.

[7] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص93–94 ، القلقشندي : نفس المصدر، ج5/ص218، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص768.

نوع من التين يسمى التين الشقري الاشبيلي[1] ويذكر الزهري:" أن ببلنسية نوعا من التين ليس له نظير في بلاد الأندلس كلها"، أما عن الأسعار فكانت منخفضة حتى إن الرجل يشتري من التين الأخضر بربع درهم فيعمل ستين نوعا منه لا يشبه واحدا الآخر سواء في المذاق أو اللون[2]، كما عرفت إنتاجه بعض المدن كطريانة[3] وقورية وتدمير وقمارش وغرناطة وسرقسطة ولورقة[4] وبهذا فان أغلبية أسواق الأندلس اشتهرت بهذا النوع من الفاكهة.

العنـــب والــزبيـب:

عرفت الأندلس الكثير من بساتين الكروم، ولذلك أشارت معظم المصادر إلى وفرة مادة العنب في أسواق الأندلس الداخلية.

والملاحظ أن المدن الأندلسية التي كان يتوفر بها التين كان كذلك يتوفر بها العنب، من ذلك مالقة التي كانت متصلة بالكروم؛ وقد كان العنب يسوق ويباع في ثلاثة أشكال فمنها ما يباع كفاكهة طازجة وهو العنب الأخضر والأحمر، وهذا يقتصر فقط على الأسواق الأندلسية الداخلية القريبة من مناطق الإنتاج وذلك لتعرضه للفساد بسرعة، وهناك ما كان يزبب للاحتفاظ به واستعماله في مواسم أخرى، بل ونقله إلى مختلف الأسواق، والظاهر أن هذا كان يقتصر على العنب الأسود، والذي كان التجار يحملونه إلى باقي المدن الأندلسية البعيدة عن إنتاجه.

وكانت الأندلس تتوفر على نصيب هام من العنب ولذلك كان يستغل في مجالات متعددة ومنها تجفيفه ليصبح زبيبا يستطيع الأندلسيون المحافظة عليه وتخزينه مدة أطول ليتم بيعه واستعماله في مجالات أخرى، وقد اشتهرت مدينة المنكب بتسويقها لمادة الزبيب فيحكي ابن سعيد في وصف زبيبها:" بأن هناك صنفين من الزبيب لم ترهما عيناه منذ خرج

---

[1] ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص76، ابن حوقل: المصدر السابق، ص115، المقري: نفس المصدر، ج3/ص213، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص138.

[2] الزهري: المصدر السابق، ص102.

[3] طريانة: كورة من كور اشبيلية ممتدة على شاطئ النهر الأعظم في مقابلة النصف من حضرة اشبيلية، وفيها الأسواق الضخمة. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، المصدر السابق، ج1/ص214، الحميري: المصدر السابق، ص126–127.

[4] البكري: المصدر السابق، ج2/ص264، الحميري: نفسه، ص22، الزهري: نفس المصدر، ص82، القزويني: المصدر السابق، ص556، ابن الخطيب: معيار الاختيار، نفس المصدر، ص93–94، الإحاطة: المصدر السابق، ص143.

من الأندلس ولم يجد ما يفضلهما وهما الزبيب المنكبي والزبيب العسلي"[1]، وكذلك الزبيب بقرية شاط[2] ذو النوعية الجيدة، وهو حسن كبير المقدار احمر اللون يصحب طعمه مزازة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية وهو منسوب إلى هذه القرية[3].

كما عرفت مدنية بلش وقمارش وقورية ولورقة بجودة عنبها بحيث ذكر العذري:" أن بها عنبا وزن العنقود يصل إلى خمسين رطلا بالبغدادي[4]؛ كان العنب متوفر بكثرة بأسواق اشبيلية ولذلك تدنت أسعاره وأصبح في متناول حتى الفقراء وفكان يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير، أما في أبده فكان العنب لا يباع ولا يشترى لكثرته[5].

ومن بين المدن التي اشتهرت كذلك بإنتاج الزبيب وتسويقه إلى باقي المدن الأندلسية مدينة ألش التي يوجد بها زبيب ليس في جميع البلاد مثله ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس[6]، وكذلك كان ببجانة ويابسة[7].

وكان العنب ينضج خلال شهر مايو وكذلك في يونيو وفي بعض المناطق ينضج في أواخر شهر أغسطس، وبهذا فالأسواق الأندلسية زخرت بهذا المحصول الذي تنافس فيه التجار بيعا وشراء[8] ، ولم يقتصر تزبيب الفواكه وتجفيفها على العنب فقط بل كذلك تعداه إلى التين فاشتهرت اشبيلية وبلش وقورية ومالقة وحوز ريّة بتسويقها[9].

الخمور وأنواعها بالأندلس:

---

[1] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218، المقري: المصدر السابق، ج1/ص200.

[2] قرية شاط :get أو jete قرية بالأندلس بناحية مدنية المنكب، تبعد عنها بـــ12 ميلا وعن قرية طرش torrox بـ12 ميلا، وتتميز قرية شاط بكثرة زبيبها الحسن الصفة، الكبير المقدار، الأحمر اللون، ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية. الإدريسي: المصدر السابق، ص292.

[3] الإدريسي: نفسه، ص199، حمود البكر: المرجع السابق، ص134.

[4] القنقشندي: نفس المصدر، ج5/ص218-219، القزوريني: المصدر السابق، ص555، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص25-26، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص768، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص93-94.

[5] ابن حوقل: المصدر السابق، ص115، المقري: نفس المصدر، ج1/ص152، ج3/ص217.

[6] القزويني: المصدر السابق، ص502.

[7] البكري: المصدر السابق، ج2/ص381، ابن حوقل: المصدر السابق، ص115، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، القزويني: نفســه، ص555-556، المقري: المصدر السابق، ج3/ص229/ج1ص200، ابن الخطيب: مشاهدات، المصدر السابق، ص47 ، معيار الاختيار: المصدر السابق، ص94، الإدريسي: المصدر السابق، ص308، الزهري: المصدر السابق، ص128-129.

[8] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص135.

[9] ابن حوقل: نفس المصدر، ص115، البكري: نفس المصدر،ج2/ص381، القلقشندي: نفس المصدر، ج5/ص52 ص218، ابن غالب: المصدر السابق، ص292-293، الحميري: المصدر السابق، ص18-19، الدمشقي: المصدر السابق، ص244، ابن بطوطة: المصدر السابق ج2/ ص768.

انتشر ببلاد الأندلس استهلاك الخمور والإقبال عليها سواء من بعض الخاصة أو من بعض العامة، ومن أهم المدن التي كثر بها إنتاجه مالقة والتي خصت بطيب الشراب الحلال منه والحرام[1] وكذلك مدينة باغة وبلنسية واشبيلية وميورقة ولقنت وقورية[2]، فانتشرت مادة الخمر في هذه المناطق نظرا لتوفر المادة الأولية التي تقوم عليها صناعته وخاصة العنب والتين اللذين كان إنتاجهما كبيرا بهذه المناطق.

ورغم محاولة خلفاء بني أمية محاربة هذه الظاهرة بالأندلس إلا أنها كانت منتشرة بكثرة وخاصة من مادة التين فلم يستطيعوا القضاء عليها[3]، فقد وصل في عهد الخلافة وخاصة في فترة الحكم المستنصر إلى محاولة استئصال شجرة العنب من جميع أعماله وهذا لقطع الخمر من الأندلس وأمر بإراقتها وتشدد في ذلك[4]، ومع ذلك فإن النبيذ كان يباع خفية، ومن ذلك وصف أبا عمر بن هارون[5] لحالة المدمنين عليها بالأندلس:

- بخَطْب الشَّاربينَ يَضيقُ صَدْري * وَتَرْمُضُني بَلِيَتُهُم لَعُمْـري.
- أَعُشَاق المَدَام لَئنْ جَزَعْتُـم * لفُرْقَتـهَا فَلَيْسَ مَكَانُ صَبْـر.
- سَعَى طُلابُكُم حَتَى أُريقَـــتْ * دمَاءٌ فَوقَ وَجْه الأرض تَجْـري.
- فَضَوعَ عُرْفُهَا شَرْقًا وَغَـرْبـًا * فَطَبقَ أُفقُ قُرطبَة بعطْـر[6].

ومن بين أنواع الخمور التي كانت منتشرة بالأندلس نجد النبيذ، والذي كان يصنع في الكثير من الجهات وكان يختص بهذه الصناعة رهبان الأديرة، ويتم بيعها في سوق شقندة على أبواب قرطبة[7]، وقد شاع استهلاك الخمر بين أهل الثروة والترف بالأندلس نظرا

---

1 القلقشندي: نفس المصدر، ج5/ص218–219، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، المصدر السابق، ج1/ص404.

2 البكري: نفس المصدر، ج2/ص318، ابن حوقل: نفس المصدر، ص115، ابن عبدون: المصدر السابق، ص45. ابن سعيد: المغرب، نفس المصدر، ج2/ص154، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص242، كمال السيد: نفس المرجع، ص244.

3 الضبي: المصدر السابق، ص21–22، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص66.

4 الضبي: المصدر السابق، ص21–22، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص66.

5 يوسف بن هارون الكندي أبو عمر يعرف بالرمادي، شاعر قرطبي مشهور عند الخاصة والعامة، والمتقدم على الشعراء، روى عن أبي علي البغدادي كتاب النوادر، وكان الرمادي معاصرا لأبي الطيب وكلاهما من كندة. الضبي: نفسه، ص432، ترجمة 1452، ابن بشكوال: المصدر السابق، ص519، ترجمة1494، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج3/ص170، الزركلي خير الدين: كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1984،10،ج8/ص255.

6 الضبي: نفس المصدر، ص21–22.

7 أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص254، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259.

لحياة البذخ التي كان يعيشها المجتمع الأندلسي خاصة في أيام ملوك الطوائف فكثرت المنيات والحدائق وجميع مظاهر اللهو.

الزيتـــون ومستخلصاتـه:

ينتشـر الزيتـون فـي معظـم الأسـواق الأندلسـية، فكـان ينقـل مـن منـاطق إنتاجـه كجبـل العـروس فـي شـمال قرطبـة[1]، وجبـل البـرانس[2]، وفحـص البلـوط[3] لكـن أهـم مدينـة اختصـت علـى الإطـلاق بهـذا المحصـول هـي مدينـة اشـبيلية فكـان جبـل الشـرف مغترسـا بـالزيتون النـادر عنـد اعتصـاره قـد أخـذ فـي الأرض طـولا وعرضـا فراسـخ فـي فراسخ، لا تكـاد تشـمس منـه بقعـة لالتفـاف زيتونـه، ويمتـد علـى مسـافة40 مـيلا مـن اشـبيلية إلـى غايـة لبلـة وسـعته 12 مـيلا[4]؛ كمـا ينـتج الزيتـون ويسـوق كـذلك مـن مدينـة مدينـة لبلـة ولورقـة وبجانـة وبسـطة ووادي لكـة وبقريـة شـوذر وجيـان[5]، وكـان يـتم جنـي الزيتـون بالأنـدلس فـي أيـام الخريـف[6]، وبـذلك يظهـر الزيـت الجديـد فـي الأسـواق الأسواق فيباع ويوجه إلى مختلف الاستعمالات.

أمـا فـي مجـال الزيـوت فقـد احتلـت اشـبيلية هـي الأخـرى المركـز الأول فـي تسـويق الزيـت فكـان بهـا بـاب يعـرف ببـاب الزيـت[7] تخـرج منـه شـحنات الزيـت إلـى مختلـف الأسـواق، ولجـأ أهـل اشـبيلية إلـى تخـزين الزيتـون تحـت الأرض أكثـر مـن

---

1 جبل العروس: يسمى بذلك تشريفا لقرطبة إذ كان هذا الجبل تاجها وفيه بساتينها وجناتها، وهو الجبل الذي بنيت عليه المدنية ويسميه الزهري تاج العروس. الحميري: المصدر السابق، ص153، الزهري: المصدر السابق، ص87، ص98، ابن غالب: المصدر السابق، ص26–27.

2 جبل البرانس: ويسمى كذلك حائط افرنجة يقع بفحص البلوط بالأندلس، وهو يشتهر بكثرة معدن الزئبق ومن هناك يصدر إلى غيرها، وكذلك يشتهر بجودة زيتونه. الحميري: نفسه، ص142، العذري: المصدر السابق، ص119، ص182.

3 الحميري: نفس المصدر والصفحة.

4 مع العلم أن بين الشرف واشبيلية مسافة 3 أميال، ويذكر الحميري أن أهل اشبيلية إذا أرادوا أن يفتخروا قالوا الشرف تاجها لكثرة خيره و زيتونه. البكري: المصدر السابق، ج2/ص391، الحميري: المصدر السابق، ص18–19–21، ابن غالب: المصدر السابق، ص292–293، المقري: المصدر السابق، ج1ص208، الدمشقي: المصدر السابق، ص243، ياقوت الحموي: المصدر السابق ج5ص135، لومبار موريس: المرجع السابق، ص123.

5 ابن الشباط محمد بن علي التوزري المصري: وصف الأندلس، تقديم، احمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد14، سنة1967–1968، ص117، القزويني: المصدر السابق، ص556، ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1/ص339، ابن غالب: نفسه، ص291–293، الحميري: نفسه، ص351/ص14، ابن الخطيب: خطرة اللطيف، المصدر السابق، ص31، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218.

6 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص133.

7 العذري: المصدر السابق، ص95، الإدريسي: المصدر السابق، ص17، ابن غالب: نفس المصدر، ص292، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، المرجع السابق، ص126–127.

ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طري، وهذا للحصول على أجود أنواع الزيوت؛ فعلا فزيتها يعتبر من أطيب الزيوت فهو النادر عند اعتصاره لا يتغير به حال ولا يعتريه اختلال[1]، وكانت هناك معاصر للزيت بمدينة طبرنيش ولوشة وجيان التي عرفت بغدير الزيت لكثرة زيوتها وبغرناطة وقلمرية[2].

الرُمـــان:

كان بالأندلس العديد من أنواع الرمان فمنها السفري[3] والامليس والدواري والعدسي واليرجين والمرسي[4]، وكانت معظم هذه المنتوجات تأتي من اشبيلية، فرمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا، كما وجد هذا الرمان في أسواق مالقة[5].

وحسب ابن سعيد فإن الرمان السفري فاض على أرجاء الأندلس وصار أهلها لا يفضلون عليه سواه، وقد وصفه ابن حيان فقال:" وهو الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ورقة الحجم وغزارة الماء وحسن الصورة"[6]، وكان الرمان السفري بقرطبة وبمدنية تدمير، ولاشك في أن هذا الرمان هو الذي اقبل عليه أهل الأندلس بالشراء نظرا لنوعيته الجيدة.

---

[1] البكري: نفس المصدر، ج2/ص391، ابن غالب: نفسه، ص292-293، الحميري: نفس المصدر، ص21، المقري: نفس المصدر، ج1/ص208.

[2] Levi Provençal DESCRIPTION de Razi .OP CIT P 89. - الزهري: المصدر السابق، ص96، الحميري: نفسه، ص24-112-117، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص 104-105/125-126، ابن غالب: المصدر السابق، ص284، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، نفس المرجع، ص126-127، وقد كانت معاصر الزيوت تدار أو تشغل بقوة دوران الماء أو قوة الدواب، ولم يقتصر استخراج الزيت على الزيتون فحسب بل كان يستخرج كذلك من نبات الكتان.

[3] السفري: نسبة إلى سفر بن عبد الله الكلاعي من جند الأردن الذي جاء بهذا الرمان إلى قرطبة وخاصة بكورة رية، فعالجه واحتال لغرسه وتنقيله حتى طلع شجرا أثمر وأينع فجاء به إلى عبد الرحمان الناصر فعرفه فأجزل صلته واغترس منه بمنية الرصافة فانتشر نوعه واستوسع الناس في غرسه، وبهذا ولزمه النسب فصار يعرف إلى الآن بالرمان السفري. المقري: المصدر السابق، ج1/ص467.

[4] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص140.

[5] المقري: نفسه، ج1/ص152، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص767-768.

[6] المقري: نفسه، ج1/ص467 ، الحميري: المصدر السابق، ص22.

وعرفت أسواق طليطلة وغرناطة عدة أنواع من الرمان[1]، فهناك نوع من الرمان السفري يعرف باليرجين لكنه اقل جودة، فكان إقبال الأندلسيين على الرمان السفري، وكان الرمان يتم نضجه في شهر سبتمبر أي مع أيام الخريف[2] وبذلك تكثر التجارة به في الأندلس فيحمل من مناطق إنتاجه إلى غيرها من المناطق لتسويقه.

التــفاح:

اشتهرت بساتين الأندلس بإنتاج فاكهة التفاح، لكنها وان عرفت بجودتها فإنها لا تعم مدن الأندلس؛ ومن أهم مصادر هذه الفاكهة حصن جليانة[3] حيث يشير المقري إلى أن به التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع، وقد وصف بعظم الحجم وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة[4].

وقد اشتهرت بإنتاجه وتسويقه مدينة سرقسطة وبكميات كبيرة ولذلك كان ينقل عن طريق القوارب لتوزيعه إلى مختلف الأسواق الأندلسية فيقول عنها الحميري:" وربما بيع منها –بسرقسطة– وسق القارب من التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة من غيرها"[5]، ويصف اليسع بن عيسى الغافقي تفاح شنترة" بأن دور(محيط) كل تفاحة ثلاثة أشبار وأكثر[6]، وكذلك بقلمرية ومدنية شلب وبأشبونة ووشقة وغرناطة[7]، وكان يظهر المحصول المبكر للتفاح في مايو بينما ينضج جميعه في يونيه، والظاهر انه يكون في البداية باهض الثمن لقلته فلا يشتريه إلا ذوو اليسار من الناس، ثم بعد ذلك تمتلئ به الأسواق ويحول الفائض منه إلى عصير يسمى شراب التفاح[8].

---

[1] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص228، واشنطن إيرفنج: سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص25.

[2] تقويم قرطبة، ص91، نقلا عن كمال السيد: نفس المرجع، ص140.

[3] جليانة: حصن بنواحي وادي آش بالأندلس، وقد لجا إليه أبي أيوب ابن الخليفة عبد الرحمن بن معاوية، وقام بالدعوة هناك لنفسه فيمن انضوى إليه من العرب والموالي، ومما يميز هذا الحصن التفاح الذي يضرب به المثل في الأندلس. العذري: المصدر السابق، ص90.

[4] ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2/ص221، المقري: المصدر السابق، ج1/ص149.

[5] الحميري: المصدر السابق، ص97.

[6] المقري: نفس المصدر، ج1/ص164، القزويني: المصدر السابق، ص542، ابن سعيد : المغرب، نفس المصدر، ج1/ص338.

[7] العذري: المصدر السابق، ص55، الزهري: المصدر السابق، ص85، البكري: المصدر السابق، ج2/ص380، ابوالفداء: المصدر السابق، ص173، الحميري: نفس المصدر، ص22/ص164، ص342، ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1/ص143، القزويني: نفسه، ص556.

[8] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص139.

الكمثـري(الاجـــاص):

تركز الكمثري خاصة بأسواق حصن دلر[1] بجبل شلير:" فكان به الكمثري كل عجيبة وذلك انه يكون منها في وزن الحبة الواحدة رطل أندلسي، وأما الأعم منها فكمثرتان في رطل واحد ولها مذاق عجيب"[2]، وكان ببلنسية نوع من الكمثري يسمى الارزة في حجم حبة العنب واشتهر بطيب رائحته وحلاوة طعمه، وعرفت سرقسطة بنوعية الاجاص الساقيني[3] كما وجد بلورقة وبوشقة وتدمير وشنترة[4].

والملاحظ ان الكمثري كان ينضج في يوليو وأغسطس، وفي هذا الموسم تظهر في أسواق قرطبة الكمثري السكرية الطيبة، وأما الباكور منها فيظهر في مايو[5]، وكانت قرطبة محط التجار في جلب وتسويق هذه المادة، فهي رغم كونها من المدن التي لا تنتجه إلا ان عريب بن سعد أشار إليه في أسواقها، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على انه يأتيها-قرطبة- كل شيء نادر، من بواكير الفاكهة والثمار قبل غيرها من المناطق التي تعرف الإنتاج، وذلك ليس لشهرتها فقط، بل لأن أهلها مياسير، يقبلون على شرائه ولو بأثمان مرتفعة.

فكانت تجلب دفعات الفاكهة الأولى إلى سوق قرطبة حتى يحقق التجار أرباحا سريعة، خوفا من تلاحق نضج الثمار في باقي المناطق الأندلسية، يستطيع التاجر من خلال ذلك تأمين الأزمة المالية التي تأتي بعد ذلك، خاصة عند انخفاض أسعار السلع بحيث تكثر السلع بشكل كبير، وتتدنى أثمانها إلى ادني المستويات حتى تصبح في متناول الفقراء والعامة.

فواكه أخرى:

وبالإضافة إلى هذه الفواكه فإن أسواق الأندلس زخرت ببعض الفواكه الأخرى كالموز، الذي كان ينقل خاصة من المناطق الساحلية من الأندلس، فكان الموز في ساحل إلبيرة[6] وشلوبنية وشمجيلة[1] وعرفت تسويقه كذلك مدينة اوريولة والمنكب[2] وقد كان

---

[1] حصن دلر: بالأندلس من حصون جبل الثلج أو جبل شلير sierra Nevada ويقع في أسفله خاصة، وهو مجاور لحصن فريرة المشهور بالجوز، وفحص عبلة وخندق آش. الإدريسي: المصدر السابق، ص294.

[2] الإدريسي: نفسه، ص294، كمال السيد: نفس المرجع، ص141.

[3] المقري: نفس المصدر، ج1/ص179، واشنطن ايرفينج: المرجع السابق، ص25.

[4] البكري: نفس المصدر، ج2/ص380، العذري: نفس المصدر، ص2−66، الحميري: نفس المصدر، ص195/22.

[5] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص141.

[6] القزويني: المصدر السابق، ص502.

الموز معدوما في أسواق الأقاليم الباردة[3]، ولذلك فربما كان ينقل من هذه المناطق الساحلية إلى مثل تلك الأقاليم.

كما كان القراصيا أو ما يعرف في الأندلس"بحَب المُلُوك" متوفرا بالكثير من المناطق والأسواق الأندلسية، وخاصة ببلنسية التي يذكر الزهري أن بها الكثير من حب الملوك، الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد[4]، وكذلك يكثر بأسواق قلمرية وفريش وسرقسطة، وقد كان يتميز القراصيا الأندلسي بالجودة، فيذكر الرازي انه كان بالأندلس، البرقوق المهلبي الذي لا يزرع إلا في الأندلس أو الهند[5] ولذلك كان يفضل المنتوج المحلي على غيره.

أما فاكهة التوت فعرفت مدن كثيرة بالأندلس بتسويقها، خاصة وان أشجار التوت كانت تستعمل بالإضافة إلى إنتاج الفاكهة كانت تستعمل لتربية دودة القز لإنتاج الحرير، فكان التوت بعدة مناطق من الأندلس منها مالقة وجيان وفنيانة وغرناطة وألمرية وبسطة وتدمير ولورقة التي بها شجر التوت الكثير[6].

كما كان ينتج وسوق بالأندلس الخوخ[7] والسفرجل بمدنية لورقة[8]، كما عرفت الأندلس العديد من الفواكه التي جلبت من المشرق كالحمضيات مثل الليمون والبرتقال

---

[1] شمجيلة: تقع شمجيلة قرب ساحل البحر المتوسط وكانت تابعة لأعمال مدينة مالقة. ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج3/ص360-361، الحميري: المصدر السابق، ص111.

[2] الدمشقي: المصدر السابق، ص245، ابن فضل الله العمري: المصدر السابق ، ص47.

[3] المقري: المصدر السابق، ج1ص137، ويشير عريب بن سعد إلى أن المنتجين الأندلسيين للموز كانوا يقومون بتغطية أشجار الموز خلال فصل الشتاء حتى لا يضرها الجليد. عريب بن سعد: ص109، نقلا عن كمال السيد: نفس المرجع، ص142.

[4] الزهري: المصدر السابق، ص102، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1/ص490.

[5] ابن غالب: المصدر السابق، ص290، الحميري: المصدر السابق، ص164، الزهري: نفسه، ص82، Livi provençal la description de l'Espagne d' Ahmed alrazi op cit p 59،

[6] القلقشندي: المصدر السابق، ج5ص219 ، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص113، خطرة اللطيف، المصدر السابق، ص31، الدمشقي: المصدر السابق، ص243، القزويني: المصدر السابق، ص556، الحميري: نفسه، ص22، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259، والملاحظ أن أشجار التوت كانت تستعمل بالإضافة إلى إنتاج فاكهة التوت كذلك لإنتاج الحرير وتربية دودة القز فكان تشجيع زراعتها من المهام الرئيسية لتدعيم اقتصاد البلاد، وفعلا اشتهرت الأندلس بإنتاج كميات كبيرة من الحرير.

[7] المقري: المصدر السابق، ج1/ص200.

[8] القزويني: نفس المصدر، ص555.

والبرقوق، بالإضافة إلى الدلاع والبطيخ، وتركز إنتاجها وتسويقها لكن بكميات قليلة في مرسية وبلنسية وغرناطة[1].

المكسـرات(الفـواكه الجـافـة):

لقد اشتهرت التجارة في الفواكه الجافة اوالمكسرات بالسوق الأندلسية مثل الجوز واللوز القسطل والبندق والفستق وغيرها، ومن أهم المناطق التي كانت تنقل منها هذه السلع نجد مدينة شنتمرية التي اشتهرت بشجر الجوز والبندق[2]، وعرفت مدينة فريش بالغرب من فحص البلوط وقرطبة بشجر القسطل والجلوز[3] والجوز، وبغرناطة وحصن فريرة وشلب والبرتغال حسب الرازي الكثير من ادواح الجوز[4]، وتواجد اللوز بإشبيلية وبلش ومالقة وقمارش، فكان يباع اللوز ذو النوعية الرفيعة الذي يصفه القلقشندي بحسن المنظر، ومن هذه المدن كان ينقل يابسا إلى جميع غرب الأندلس[5]، كما عرفت بساتين قرطبة بإنتاج كميات كبيرة منه، فكان بها اللوز الكثير الذي يسوق إلى باقي مدن الأندلس[6].

وفي أيام الخليفة عبد الرحمان الناصر شجع على غرس أراضي البور الجبلية باللوز وخاصة بمدينة الزهراء[7]، كما كان بمدينة قبرة وبشنتقيرة الواقعة بشرق قرطبة أشجار اللوز والبندق[8].

وكان بدء الجوز في النضج خلال شهر يونيه أي مع بداية فصل الصيف ويجمع في أغسطس ومن أنواع الجوز الامليسي الكبير الحب الرقيق القشر والترحين الصيفي الحب وأما اللوز الكبير فيبدأ في النضج خلال شهر ديسمبر[9].

عسـل النحـل:

---

1 ابن ليون التجيبي: المصدر السابق، ص107-111.

2 ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج5/ص108.

3 الجلوز وهو البندق بالعربية والجلوز بالأندلسية، ويضيف ابن عبد الله القرطبي أن البندق هو الجلوز، وهو من جنس الشجر العظيم، وهو كثير بالأندلس والروم، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص144.

4 ابن غالب: المصدر السابق، ص289-290، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص92-94.

5 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص767-768، ابن الخطيب: مفاخرات بين مالقة وسلا، المصدر السابق، ص60.

6 ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص104، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، نفس المرجع، ص144.

7 المقري: نفس المصدر، ج1/ص524، أنظر هامش ص 87من هذه الدراسة.

8 E Levi provençal .la description de l'Espagne d'Ahmed Razi OP cit 75.

9 كمال السيد: نفس المرجع، ص143.

عرفت الأندلس بغطائها النباتي الكثيف وجناتها الغنّاء فكورة باجة نوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل ولذلك كان مردود العسل كبيرا فعرفت أسواقها عسلا ذو نوعية رفيعة، ويؤكد ذلك القزوينى فيقول عن اشبيلية" ولعسلها فضل على كل عسل بالأندلس وهو يشبه السكر وإذا لف في خرقة لا يلوثها[1]، ويقول ابن غالب"عن عسل أشبونة بأن في جبالها عسل ابيض خالص يشبه السكر في المذاق"، وكذلك كان السكر ينتج بمدينة بلش وقنتورية وأوريولة وألمرية[2] والبيرة والمنكب وشلوبين وغرناطة[3]، وكان العسل يسوق يسوق من هذه المدن إلى باقي الأسواق الأندلسية.

2- بعض المصنوعات الغذائية:

انتشرت بالأندلس نباتات المناطق الحارة وشبه الحارة ذات القيمة الاقتصادية الهامة على نطاق واسع، ويرجع الفضل في هذا إلى العرب الرحالة، وبتشجيع من الخلفاء، وكان الغرض من ذلك توفير مثل هذه السلع ذات الأهمية الاقتصادية محليا، والاستغناء عن طلبها بواسطة الاستيراد، ومن هذه السلع نجد:

الأجبــان:

بالرغم من أن هذه الصناعة قد لاقت بعض ردود الفعل من قبل الفقهاء، إلا أنها كانت موجودة بالأندلس وكان الإقبال عليها كبيرا من قبل أهل الذمة بصفة خاصة صناعة وبيعا وكان يشاركهم فيها بعض المسلمين، في أيام احتفالاتهم وهذا كما يذكر الطرطوشي:" وكذلك إقامة "يناير" بإشباع الفواكه كالعجم، وشراء المجبنات وهي من الأطعمة المبتدعة[4]، وأما أهم المدن التي تنتج الجبن فهي مدينة المرية وشريش ومالقة وقرطبة واشبيلية[5].

---

[1] القزوينى: المصدر السابق، ص555.
[2] ابن غالب: المصدر السابق، ص290-291، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص105-109.
[3] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218، ابن غالب: نفسه، ص293، القزويني: المصدر السابق، ص502، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص153.
[4] الطرطوشي: المصدر السابق، ص 117-119.
[5] المقري: المصدر السابق، ج1/ص184، ابن الخطيب: معيارالاختيار، نفس المصدر، ص99، كمال السيد :تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص259.

السكـــر:

لقد نجحت زراعة قصب السكر بالأندلس نجاحا كبيرا، ولذلك قامت بإنتاج مادة السكر التي كانت تستعمل في تحضير الكثير من الأغذية، فكان الطلب على هذه المادة بالأسواق الأندلسية كبيرا جدا.

وقد اشتهرت الأندلس بمادة السكر، يدل على ذلك الإشارات من قبل كتب الجغرافيا بانتشاره في الكثير من المناطق[1]، فكان يتواجد بالمناطق الساحلية وبخاصة ببساتين جنات المصلى الاشبيلية والتي يحسن بها قصب السكر[2]، كذلك مدينة المنكب التي غصت أرضها بقصب السكر واستوعب طولها وعرضها، وبإلبيرة ووشقة واوريولة ومدينة غرناطة التي يحسن فيها قصب السكر ويحسن بشلوبينية من أعمال كورة البيرة[3]، ومن بين المدن المنتجة والموزعة لمادة قصب السكر، وقد تواجدت معاصر السكر باشبيلية والبيرة وبمدينة المنكب وشلوبين وغرناطة[4].

وقد ذكر عريب ابن سعد ان القصب كان ينمو في سبتمبر ويحصد في شهر نوفمبر وشهر يناير ليصنع منه السكر[5].

3-المنتوجات العطرية:

توفرت بأسواق الأندلس كذلك بعض النباتات والأزهار العطرية، التي كان الهدف من بيعها صناعة العطور والتجميل، ومنها الحناء وعود اليلنجوح، الذي لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة[6]، وكانت التوابل كالكروية والكمون والقسط والسنبل والجنطيانة من

---

[1] القزويني: المصدر السابق، ص10، المقري: المصدر السابق، ج1/ص200، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259.

[2] العذري: المصدر السابق، ص96، ابن غالب: المصدر السابق، ص23–24/ص293، المقري: نفس المصدر، ج1/ص137ص208، الحميري: المصدر السابق، ص21.

[3] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218، الدمشقي: المصدر السابق، ص246 ، القزويني: نفس المصدر، ص502، ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص104، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص94، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص80، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص153.

[4] القلقشندي: نفسه، ج5/ص218، ابن الخطيب: الإحاطة، نفسه، ص104، ابن غالب: نفسه، ص293، القزويني: نفسه، ص502، ياقوت الحموي: نفسه، ج5ص153، المقري: نفس المصدر، ج1ص208.

[5] كانت تستخلص عصارة السكر بقطع أجزاء صغيرة من القصب ثم يعصر، وهذه العصارة تغلي حتى يتبخر ثلاثة أرباعها ويتبقى الربع ومن هذا السائل السميك المتبقي المسمى الخثارة تستخلص مادة السكر. تقويم قرطبة: ص24–91–109، نقلا عن كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص124.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة، نفس المصدر، ج1/ص104–105، المقري: نفس المصدر، ج1/ص137.

العطور الموجودة بالأندلس رغم قلتها وخاصة بجبل شلير وكذلك بدلاية وبجبل المنتلون[1] وبجبل شقورة وبجبل الجنة قرب اكشونبة[2].

الزعفــران والعصفــر:

يعتبر هذان المنتوجان من المحاصيل الصناعية بالأندلس، فكانا يستعملان في الطهي وصباغة مختلف المنسوجات.

ومن المناطق التي عرفت الزعفران مدينة طليطلة، فكان زعفرانها يعم البلاد وهو المتناهي في الفضل، تفوق جودته كل زعفران[3]، وثاني مدينة اشتهرت بإنتاجه بسطة والتي اختص أهلها بمعالجة هذا المحصول وإعادة تسويقه نحو باقي المناطق الأندلسية، وكان بها كميات كبيرة مما يسمح لها بتسويق الفائض نحو باقي الأسواق الأندلسية الأخرى، فكما يقول القلقشندي أن فيها ما يكفي أهل الملة الإسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه منه[4]، وكذلك من مناطق إنتاجه بياسة وباغة وكان ينبت ببلنسية ويزكو بها وبوادي الحجارة وأبدة[5]، وكان الزعفران يحصد في أوائل أكتوبر أو نوفمبر أي مع نهاية فصل الخريف[6].

أما العصفر فعرفت الأندلس نوعين منه، المشوك وغير المشوك وكان هذا الأخير أكثر جودة وأفضل من الأول في عملية الصباغة ليعطي اللون الأصفر[7]، كان يتواجد بكل بكل من اشبيلية ولبلة، إذ منهما كان يجلب العصفر الجيد ذو النوعية الرفيعة[8] ومن هذه المدن كان يتم تسويقه و توزيعه إلى باقي أسواق الأندلس سواء عن طريق المزارعين

---

1 جبل المنتلون: لعله الجبل الموجود بمدينة اكشونبة، وهو جبل عظيم وأكثر ما ينبث فيه العود الطيب الرائحة، ومنه يحمل إلى كل الجهات. الحميري: المصدر السابق، ص106.

2 المقري: المصدر السابق، ج1/ص141.

3 البكري: المصدر السابق، ج2/ص394، ابن غالب: المصدر السابق، ص288، ياقوت: المصدر السابق، ج6ص265.

4 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص221، القلصادي: المصدر السابق، ص92-93، ابن الخطيب: خطرة اللطيف، المصدر السابق، ص31، معيار الاختيار: المصدر السابق، ص109-110.

5 العذري: المصدر السابق، ص17، ابن غالب: نفس المصدر، ص283-284، ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2/ص58، المقري: نفس المصدر، ج1/ص149/ص179، ياقوت: نفس المصدر، ج1/ص490، القزويني: المصدر السابق، ص513 ، الحميري: نفس المصدر، ص57.

6 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص127.

7 حمود البكر: المرجع السابق، ص137، آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب، محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج2ص231.

8 العذري: نفس المصدر، ص96/ص111، الحميري: نفس المصدر، ص21، القزويني: نفس المصدر، ص555، ابن الشباط: المصدر السابق، ص117.

أنفسهم أو عن طريق الوسطاء المتمثلين في التجار، وكانت أيام زراعته في شهر فبراير أو مارس أي مع نهاية الشتاء وبداية فصل الخريف[1] وبذلك يتم جنيه مع نهاية الصيف وبداية الخريف.

4-السلع المصنعة بالأندلس:

إن من بين أهم الأسس التي ارتكزت عليها التجارة الداخلية الأندلسية هي الاعتماد على ما تنتجه الأرض من محاصيل، ساهمت هي الأخرى بشكل كبير في انتعاش الصناعة وهذا ما جعل السوق الأندلسية تزخر بالكثير من السلع المصنعة سواء من قبل المصانع الكبيرة أو من قبل الحرفيين كأشخاص فرديين، وقد انحصرت النشاطات التجارية الصناعية خاصة في المدن[2] وهذا لقربها من السوق ولتوفر المواد الأولية الأساسية ومن بين الصناعات التي تواجدت واشتهرت بالأسواق الداخلية الأندلسية نذكر:

أ)-السلــع النسيـجيــة:

أ)-1- الحـريـريـة:

كانت الصناعات النسيجية بالكثير من مدن الأندلس، ولذلك زخرت أسواقها بمختلف الأقمشة والألبسة ذات النوعية الرفيعة، ومن أهمها الحريرية التي عرفت شهرة تجاوزت الحدود الأندلسية، وفي مختلف أنواعها، ولذلك انتشرت تربية دودة الحرير على نطاق واسع، فازدهرت هذه البضاعة وكان إقبال التجار عليها كبيرا، خاصة في عهد الخلافة وملوك الطوائف، فيذكر ابن حوقل انه كان يصنع بالأندلس ويصبغ الحرير بمختلف أنواعه من خز وقز[3]، وكان من الشائع إن يتم غزل الحرير في المناطق الريفية، نظرا لأن صاحب أشجار التوت كان يسلم بويضات الدود إلى عامل يتولى رعايتها نظير ربع الحرير كمكافأة له[4].

أما نسج الحرير وتسويقه فكان يتم في المراكز التجارية الكبرى فكانت المرية تتصدر مدن الأندلس صناعة وتسويقا، فكما يقول الدمشقي:" كان يقصدها التجار لشراء الحرير، وقد اختصت المرية ومرسية ومالقة بالوشي المذهب، وكان بحصن شنش التوت الكثير

---

[1] حمود البكر: المرجع السابق، ص137، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي،المرجع السابق، ص128.
[2] عن السلع المصنعة و بعض السلع المعدنية ومناطق تواجدها انظر الخريطة المرفقة في آخر هذا البحث ص
[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص114.
[4] الطوخي: المرجع السابق، ص306 .

وفيها الحرير والقرمز[1]، فحظيت ألمرية منذ تأسيسها في فترة الخلافة بشهرة كبيرة في صناعة المنسوجات الحريرية فإليها انتقلت صناعة الحرير التي ازدهرت في بجانة إبان القرنين3-4هـ/9-10م[2] وبعد سقوط قرطبة ورثتها ألمرية في صناعة الوشي والديباج في فترة ملوك الطوائف فيقول الحموي:" انه كان يعمل بقرطبة الوشي والديباج فيجاد عمله، ثم غلبت عليها المرية فلم يبق بالأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية، فكان بهذه المدينة مصنعا للحلل الموشية النفيسة[3] وكان بها ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة، فكان بها ثمانمائة نول لنسج الحرير وألف نول للحلل النفيسة والديباج الفاخرة والسقلاطون[4] والاصبهاني والجرجاني.

كما عرفت مالقة بحلل ديباجها ذات البدائع والتطريز[5] والحلل الموشية التي تجاوزت أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم[6]، كما عرفت مدينة غرناطة بإنتاج هذه المادة كذلك وخاصة بقسطيلية فكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتاره منها البلاد، وبمدينة جيان وشبالش ففيهما معدن حرير خلصت سبائكه وأثرى منه بزازة وحائكه[7]، وبهذا فان التجار قد استغنوا بالأموال من خلال المتاجرة بهذه المادة الحريرية النفيسة سواء داخليا أو خارجيا، وقد انتظمت بأسواق الأندلس عدة أماكن لبيع الأقمشة والثياب الجاهزة على السماط الأعظم الواصلة إلى الجامع الأعظم.

---

[1] الدمشقي: المصدر السابق، ص243، المقري: المصدر السابق، ج1/ص164–ص357.

[2] E Levi provençal : .La description de l'Espagne d'Ahmed Razi 65 Op.cit.
ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص119، عبد العزيز سالم: تاريخ المرية الإسلامية، المرجع السابق، ص155.

[3] الحموي: نفسه، ج5/ص119، المقري: نفس المصدر، ج4/ص207.

[4] السقلاطون: وهو نوع من قماش ذي حواشي ذهبية، وكان النوع الذي يصنع في بغداد ارفع أنواعه، وهذه الكلمة "سقلاطون"عرفت انتشارا واسعا في العصور الوسطى وتبنتها عدة لغات الأوروبية وأصبحت بالألمانية CICLAT وبالاسبانية CICLATON، وبالفرنسية SIGLATON، وبالانجليزية CINGLATORN، والكلمة هي نسبة إلى إحدى مدن بلاد الروم. الإدريسي: المصدر السابق، هامش ص289، الطوخي: المرجع السابق، ص305.

[5] ابن سعيد: بسط الأرض، المصدر السابق، ص74، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص77، الطوخي: نفسه، ص305.

[6] المقري: نفس المصدر، ج2/ص219.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص105، معيار الاختيار، نفس المصدر، ص111–112، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259، واشنطن ايرفينج، المرجع السابق، ص25.

وقد تنوعت البضائع الحريرية بالأندلس، فوجد الديباج، وهو من المنتوجات السميكة التي تزدان بالتنميقات ذات الألوان البيضاء والزرقاء السماوية، وتتسم بالمتانة والجودة، كما وجدت الخمر الحريرية والمعاجز الشفافة[1] التي ترتديها نساء الأندلس خاصة.

ومن السلع الأجنبية التي توطنت بالأندلس وأصبحت بضائع محلية تنتج وتباع بأسواق الأندلس، نجد القماش العنابي والجرجاني والأصفهاني، فهذه الأنسجة قد ذاعت شهرتها ببلاد فارس والعراق وجرجان[2].

أ)-2- الصوفيـة:

ومن بين المنسوجات بالأسواق الأندلسية نجد كذلك الصوفية، بحيث أن وفرة الصوف بالأندلس شجع على مثل هذه السلعة، فكما يقول لومبار موريس أن اسبانيا قد اكتسبت ثروة طائلة من إنتاج الصوف الناعم والمرن [3].

فكانت هناك الاوطية الصوفية الجنجالية نسبة إلى جنجالة Chinchinella وكذلك بمدنية قونكة التي كان ينسج بها الاوطية المتخذة من الصوف كل غريبة[4].

والظاهر أن سلع النسيج لم تقتصر فقط على حرير دودة القز والصوف فقط، بل وجدت صوف بحرية كانت تستخرج من دابة تدعى اباقلمون[5]، وكانت هذه الدابة تنتشر بشكل خاص، بساحل مدينة شنترين، فيذكر المقدسي:" أن هذه الدابة تحتك بحجارة على شط البحر، فيقع منها وبرها، وهي في لون الخز، لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئا، ذات

---

[1] مورينو مانويل جومث: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة، لطفي عبد البديع، السيد محمود عبد العزيز سالم، مراجعة، جمال محمد محرز، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، الدار المصرية للتأليف، مصر، دون تاريخ، ص414، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص234، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، المرجع السابق، ص157-158، وقد تم جلب القماش العنابي من العراق بحيث كان يصنع في حي العنابية ببغداد، كما تم إدخال الصناعات الحريرية حتى من جرجان وأصفهان.

[2] الزهري: المصدر السابق، ص52، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، نفس المصدر، ص234-235، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، نفس المصدر، ص158.

[3] لومبار موريس: الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ط1، 1979، ص123.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص286، كمال السيد: نفس المرجع، ص236.

[5] أبا قلمون: يقول ياقوت الحموي عن هذه الدابة أنها الجند باد وهي حيوان برمائي يعيش في بحر الروم، وإذا خرج إلى البر أخذه الصيادون فيقطعون خصاه ويطلقونه" ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص40، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص104-142، نجاة باشا: المصدر السابق، ص49.

ملمس ناعم، وتعالج كالحرير[1]، وتسمي لوسي بولنز هذا الكتان بالبز، وتقول أنها شعيرات تخرج من صدفة كستنائية اللون يفرزها هذا الحيوان الذي هو من فصيلة الرخويات فتخرج من المحيط كالحرير.

وهذا الشعر سواء كان اسود أو أخضر يتميز بلون ذهبي يشبه قزحية العين وهو موجود في نواحي شنتمرية بالمحيط الأطلسي[2]، وقد كان عزيز الوجود، فيجمع وينسج منه ثياب، تتلون في اليوم ألوانا، ولذلك كان يعدل بوزنه ذهبا، ويسمى القماش الناتج عن هذا البز أباقلمون وهو يعني حرير الروم[3]، ولم يكن ممكنا لبسه إلا للسلاطين نظرا لغلائه وارتفاع ثمنه والمواد التي يتطلب جمعها عدة سنوات فيصل ثمنه أحيانا إلى ألف دينار، بل قد يصل إلى عشرة آلاف دينار، ولذلك كان الخليفة يمنع من حمله إلى البلدان، إلا ما خفي منه[4].

أ)-3-الأقمشة القطنية والكتانية:

لقد عرفت مناطق مثل اشبيلية وغرناطة ووادي آش وسرقسطة إنتاج مادة القطن والكتان، ومن هنا عرفت هذه المناطق بصناعة الأقمشة القطنية والكتانية[5]، فيقول جوزيف جوزيف رينو أن النشاط الخاص بالصناعة النسيجية قد بلغ أوجه في الغنى في عهد الخلافة القرطبية في مصنع البلاط الذي زوده الخليفة الناصر بعناصر مشرقية، ومن مظاهر الإبداع في النسيج مئزر لهشام بن عبد الحكم المنسوج من الكتان بشكل رقيق جدا، وله أهداب طويلة وفيه رسوم آدمية في حالة الجلوس هذا إلى الحيوانات ذوات الأربع[6].

---

[1] المقدسي: المصدر السابق، ص193، الاصطخري أبواسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي: المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة، محمد شفيق غربال، دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة،1961، ص35، القزويني: المصدر السابق، ص542، ابن خلكان: وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج6/ص137-138، ترجمة 816.

[2] لوسي بولنز: نباتات الصباغة والنسيج قطاع زراعي مزدهر في الأندلس(قوامه القطن والعظلم)-(ق5-7هـ/11-13م) ترجمة: مصطفى الرقى، عن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمي الخضراء الجيوسي، المرجع السابق، ج2/ص1400-1401.

[3] نفس المرجع والصفحة .

[4] المقدسي: نفس المصدر، ص193، لوسي بولنز: نفس المرجع، ص1400-1401.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة ، المصدر السابق، ص140-141، أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259-260.

[6] جوزيف مورنيو: المرجع السابق، ص411-414.

وكان ببلنسية ينسج ويباع الثياب الغالية من الكتان، ويباع بها أقمشة قطنية تعرف بالدراريع كانت تباع خاصة في المناطق الريفية[1]، وكان معروفا أن ثياب القطن أكثر نعومة ودفئا من ثياب الكتان "فكان الأغنياء يلبسون ثياب القطن والمعاطف القصيرة، أما الصوف فكان الفقراء هم وحدهم من يلبسونها"[2] باعتبارها زهيدة الأثمان، أما القطن والكتان فإنه يتطلب زراعة وحرص كبيرين من قبل المزارعين بالإضافة إلى غلاء أثمانهم مقارنة بالصوف.

والظاهر أن هناك بعض العامة وحتى القليل من الفقراء من كان يرتدي المنسوجات الكتانية والقطنية ويقبل عليها بالشراء، فكما يقول ابن حوقل:" انه يعمل في أقطار بلدهم الكتان الدني للكسوة"[3]، ويؤكد ابن الخطيب أن لباس أهل الأندلس الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ، وتتفاضل البز بتفاضل الكتان والحرير والقطن[4].

وعرفت بعض المناطق في الأندلس بإنتاج الكتان كطركونة وشاطبة، لكن مع بداية القرن5هـ/11م بدأ إنتاج الكتان يبتعد تدريجيا عن البساتين الواقعة عند سفوح الجبال وتحول نحو المواقع الساحلية، كمالقة وسهول غرناطة ووادي اندراش داخل مملكة المرية، حيث تقوم صناعة الأشرعة البحرية من الكتان الملون، وقد احتفظ الكتان بأسعاره ومكانته بالأندلس رغم دخول القطن إلى الأندلس كمنافس له[5].

ب)- بضائع الصباغة:

وقد تبع رواج السلع النسيجية بالأسواق الأندلسية رواج سلعة أخرى مكملة لها وهي مواد الصباغة، فنلاحظ هنا اهتماما فائقا أبداه التجار الأندلسيين بمواد الصباغة والتلوين، بحيث بحثوا عنها في شتى مناطق الأندلس لكثرة الطلب عليها، فتقول لوسي بولنز أن

---

[1] الزهري: المصدر السابق، ص102، المقري: المصدر السابق، ج1ص159، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص236.

Levi Provençal :.Histoire de l'Espagne musulmane . Paris tome .3. p424 1967.

[2] لوسي بولنز: المرجع السابق، ص1397–1398، وللبعض الآخر باعتبارها لباس يوحي إلى الزهد والابتذال، ولا أدل على ذلك من ارتداء الصوفية الذين يدعون الزهد وتحقير أنفسهم لها، فهي بذلك لباس الفقراء، وهذا لسهولة صناعتها ومعالجتها، وانتشار تربية المواشي بالريف الأندلسي، واختصاص غالبية أهل الريف بنسجه. ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن: تلبيس إبليس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 4،1997، ص183/174.

[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص114.

[4] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص140–141.

[5] لوسي بولنز: نفس المرجع، ص1398–1399.

نباتات الصباغة والنسيج انعكس ازدهارهما ورواجهما على ازدهار وظهور طبقة برجوازية من التجار[1]، وكانت أبحاث الحسبة ومراقبة الأسواق تقوم بالإشراف الدائم على عمليات الغزل والنسيج، والحياكة والصباغة فأصبحت بذلك أحاديث الأسواق لا تنصب إلا عن تقنيات النسيج[2].

وقد انتشرت بالأندلس عدة مصادر للصباغة منها النباتية والحيوانية ومنها المعدنية، فكان هناك العصفر باشبيلية ولبلة، وكان بها يفضل الآفاق لنوعيته الجيدة[3]، وكذلك الزعفران الذي انتشر في أنحاء متفرقة من الأندلس كطليطلة وباغة وبياسة[4] فكان يستخرج اللون الأصفر من هاتين المادتين، بالرغم من أن هذا اللون لم يكن مألوفا لدى بعض فئات المجتمع الأندلسي كالقضاة والفقهاء، إلا أن الإقبال عليه كان بصفة خاصة من الطبقة العليا ذات الترف والثراء العظيم ومن المغنين ومن جرى مجراهم[5].

أما اللون الأحمر المستخرج من مادة القرمز فكان اليهود يجمعونه من ارض الأندلس كل سنة، إذ كانت لهم معرفة دقيقة بوجوده[6]، وعن جودة هذا القرمز يقول المسعودي:" إن إن أطيب القرمز قرمز الأندلس، وهو في أماكن كثيرة منها"[7]، فكان بحصن شنش على مرحلة من المرية القرمز الكثير، كما أن قرمز اشبيلية اجل من اللك الهندي[8].

وكان القرمز مخصوصا بصباغة المنسوجات المشتقة من الأصل الحيواني، كالحرير والصوف، وتجدر الإشارة إلى انه كانت في الفترة الأموية، وفي شهر مايو من كل سنة تخرج الكتب في القرمز، والحرير، والغاسول للطراز، وكذلك في أغسطس كانت تخرج الكتب في الحرير، والصبغ السماوي للطراز[9].

كما وجد نوع آخر من الصباغة وهو الطين أو المغرة الحمراء، وهناك نوع آخر كان ينتج منه النيلة فيقول ابن البيطار:"أن نبات العظلم هو الذي ينتج منه النيلة لكن بعضهم مثل

---

[1] لوسي بولنز: المرجع السابق، ص1395.
[2] نفسه: ص1398.
[3] الحميري: المصدر السابق، ص21.
[4] البكري:المصدر السابق، ج2/ص88، ابن غالب: المصدر السابق، ص14-15.
[5] حمود البكر: المرجع السابق، ص191.
[6] نجاة باشا: المرجع السابق، ص49، حمود البكر: نفسه، ص190.
[7] ابن غالب: المصدر السابق، ص308.
[8] المقري: المصدر السابق، ج1/ص141ص201-ص208.
[9] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص237.

ابن ميمون، يعتقد أن زهرة ذكر الباستيل هي النيلة وكان بيع الباستيل على انه النيلة بإشبيلية في نهاية القرن5هـ/11 م يعد غشا يعاقب عليه صاحب السوق، وهي عملية شائعة كثيرة الوقوع[1]، وتشير كتب الحسبة إلى نوع آخر من الغش في الأسواق، ومنها صباغة المنسوجات الحمراء بالبقع فإنها لا تثبت[2].

ج)-الابسطة والجلود:

اشتهرت الأندلس بالأبسطة والصناعة الجلدية، فكان بجنجالة وقونكة وبتنتالة من عمل مرسية تعمل البسط الجيدة[3]، وقد اختصت المرية ومالقة بإنتاج وتسويق البسط التنتلية وكذلك الحصر التي تغلف بها الجدران المبهجة للبصر[4]، وكان بمدينة الش صناع البسط الفاخرة وليس مثلهم في شيء من بلاد الأندلس، وببسطة كان ينسب إليها المصليات البسطية[5].

أما عن المنتوجات الجلدية فإننا نلاحظ اشتهار الكثير من مدن الأندلس بهذه السلع، خاصة إذا علمنا أهمية هذه المنتوجات سواء كسلعة يستعملها المواطن أو كسلاح ودرع يلبس للوقاية بالنسبة للجيش، فكانت بعض الملابس تصنع من الجلد لكن خياطة الجلد يدويا كانت شاقة وعسيرة، ولذلك فالظاهر أن أثمانها كانت عالية مقارنة بغيرها، كان يتم بيع النعال والأحذية من طرف الخرازين[6]، وقد اتخذ الجلد في الأندلس كفراش للنوم بدلا من ملاحف الكتان وكذلك استعملت الجلود في الكتابة والمراسلات فكان الشاعر أبو عمر احمد بن عبد ربه يدون الأبيات من الشعر على رق ابيض ليرسلها إلى القاضي احمد بن زياد في حاجة له[7].

---

[1] لوسي بولنز: المرجع السابق، ص1402.
[2] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص233.
[3] ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259–260.
[4] المقري: المصدر السابق، ج1/ص201.
[5] القزويني: المصدر السابق، ص502، الحميري: المصدر السابق، ص45، كمال السيد: نفس المرجع، ص233.
[6] حمود البكر: المرجع السابق، ص193.
[7] القاضي عياض: المصدر السابق، ج5/ص193، حمود البكر: نفسه، ص194–195.

كما انه كانت تصنع بالأندلس مقابض السيوف من الجلود الخشنة الغليظة وخاصة من جلد السَّفَنْ[1]، وقد تنوعت مصادر هذه السلعة فمنها جلود الحيوانات المتوفرة بالأندلس مثل الغزلان والحمار الوحشي والأغنام والأبقار والسَّفَنْ والسّمُور[2]، وبذلك تعددت مراكز توزيع هذه السلعة وتسويقها، فكانت مدينة لبلة مركزا مهما لإنتاج الجلود الجيدة كما كانت مالقة مختصة بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم والمدورات وكان بها إنتاج السفن[3].

أما في فترة القرن5هـ/11م وخاصة مدينة باجة في فترة بني عباد قد اختصت بدباغة الاديم، واشتهرت وبرعت سرقسطة في صناعة السّمُور[4]، يبدو أن الدباغين قد حققوا أرباحا وفيرة من جراء مزاولتهم لهذه الحرفة التجارية، إذ كان إقبال الناس متزايدا على منتجاتهم، ولذا فان بعض الدباغين لجأ إلى الاستعانة بعمال إضافيين لمعاونتهم في انجاز أعمالهم وزيادة كمية الإنتاج لتحقيق وتوفير السلع التي يحتاجها السوق، ويستشف هذا من إحدى الأسئلة التي وجهت إلى الفقيه ابن لبابة[5].

د-السلع الفخارية والخزفية والزجاجية:

لقد اشتهرت عدة مدن أندلسية بإنتاجها وتسويقها للسلع الفخارية والخزفية ذات الجودة العالية والكمية الكبيرة، لذلك كان الإقبال عليها كبيرا بداخل أسواق الأندلس ويشهد على جودة إنتاجها كثرته وتوفره في مختلف الأسواق ومنها مدينة اندراش التي يقول عنها القلقشندي بأنها تختص بالفخار لجودة تربتها فليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ[6]، كما اشتهرت مدينة مالقة بوفرة السلع الفخارية وجودتها، فكان بها الفخار المذهب العجيب الذي

---

[1] السّفَنْ: جلد غليظ كجلود التماسيح تتخذ منه مقابض السيوف. المقدسي: المصدر السابق، ص192، الاصطخري: المصدر السابق، ص36 وهامش ص35، حمود البكر: المرجع السابق، ص195.

[2] السَّمُور: انفردت سرقسطة وتطيلة بصناعة هذا السمور ولطف تدبيره وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية وهذه خصوصية لأهل هذا الصقع من بلاد الأندلس، والسمور هنا قد يعني دابة أبا قلمون، والراجح انه دابة غير ابا قلمون للإشارات المختلفة إليه في المصادر. الحميري: المصدر السابق، ج5/ص40، الاصطخري: نفسه، ص36، ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص103، الغرناطي: المصدر السابق، ص70، المقري: المصدر السابق، ج1/ص197.

[3] ابن الشباط: المصدر السابق، ص118، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219 ، الاصطخري: نفس المصدر، ص36.

[4] ابن غالب: المصدر السابق، ص287-288.

[5] الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج5/ص253.

[6] القلقشندي: نفس المصدر، ج5/ص221، ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1/ص24.

لا يوجد مثله في أي بلد، فكان هناك نوعا من الأباريق ذات اللون الأخضر وأطباقا من الخزف ذات البريق المعدني وكان قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة[1].

أما بغرناطة فكانت توجد الكيزان لشرب الماء، وهي كيزان رقيقة غاية في جودة الصناعة مبردة للماء بطبعها، بل ولها منافع طبية كذلك، فيقال أنها تنفع في الإسهال الدموي[2]، فكان بغرناطة عدة أماكن لإنتاج وتسويق منتوج الفخار فكان هناك مكان يعرف بربض الفخارين وهناك باب يدعى باب الفخارين وكان يخزن الفخار في مكان يطلق عليه اسم الدهليز[3].

وكانت هذه الأماكن تمتد على مساحات فسيحة بحكم طبيعة هذا العمل، كما كان في مالقة وقرطبة واشبيلية كذلك، ومن هذه الأماكن يتم تسويق منتوج الفخار، فيحمله التجار إلى كل الجهات[4]، وقد عثر بالأندلس على الكثير من النماذج والتحف الأثرية الخزفية، منها جرة تحمل زخارف وآيات قرآنية وأسماء خاصة عثر عليها في سوق بلنسية المركزية في سنة1919، كما وجدت قصعات وجرة كاملة وجزء كبير من إبريق وكلها ترجع إلى فترة القرن5هـ/11م[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى الصلة الوثيقة بين زخارف خزف بلنسية في القرن5هـ/11م وخزف قرطبة خلال القرن4هـ/10م والذي كشفت عنه الحفائر الأثرية في مدينة الزهراء والمرية، حتى ليعتقد الإنسان ان خزف بلنسية ماهو إلا استمرار للخزف السابق، فالزخارف الهندسية الحيوانية والنباتية تؤكد هده الصلة[6]، فالظاهر أن الحركة التجارية بين المدينتين قد عرفت ازدهارا كبيرا في مثل هذه المنتوجات، كما يحتمل ان هذه الصلة تعود إلى هجرة

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص259، الطوخي: المرجع السابق، ص308.

[2] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218–219، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص87، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص768، الطوخي: المرجع السابق، ص308.

[3] احمد مختار العبادي: مقامة العيد الازدي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ج2، ع1–2، سنة 1954، ص171، الطوخي: نفسه، ص309.

[4] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص306 ت675، ص343 ت930، ابن الابار: التكملة، المصدر السابق، ج2/ص424 ت1216.

[5] كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص266، تاريخ الأندلس الاقتصادي، نفس المرجع، ص261.

[6] كمال السيد: تاريخ مدنية بلنسية، نفسه، ص268.

بعض العمال والحرفيين من قرطبة في أيام الفتنة ولجوئهم إلى مدنية المرية نفسها، ولذلك ظهر هذا التشابه الفني في هذه الصناعة حسب اعتقادنا.

أما المنتوجات الزجاجية فيذكر المقري ان بمدنية مرسية والمرية ومالقة كان يصنع الزجاج الغريب العجيب، وكان يصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع آخر يعرف بالزليجي وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون لزخرفة البيوت[1]، وقد أثر الشاعر زرياب تأثيرا كبيرا في الحياة العامة بالأندلس وخاصة في الطبقات العليا من سكان قرطبة، فأدخل الأواني المصنوعة من الزجاج وذلك في الولائم الرسمية بدلا من الأواني المصنوعة من معادن ثمينة، وأصبحت بعد ذلك المصنوعات الزجاجية ذات انتشار واسع من كؤوس وأقداح ونفاطات(أباريق) وثريات ومصابيح وجرار غيرها[2].

هـ-السلع المعدنية:

اشتهرت بالأندلس الكثير من المصنوعات المعدنية وزخرت أسواقها بمختلف السلع والتحف، فقد انتهى إلى مصنوعاتها التفضيل[3]، ومن أهمها الصناعات الحديدية التي عرفت ازدهارا وتطورا كبيرا خلال القرن4-5هـ/10-11م.

هـ) 1-الآلات الحديدية :

لقد عرفت الأندلس انتشارا واسعا للسلع الحديدية نظرا لوفرة مادة الحديد، فكان بإلبيرة عدة معادن منها معدن الحديد[4]، كما استغلت مناجم الحديد ما بين اشبيلية وقرطبة وقسطيلية وفريش، فذاع صيت طليطلة في إنتاج السيوف وتسويقها، وكانت من اكبر البلدان التي تحتوي معدن الحديد[5]، فيقول البكري أن معدن الحديد بالأندلس أكثر من أن يحصى،

---

1 المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، الطوخي: المرجع السابق، ص308.

2 بدرو خيمينيث كاستيو: الزجاج الإسلامي في مرسية، ترجمة وتعليق، عبد الله بن إبراهيم العمير، مقال في السجل العلمي لندوة الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات، قسم3، تحرير عبد الله بن علي الزيدان وآخرون، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996، ص255 وما بعدها.

3 الحميري: المصدر السابق، ص3، المقري: نفس المصدر، ج1/ص201.

4 البكري: المصدر السابق، ج2/ص382، الحميري: المصدر السابق، ص28، القزويني: المصدر السابق، ص502.

5 ابن غالب: المصدر السابق، ص292– 290، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص259–260.

فبألمرية وبجانة وغرناطة الحديد الكثير الفائض عن الحاجة[1]، وبهذا فقد ازدهرت السلع والآلات الحديدية وتطورت، فيذكر القلقشندي أن مالقة قد اختصت بصنائع الحديد كالسكين والمقص ونحوهما[2]، وكان بوشقة دار صناعة يعمل بها ويسوق الدروع والبيضات الرشيقة وآلات النحاس والحديد[3]، كما كانت تباع السكك التي تستخدم في فلاحة الأرض، والفؤوس، والمسامير، والأبواب الحديدية، والمراسي التي ترسي بها السفن[4]،

الظاهر أن السلع الحديدية قد تطورت نظرا لعلاقتها بالجهاز العسكري، فعندما نلاحظ نوعية الإنتاج نجده في معظمه موجه للجيش كأسلحة ودروع وآلات ومعدات، يؤكد ذلك ابن سعيد فيقول أن همة أكثر أهل الأندلس كانت مصروفة إلى صناعة آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والالجم والدروع والمغافر، وهذه المصنوعات غالبيتها تصنع من الحديد بالإضافة إلى مواد أخرى[5]، فكانت دار الصناعة بالمرية تنتج الكثير منها، كما تجددت مصانع الحديد والسلاح بطليطلة[6].

وكان للحدادين سوقا خاصا بهم، من ذلك ما ورد من أن محمد بن فضل بن هذيل الحداد كان يتاجر في سوق الحديد ويفتي أهل السوق بقرطبة[7]

هـ)2- السلـع الثمينة(المجوهرات):

بالرغم من الإشارات الكثيرة من طرف كتب الجغرافيا إلى وجود الكثير من المناطق لاستخراج الذهب والفضة بالأندلس[8]، إلا أنها لا تعطينا معلومات وافية عن المصنوعات الذهبية والتجارة فيها.

فكان بالأندلس معادن كثيرة من الذهب والفضة، ومنها بترشيش التي عرفت بترشيش الذهب[1] وبأشبونة ومكناسة[2] معدن التبر الخالص، وبوادي لاردة على الخصوص يوجد

---

[1] الدمشقي: المصدر السابق، ص243، البكري: المصدر السابق، ج2/ص386، ابن حوقل: المصدر السابق، ص114، ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص104–105، معيار الاختيار: المصدر السابق، ص100.
[2] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218–219.
[3] الزهري: المصدر السابق، ص82.
[4] حمود البكر: المرجع السابق، ص176–177.
[5] المقري: المصدر السابق، ج1/ص202.
[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص197، أمين الريحاني: المغرب الأقصى نور الأندلس، دار الجيل، بيروت، ط4، 1987، ص610، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، المرجع السابق، ص39.
[7] القاضي عياض: المصدر السابق، ج4/ص418–419، حمود البكر: نفس المرجع، ص172.
[8] القزويني: المصدر السابق، ص503، الحميري: المصدر السابق، ص1.

الذهب الكثير ولا يوجد الذهب في بلاد الأندلس إلا في هذا النهر[3]، أما الفضة فكانت بجبال قرطبة وباشبيلية كان هناك مناجم للفضة أيام ملوك الطوائف[4] وكذلك بناحية البيرة ومرسية وبموضع يقال له كرتش معدن فضة جليل، وكذلك بأعلى مدينة جيان.

وكان هناك سوق خاصة بالصاغة في الأندلس من ذلك ما يذكره المقري من ان ابن قزمان تبع إحدى الماجنات حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية[5].

لكن مع وجود مثل هذه الأسواق، إلا ان الإشارات إلى السلع والمنتوجات المصنعة من الذهب والفضة وغيرها من الحلي والمجوهرات قليل جدا، إلا ما وجد من الأواني الذهبية والفضية، وإلى ذلك يشير الطرطوشي:" من البدع اتخاذ واستعمال الطيب في آنية الفضة، ويرجع من الوليمة عند رؤية آنية الفضة[6]، والظاهر ان عادة الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة كانت متواجدة لدى بعض خاصة أهل الأندلس من ذلك ما ورد في احد النوازل ان الكؤوس الذهبية كانت تصنع بالأندلس، وجاء هذا في سؤال أجاب عنه الفقيه بن لبابة[7] وهذا بالرغم من ان زرياب حين زار الأندلس حمل الناس على تفضيل آنية الزجاج بدل آنية الذهب والفضة؛ ويروى ان خالد بن هاشم كانت له آنية فضية خالصة تقدر بعشرة آلاف دينار[8].

كما كان بالأندلس بعض أصناف الحلي ومنها صنف يقال له "يارق" أو"يارقان" وتسميه العامة في الأندلس "آرق" وهو يتخذ في المعاصم، وكان هناك ما يسمى بالوشاح

---

1 الريحاني: المرجع السابق، ص552.

2 مكناسة: مدينة بالأندلس بناحية لاردة ويصب فيها نهر هذه المدينة، وفي هذا النهر يوجد الذهب الكثير. الزهري، المصدر السابق، ص82.

3 البكري: المصدر السابق، ج2/ص386، الزهري: نفسه، ص82، ابن غالب: المصدر السابق، ص291، المقري: المصدر السابق، ج1/ص143.

4 البكري: نفسه، ج2/ص382–386، المقري: نفسه، ج1/ص200، الاصطخري: المصدر السابق، ص36، ابن الفقيه: المصدر السابق، ص87، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص260.

5 المقري: نفسه، ج4/ص297.

6 الطرطوشي: المصدر السابق، ص118.

7 الونشريسي: المعيار المعرب، المصدر السابق، ج10/ص368، حمود البكر: المرجع السابق، ص179.

8 ابن حيان: نشر شالميتا، المصدر السابق، ص165، حمود البكر: نفس المرجع والصفحة.

وهما نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما وتتوشح به المرأة[1] بالإضافة إلى هذا فانه كانت هناك التماثيل الذهبية بقرطبة وهي موجهة خصيصا إلى القصور[2].

لكن مع وجود هذه الإشارات إلى هذه المواد التجارية الثمينة إلا أنها كانت قليلة بالأندلس، وهذا ربما لصرف الذهب لأمور أخرى، وخاصة في سك الذهب والفضة كعملة لإنتاج الدينار والدرهم، فهذا الذهب يعتبر قليلا خاصة مع بداية القرن4هـ/10م بالنسبة لما تحتاجه الأسواق الأندلسية، فاضطر الأندلسيون إلى استيراد التبر من بلاد المغرب والسودان[3].

وقد وجدت بأسواق الأندلس حلي أخرى مثل الياقوت الأحمر الموجود بكورة مالقة وبجانة، كما وجد اللؤلؤ بناحية برشلونة إلا ان نوعيته لا ترقى إلى المستوى الرفيع[4]، ووجد المرجان في ساحل البيرة وبناحية مدينة بلش ولكثرته انه في شهر ألتُقط نحو ثمانين قنطارا، وكان معدن القصدير بناحية إقليم كرتش من عمل قرطبة وباكشونبة[5].

هـ)3- السلع المعدنية الأخرى:

كانت بالأسواق الأندلسية بعض الآلات النحاسية والبرونزية والفولاذية وكان إقبال التجار عليها كبيرا، فكانت بإشبيلية صناعة قائمة على الفولاذ حيث بلغت النهاية في الجودة[6] وكان لتوفر هذه المناجم أثره الكبير في انتعاش مثل هذه الصنائع والتجارة فيها وبيعها بأغلى الأثمان.

فاشتهرت كل من المرية ووشقة بإنتاج الآلات النحاسية[7]، ومن أهمها المقالي النحاسية التي تستخدم في البيوت وعند القلائين وبائعي الحلويات في الأسواق، وإلى ذلك يشير ابن عبدون:" إنه على المحتسب ان يلزم القلائين بتبييض المقلاة لأجل الكبريتية التي

---

1 حمود البكر: المرجع السابق، ص179.
2 المقري: المصدر السابق، ج1/ص568-569.
3 عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص449، البكري: المصدر السابق، ج2/ص385، ابن غالب: المصدر السابق، ص308-309، ارشيبالد لويس: المصدر السابق، ص333، حمود البكر: نفس المرجع، ص178، لومبار موريس: المرجع السابق، ص126.
4 البكري: نفس المصدر، ج2/ص385
5 البكري: نفسه،ج2/ص386.
6 ابن حوقل: المصدر السابق، ص97، المقري: نفس المصدر، ج1/ص201-202، ارشيبالد لويس: نفس المرجع، ص249، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص89.
7 الزهري: المصدر السابق، ص82.

في النحاس"، كما كانت تصنع القدور، والاكيال، وصنوج الموازين[1]، وكانت هناك الثريات المصنوعة من النحاس ليوضع فيها الزيت فكان جامع قرطبة يشتمل مثلا على مائتين وأربع وعشرين ثريا من اللاطون(الصفر)، وكانت تتخذ الاسطال من النحاس او الصفر[2].

وقد وجدت تحف أثرية من البرونز والنحاس في بعض المدن الأندلسية من ذلك ثلاثة اسطال من النحاس لها مقابض، وهي محفوظة بكاتدرائية طليطلة وعثر بقرطبة على آنية من النحاس صغيرة الحجم[3]، كما عثر على بعض التحف البرونزية بغرناطة متمثلة في مبخرة وكذلك بميورقة منها قنديل وجرة مستديرة ومهراس[4].

والملاحظ ان هذه التحف تتشابه مع ماهو موجود بقرطبة، مما يدل على العلاقة التجارية القائمة بين المدينتين، كما أن حرفيي ميورقة قد تأثروا بشكل كبير وواضح بالأساليب الفنية القرطبية، وتعود هذه القطع الأثرية أوالسلع المذكورة إلى عصر ملوك الطوائف أي إلى القرن5هـ/10م وذلك لأنها تختلف عن القطع البرونزية التي ترجع إلى عصر الخلافة أي خلال القرن4هـ/9م.

---

[1] ابن عبدون: المصدر السابق، ص45.
[2] المقري: المصدر السابق، ج1/ص551.
[3] مورينو: المرجع السابق، ص 386، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص269-270.
[4] كمال السيد: نفسه، ص270.

الفصـــل الثانــــي:

التجــارة الخــارجيــة

توطئة:

لقد لجأت الأندلس إلى تأمين حاجاتها من المنتوجات القليلة أو المفقودة بها، إلى الاستيراد من الخارج، وتصدير الفائض من إنتاجها إلى مختلف البلدان القريبة أو البعيدة، عن طريق التجار الرحل والمتجولين برا وبحرا، وكانت هذه المواد المستوردة، تشكل أهمية مالية كبيرة بالنسبة للتجار، إذ تكاليفها باهظة، وهي قليلة، ومن يخاطر بجلبها فهم تجار قليلون من ذوي اليسار، تتوفر لديهم رؤوس الأموال الكافية لشراء ونقل السلع، وهذا ما يؤكده ابن خلدون:" والتاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان والسوقة، إذ في ذلك نفاق سلعته، وينبغي أن ينقل السلع المحتاج إليها، وهي الوسط من كل صنف، ففيه نفاق سلعته، وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة، أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار، وأعظم أرباحا واكفل بحوالة الأسواق، لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة، معوزة لبعد مكانها، أو شدة الغرر في طرقها فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها"[1].

وكذلك من دواعي الاستيراد كما أشرنا، تزايد السكان، فقد شهدت الأندلس في الفترة الممتدة من نهاية القرن3هـ إلى نهاية القرن5هـ أي من نهاية القرن9م إلى نهاية القرن11م، زيادة سكانية معتبرة، يدلنا على ذلك توسع المدن، وكذلك نوعية المساجد، وبعض الإضافات المدرجة بها من حين لآخر، وتزايد عدد الحمامات بالمدن وزيادتها.

فالأندلس تداركت النقص الحاصل في بعض السلع عن طريق الاستيراد، وخاصة المواد المعدنية الخام، وأما السلع النباتية والحيوانية فإنها عملت على توفيرها عن طريق جلب بعض الأنواع النباتية(البذور،الشتائل) والحيوانية(الفصائل) ذات الأهمية الاقتصادية كالقطن وغيره من المحصولات الشرقية التي كانت تستوردها.

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص496-497.

أولا:العوامل المؤثرة في التجارة الخارجية بالأندلس:

➢الطبيعــة:

1)- دور الطرق التجارية البحرية والأسطول الأندلسي:

مع ظهور الأخطار الخارجية ازداد اهتمام الأندلسيين بالملاحة البحرية، خاصة اذا علمنا أن شبة الجزيرة الأندلسية يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، فجنوبها يحيط به البحر الشامي(البحر المتوسط)[1]، وجوفيها يحيط به البحر المظلم(المحيط الأطلسي)، وشمالها يحيط به بحر الانقليشين(بحر انجلترا أو بحر الشمال)، فالأندلس كانت محاطة بالأخطار من كل جهة جنوبا من قبل الفاطميين[2] والادارسة[3].

وشمالا وغربا من قبل النورمانديين وإن خف هذا الخطر مع القرن4هـ/10م[4] ونصارى الشمال الإفرنج، كما بدأ يظهر خطر المدن الايطالية هو الآخر من الجنوب فيقول أرشيبالد لويس:" وتعرضت مجموعة جزر البليار[5] التي تم الاستيلاء عليها أوائل القرن12م/6هـ، بعد أن تعرضت لعدة غارات من قبل قراصنة المدن الايطالية[6].

ويتجلى اهتمام الأندلسيين بالأسطول البحري، في صدهم للكثير من الهجمات مع منتصف القرن الثالث والقرن الرابع، من ذلك ما يذكره حسين مؤنس أنه عندما أعاد الكرة

---

1 عن البحر الشامي، انظر، الزهري: المصدر السابق، ص127.

2 عن الفاطميين أنظر، احمد مختار العبادي: سياسية الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1957، العدد 5، ص193-194.

3 عن الادارسة أنظر، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4/ص16-18، الحميري: المصدر السابق، ص2.

4 النورمانديين La Normandie :أو جماعة الفايكينج، وأصلهم من اسكندنافيا، وهم من أكثر المجتمعات المحاربة في التاريخ الأوربي، وقد اقلعوا أولا من النرويج ثم الدنمارك والسويد، وهاجموا الجزيرة البريطانية، ثم استولوا على نورماندبا جنوب الأرض الكبيرة(فرنسا الحالية)، فكانت هذه الأرض مقرا لهذه الجيوش فعرف ذلك الإقليم، منذ ذلك الوقت بأسمائهم. ابن الكردبوس أبي مروان: تاريخ الأندلس أو الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق، أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد13، 1965-1966، ص71، كافين ريلي: كتاب الغرب والعالم (تاريخ الحضارة من خلال موضوعات)، ترجمة، عبد الوهاب امسيري،عبد السميع حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص188.

5 جزرالبليار: هي مجموعة من الجزر في غرب البحر المتوسط، تتكون من ثلاث جزر رئيسية، هي ميورقة ومنورقة ويابسة، وتتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي هام، بين سواحل شرق الأندلس وجنوب فرنسا وغرب ايطاليا، وسواحل بلاد المغرب الشمالية. عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار(89-685هــ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص15-16.

6 القراصنة: يطلق الأوروبيون اسم القرصنة البحرية على ما يقوم به المسلمين من هجمات بحرية ضد سفن البلاد الأوروبية، أما المسلمون فإنهم يعتبرون هذا جهادا بحريا ضد القوى النصرانية. أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص372-373، جوزيف شاخت، كليفورد بوزرت: تراث الإسلام، ترجمة حسين مؤنس وآخرون، تعليق وتحقيق، شاكر مصطفى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998،ج1/ص280.

–المجوس–وأرادوا مهاجمة الأندلس، وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط افرنجة إلى حائط جليقية[1] في الغرب الأقصى[2].

وقد تدهورت الحالة الأمنية في البحر المتوسط وخاصة في بداية القرن الرابع الهجري، إذ ظهرت الدولة الفاطمية بافريقية[3] وبدأت تتوسع نحو باقي مناطق الغرب بل توجهت بأطماعها حتى إلى بلاد الأندلس شمالا، يقول القاضي النعمان:" وفر المعز إلى المهدية[4] وأنفذ أساطيله وفيها عساكر إلى جهة الروم، وأقام بالمهدية وأمر أن يكون العساكر في كل مرسى بطريق الأندلس"[5]، ويقول الجنحاني أن الصراع من اجل السيطرة السيطرة على شبكة المسالك البرية وثيق الاتصال بين الأسطول الأموي والأسطول الفاطمي، لأننا نعرف جيدا أهمية التجارة البحرية في هذه الفترة بالنسبة للدولتين مع المشرق ومع جزر البحر المتوسط وجنوب أوروبا[6].

وللسيطرة على الملاحة البحرية وتامين الطرق التجارية قام عبد الرحمن الناصر بالاستيلاء على الثغور المطلة على جبل طارق فاخذ طنجة[7] ومليلة[8] في سنة314هـ/926م، ثم بعدها أخذ مدينة سبتة[9] الإستراتيجية سنة319هـ/931م واتخذ من هذه المدن قواعد عسكرية لحماية جبل طارق[10] وكذلك لحماية الطرق التجارية الصحراوية التي تأتي من السودان والسيطرة على موارد الذهب، يقول العبادي في هذا الصدد: "أن الناصر لدين الله انشأ أسطولا بحريا قويا وحصن سواحله وموانئه لصد أي هجوم مفاجئ يقوم به الفاطميون على بلاده[11].

---

[1] جليقية: وهي تلي المغرب وتنحرف إلى الجوف، وهي أرض سهلية، وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط، وفي القبلة إلى أحواز طلسونة، هي اليوم مهدمة هدمها المسلمون وأجلوا أهلها. الحميري: المصدر السابق، ص66–67.

[2] حسين مؤنس: الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص95.

[3] عن افريقية انظر، مؤلف مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، 1985، ص111–112.

[4] عن المهدية انظر، مؤلف مجهول: الاستبصار، نفسه، ص117–118.

[5] القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ج6/ص167.

[6] الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية، المرجع السابق، ص73–74.

[7] عن طنجة انظر، الإدريسي: المصدر السابق، ص249–250.

[8] عن مدينة مليلة انظر، الإدريسي: نفسه، ص253.

[9] عن مدينة سبتة أنظر، الإدريسي، نفسه، ص247–248 .

[10] عفيفي: المرجع السابق، ص118.

[11] مختار العبادي: سياسة الفاطميين، المرجع السابق ص207.

كما كان الأدارسة يتحينون الفرصة للسيطرة على المضايق البحرية وخاصة جبل طارق بل وكانت لهم أطماع في الأندلس نفسه، ولم تتح لهم الفرصة إلا بعد سقوط الخلافة وظهور الفتنة وتفرق الجماعة بالأندلس، يقول محمود إسماعيل:"أن الدولة الأموية بقرطبة أخفقت في توثيق صلتها بالادراسة في المغرب الأقصى[1]، ولكن مع ذلك فالأدارسة استطاعوا أن يتحكموا في مضيق جبل طارق وبالتالي تحكموا في تجارة البحر المتوسط وهذا على الخصوص في فترة ملوك الطوائف، يقول الدكتور فيلالي: "وهكذا أصبحت ضفتي جبل طارق الشمالية والجنوبية في يد الأسرة الحمودية تتحكم فيه[2]فقد تدهورت الحالة الأمنية مع منتصف القرن 4هـ/10م نظرا لفقدان الأمن على الطرق البحرية فضج الناس بالشكوى للفقهاء ينشدون حلا لهذه القضية، فاشتكى قوم إلى الفقيه ابن أبي المهزول من أن الذين يرصدون المراكب الجائزة من الأندلس إلى مصر قد آذوا الناس[3].

وتعرض مسافرون آخرون إلى صنوف من الأذى والمضايقة في الموانئ التي كانوا يحلون بها، فيروى في هذا الصدد أن تاجرين من أهل الأندلس نزلا في مدينة المهدية، فغضب متولي الموضع واستولى على رحلهم فطلبوا أن يرد إليهم شيئا منه فأبى[4]، كما يروى أن تاجرا قد سجن في مدينة المهدية بسبب لبود أتى بها من الأندلس[5].

ولهذا كان عمل الأندلسيين من اجل تأمين الطرق التجارية البحرية والسيطرة على المضايق، فبلغ الأسطول البحري في عهد المنصور ابن أبي عامر[6] غاية القوة[7] لكن مع مع فترة ملوك الطوائف خلال القرن5هـ/11م يلاحظ بعض الانكماش والتراجع وهذا يعود بصفة خاصة إلى الضعف السياسي والعسكري، والصراع الداخلي المحكم بين هذه

---

1 ابن عذارى: المصدر السابق، ج2/ص106، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص105.

2 ابن الخطيب لسان الدين السلماني: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص128-132، فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص262.

3 المالكي أبوبكر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تحقيق ونشر، البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج2/ص376، حمود البكر: المرجع السابق، ص300-301.

4 المالكي: نفسه، ج2/ص223.

5 نفسه: ج2/ص445.

6 المنصور بن أبي عامر: أبو عامر محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء، ثم علت حاله وتعلق بوكالة صبح أم هشام، وكان الناظر في أموالها وضياعها إلى أن مات الحكم المستنصر. الحميدي: المصدر السابق، ص69-70.

7 أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص318.

الدويلات المتنافرة وظهور الأطماع الخارجية بشمال الأندلس، وهذا مما انعكس سلبا على امن الطرق، فيذكر ابن حزم أن" مجاهد العامري[1] جمع الجيوش والأسطول ونابذ خيران[2] صاحب ألمرية[3] وعزم على استئصاله فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب واحترس البحر بالأساطيل"[4].

ولم يحافظ على تقاليد البحرية في القرن الخامس إلا مجاهد صاحب دانية[5]، وبهذا نستطيع القول أن الأندلس انغلقت على نفسها، ولم يبق لها إلا بعض النوافذ البحرية التي تصلها بالمغرب الأقصى، فاختلت الطرق التجارية نهاية القرن5هـ/11م مما أدى إلى انكماش تجاري واقتصادي كبيرين.

2-الموانئ والمراكز التجارية وآثارها على التجارة:

لقد انتشرت عبر الساحل الأندلسي مجموعة من الموانئ تتفاوت أهميتها التجارية من ميناء إلى آخر، وكان لها تأثيرها الايجابي الواضح على النشاط التجاري بالأندلس، وذلك لما توفره هذه المراكز و الموانئ من مرافق ضرورية لتجار الأندلس والوافدين عليها ومن بين أهم هذه الموانئ التجارية التي عرفتها الأندلس في القرنين4-5هـ/10-11م مايلي:

قرطبة:

تعتبر قرطبة المركز الرئيسي للتجارة في الأندلس باعتبارها عاصمة البلاد،وكذلك للكثافة السكانية الكبيرة بها[6]، فهي اكبر مستهلك للسلع سواء الكمالية أو غيرها، باعتبارها مركزا للطبقة الثرية في الأندلس، وكذلك هي من بين أقدم المدن الأندلسية تأسيسا، فهي

---

[1] مجاهد: بن عبد الله العامري، أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر والمنصور محمد بن أبي عامر، كان من الكرماء، باذلا للرغائب في استمالة الأدباء، توفي سنة 436 هــ/1044م، و قد جمع من دفاتر العلوم خزائن جمة. ابن بسام: المصدر السابق، ج3 /ص21-22.

[2] خيران: كان من الفتيان الصقالبة العامريين، الذي انتزى بألمرية وأسس بها ملكه، وكانت تشمل المنطقة الممتدة من شاطئ الأندلس الشرقي الجنوبي حتى وادي آش، ومن حدود مملكة غرناطة حتى مملكة جيان، وفي أيامه بلغت ألمرية منتهى العمران والرخاء الاقتصادي، إذ كان خيران شجاعا، حسن التدبير، بصيرا بالحروب، توفي سنة 1028/419م. عبد الله عنان: دول الطوائف، المرجع السابق، ص161-162.

[3] ألمرية: مدينة بالأندلس محدثه أمر ببنائها الناصر لدين الله سنة 344هــ/955م، وهذه المدينة كبيرة وفيها ألف فندق وبها مرسى صيفي. الزهري: المصدر السابق، ص101، الحميري: المصدر السابق، ص183-184.

[4] ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد: مختصر طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف، تحقيق، عبد الحق التركماني، دار ابن حرم، بيروت، ط1، 2002، ص220، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص66.

[5] أرشيبالد لويس: نفس المرجع، ص318.

[6] السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1985، ص32.

تعود إلى ما قبل الفترة الإسلامية[1]، فكان يقصدها التجار بمختلف البضائع من كل الجهات، وزاد في أهمية المدينة مرور الوادي الكبير بوسطها، فكان هذا الوادي هو المعبر الطبيعي من جنوب قرطبة إلى جهاتها الأخرى وكانت هناك المراسي الكثيرة لنقل مختلف المتاجر والمسافرين على طول الوادي[2]، وقد ساعد هذا في نشاط الحركة التجارية بنقل وتوزيع مختلف السلع والبضائع سواء الوافدة أو الصادرة.

ميناء ألمرية:

أنشئت هذه المدينة لأغراض تجارية اقتصادية بالإضافة إلى الهدف العسكري الدفاعي، وهي من المدن المحدثة التي أسسها الخليفة عبد الرحمن الناصر، لتكون منفذا اقتصاديا تتنفس الأندلس من خلاله[3]، رغم ما لها من وعورة المسالك وصعوبة المواصلات وقله المياه[4]، ومع ذلك انتقل إليها أهل البيرة وقصدوها نظرا لما توفره من أمن لتجارها[5]، فأصبحت من أحسن المراسي الأندلسية المتواجدة بين مالقة ومرسية[6]. فكان السكان ينتجعونها ويرابطون بها، حتى غدت من أكبر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها[7] ، وأصبح بحرها مرفأ للسفن الكبار[8].

وقد تولى هذه المدينة حكام عُرفُوا بحسن السيرة والحزم، فكان عبد الرزاق بن عيسى[9] متوليها متشددا مع الأشرار والمبالغة في عقوبة من أظفر به منهم، وكان هذا سببا في وفود الناس إليها من الآفاق[10] فأمتها الناس من كل جهة وانجفلوا إليها من كل ناحية

---

1 نفسه: ص29.

2 محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص34.

3 الحميري: المصدر السابق، ص183، عبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص18.

4 عبد العزيز سالم: نفسه، ص16.

5 الدمشقي: المصدر السابق، ص243.

6 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص217، سامية مسعد مصطفى: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2000، ص129.

7 الحميدي: المصدر السابق، ص183.

8 ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص102.

9 هو عبد الرزاق ابن الحسين ابن عيسى بن مسرور ابن أيوب القيسي أبو الحسن، من أهل الأندلس وقد حدث بمصر إملاء عن أبي محمد عبد الرحمن ابن عبد الله يزيد المقري، وروى عنه أبو زرعة ابن أحمد الهروي. الحميدي: نفس المصدر، ترجمة 663، ص261.

10 ابن حيان: نشر ملشور، المصدر السابق، ص88.

فارين من الفتنة التي كانت شاملة آنذاك، فكانت أمنا لمن قصدها وحرما لمن لجأ إليها[1]، وكان مرسى ألمرية مقسما إلى قسمين، قسم للعدد والآلات الحربية، والقسم الآخر للمراكب التجارية[2].

وقد ازدادت المدينة تطورا وازدهارا مع فترة ملوك الطوائف، فظهرت كمركز ومنفذ للتجارة البحرية، وخاصة بعد انتزاء خيران العامري بها، وفي ظل إمرة بني صمادح[3] فيما بعد[4] فأصبحت محط لسفن المشرق والأقطار الغربية للتجارة، فكما يقول ابن غالب: "أنها أصبحت باب المشرق ومفتاح التجارة والرزق[5].

المنكب :

وهي مدينة على ساحل البحر المتوسط وهي من أعمال البيرة وقريبة من غرناطة[6] وقد اكتسبت هذه المدينة أهمية اقتصادية وتجارية كبيرة لأنها أصبحت دار صناعة لإنشاء السفن[7] وكانت بالإضافة إلى التجارة عبارة عن ميناء لنقل المسافرين باتجاه المغرب الأوسط وباقي بلاد المغرب[8] فكانت هذه المدينة من الموانئ الهامة التي ساهمت في نشاط الحركة التجارية.

اشبيلية:

تعتبر اشبيلية من أهم المراكز التجارية بالأندلس، بحيث موقعها القريب من البحر المتوسط[9]، ووقوعها بغرب قرطبة أهلها لتكون بوابة اقتصادية لعاصمة الأندلس بجنوبها الغربي، فكما يقول العذري:"أنها قد حازت البر بما استقبلته جهاتها والبحر بخواص

---

[1] عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص27.

[2] سامية مسعد: المرجع السابق، ص129.

[3] بني صمادح: ينتسبون إلى أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي، وكان بيتهم في تجيب، وكان جدهم محمد ابن أحمد صمادح المكنى بأبي يحيى صاحب مدينة وشقة وعملها، طلعت نباهته في أيام هشام المؤيد، وكان له بسلميان اتصال، ثم أفضى الأمر من بعده إلى ابنه معن ابن محمد، ومن بعده أبي يحيى محمد ابن معن، وهو المعتصم بن صمادح. ابن بسام: المصدر السابق، ج1/ص556– 557، العذري: المصدر السابق، ص85.

[4] مورينو: المرجع السابق، ص316، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، نفس المرجع، ص168.

[5] إبن غالب: المصدر السابق، ص283–284.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص291، سامية مسعد: نفس المرجع، ص187.

[7] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص47.

[8] القلصادي أبي الحسن على الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق، ابوالاجفان محمد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985، ص94–95.

[9] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص225، سامية مسعد: المرجع السابق، ص127.

منافعه[1] هذا بالإضافة إلى كونها مركزا هاما لصناعة السفن[2]، ما مكنها من أن تتبوأ مكانة خاصة في الحركة التجارية الأندلسية، فاستقبلت نصيبا وافرا من السلع والبضائع التي كانت الأندلس في حاجة إليها، كما صدرت الكثير من السع إلى مختلف المناطق.

مالقة:

هي من المدن القديمة بالأندلس بالساحل الشرقي[3] وكانت التجارة البحرية قديمة في هذه المدينة، إذ استقر بها جماعة من الفينيقيين الذين اشتهروا بنشاطهم التجاري في منطقة حوض البحر المتوسط[4]، وقد هاجر الناس إليها واستوطنوها لانتشار الأمن بها ولحصانتها[5].

وقد ازدادت أهمية المدينة منذ بداية القرن4هـ/10م، فقد جعل منها عبد الرحمن الناصر إحدى القواعد البحرية لأسطوله لمواجهة الخطر الفاطمي المتزايد[6]، وكانت من بين الموانئ التي كانت تصدر منها السلع إلى باقي مناطق العالم، ومع بداية القرن5هـ/11م أصبحت مالقة حاضرة الكورة(عاصمة)، فازدادت أهميتها والتجارية وأصبحت من أهم المدن المطلة على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، فكانت طريقا للمسافرين ومرفأ يعبر منها إلى غيرها، لكونها تقع على طريق المواصلات البحرية في منطقة حوض البحر المتوسط الغربي، وكان لها أثر كبير في الانتعاش والازدهار التجاري الذي تمتعت به الأندلس[7]، فكانت مالقة إحدى المحطات البحرية الهامة، سواء في شحن وتفريغ السلع أو إصلاح ما تعطب من السفن[8] وهي واسطة بين الجزيرة الخضراء وألمرية، يقول

---

[1] العذري: المصدر السابق، ص96.

[2] سامية مسعد: نفس المرجع، ص128، حسين مؤنس: الأوضاع السياسية والاقتصادية،المرجع السابق، ص95.

[3] كمال السيد أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف(ق 5هـ/11م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص5.

[4] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، هامش ص74، كمال السيد: نفسه، ص5.

[5] الحميري: المصدر السابق، ص178.

[6] سالم عبد العزيز: ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص36، كمال السيد: نفس المرجع، ص6.

[7] ابن العربي: ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، تحقيق، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987، ص197، الحميدي: المصدر السابق، ص178، كمال السيد: مالقة الإسلامية، المرجع السابق، ص9.

[8] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص47، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218، كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، المرجع السابق، ص9، سامية مسعد: المرجع السابق، ص184.

المقري:" أنها إحدى قواعد الأندلس، جامعة بين مرافق البر والبحر، كما كانت مقصد المراكب ومحج التجار، وأسواقها عامرة ومتاجرها زائرة[1].

ميناء الجزيرة الخضراء:

تكتسي هذه المدينة الساحلية أهمية تجارية كبيرة، إذ هي تطل على مضيق جبل طارق يقول عنها العذري أنها توسطت مدن الساحل، وهي جامعة للبر والبحر[2]، وبهذا نعلم فضل فضل هذه المدينة في التجارة الخارجية خاصة مع دويلات المغرب، فهي تعتبر بمثابة معبر إلى بلاد المغرب، يقول الحميري: "فهي أقرب مدن الأندلس إلى العدوة، ومنها تغلب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد افريقية، إذ مرساها مشتى مأمون، وهو أيسر المراسي للجواز وأقربه من بر العدوة ويحاذيه مرسى مدينة سبتة، ويقطع البحر بينهما في ثلاث مجاز ويتلوه جبل طارق[3] وقد أسس الخليفة الناصر بهذه المدينة دار لصناعة السفن[4] فكان بها حسب المقدسي إنشاء وحط وإقلاع[5] ويضيف ابن سعيد بأن مرساها كان من أحسن المراسي[6].

غرناطة:

هي من أهم موانئ الأندلس التجارية وهي كبيرة ومستديرة الشكل مما ساعد على رسو السفن بها لقلة الرياح، فيقول العمري:" أنها قليلة مهب الرياح لا يجري بها الريح إلا نادرا لاكتناف الجبال إياها[7].

ولم تظهر غرناطة كمدينة ذات اهمية اقتصادية إلا في القرن5هـ/11م، بحيث كانت مدينة البيرة سابقا هي المدينة التجارية، فيقول الإدريسي عنها:"فمدينة غرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة، فخلت وانتقل أهلها منها إلى غرناطة[8]، وقد اهتم بنو زيري بها في فترة القرن5هـ/11م واختطوها وأصبحت ذات

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص43، العمري: نفس المصدر، ص47، ابن غالب: المصدر السابق، ص294، سامية مسعد: نفسه، ص132.

[2] العذري: المصدر السابق، ص117، ياقوت: المصدر السابق، ج2/ص136.

[3] الحميري: المصدر السابق، ص74.

[4] عبد العزيز سالم: ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص36–37، أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص242.

[5] المقدسي: المصدر السابق، ص263، الحميري: نفس المصدر، ص74.

[6] ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج1/ ص32.

[7] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص34–35.

[8] الإدريسي: المصدر السابق، ص297، الحميري: المصدر السابق، ص29.

أهمية تجارية كبيرة، ويقول ابن بلكين:"واتفق رأي الجميع أن يتخيروا لأنفسهم جبلا منيعا، يبنون فيه ديارهم ويرحلون إليه ويجعلونه القاعدة ويخربون له البيرة المذكورة[1]، ومن هنا ندرك أهمية موقع هذه المدينة وكيف نشطت بها التجارة البحرية[2]، كما كانت ممرا ومعبرا ومعبرا للمسافرين القادمين من اشبيلية إلى ألمرية، فقد قصدها ابن العربي في رحلته إلى المشرق مارا عليها بغرض الجواز إلى العدوة[3].

طرطوشة:

هي بشرق الأندلس، كانت إحدى المراكز التجارية البحرية الهامة، وقد أهلها موقعها لتحتل مكانة مرموقة بين المدن الأندلسية فكما يقول ابن غالب أنها قريبة من البحر وهي شرق من بلنسية وشرق من قرطبة[4] وهي بذلك احد بوابات السلع إلى هذه المدن وغيرها من المدن الداخلية الأندلسية.

وقد ازدادت أهمية المدينة خلال فترة الخلافة وخاصة مع عبد الرحمن الناصر، إذ أصبحت أحد المدن التي تحط بها الأساطيل الأندلسية[5] سواء التجارية أو العسكرية، وبذلك وبذلك أصبحت مدينة آمنة وقبلة لمختلف التجار سواء من داخل الأندلس أو من خارجه فنشطت بها التجارة البحرية[6] وأصبحت بابا من أبواب البحر يسلكه التجار في كل جهة[7].

جهة[7].

وبعد سقوط الدولة الأموية بالأندلس، أصبحت المدينة إمارة مستقلة بيد الفتيان العامريين الصقالبة خلال فترة ملوك الطوائف مع بداية القرن5هـ/11م، ثم ضمت إلى ممتلكات بني هود[8] أصحاب سرقسطة[1] والظاهر أن اهمية المدينة قد تراجعت بسبب

---

1 عبد الله بن بلكين: المصدر السابق، ص61.

2 الإدريسي: نفس المصدر، ص297.

3 ابن العربي: المصدر السابق، ص197.

4 ابن غالب: المصدر السابق، ص 285.

5 عبد العزيز سالم: ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص36-37، أرشيبالد لويس: المصدر السابق، ص242.

6 خوان بيرنيط: هل هناك أصل عربي اسباني في الخرائط البحرية، تعريب، أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد1، سنة1953، ص74.

7 ابن غالب: المصدر السابق، ص286.

8 بنو هود: وهم ينتسبون إلى أبي أيوب سليمان ابن محمد ابن هود مؤسس مملكتهم، وجدهم الأعلى هو هود الداخل إلى الأندلس، وينتسب إلى الأزد، وكان سليمان في أيام الفتنة من كبار الجند بالثغر الأعلى، فاستولى على سرقسطة سنة 431 هـ، وبهذا بدأت رياسة هذه الأسرة الجديدة. عبد الله عنان: المرجع السابق، ص270.

نقص الأمن والتهاون في حمايتها بسبب الهجمات المستمرة من قبل النصارى على شرق الأندلس[2].

دانية:

كانت دانية من بين المدن التجارية البحرية الهامة إبان القرن4هـ/10م، فكان موقعها المطل على البحر المتوسط يشرف على طرق المواصلات البحرية، ولهذا يقول عنها الحميري:" بأنها مدينة على البحر حسنة ولها سور من ناحية الشرق في داخل البحر، ولها قصبة منيعة جدا والسفن واردة عليها وصادرة عنها[3]، ويضيف ابن غالب أن مرساها من أعجب المراسي[4]، قد جعلها الخليفة الناصر أحد القواعد الهامة للأسطول الأندلسي فمنها يخرج الأسطول للغزو والتجارة وبها تصنع أكثر المراكب البحرية لأنها دار إنشاء[5].

فكانت هذه المدينة آمنة من الاعتداءات الخارجية لتمركز الأسطول العسكري بها، بل أصبحت مدينة للهجوم على المناطق الأخرى وتشن منها الغارات على السفن الأوروبية[6] ولهذا أصبحت قبلة التجار الكبار، فمنها كانت تخرج السفن إلى المشرق في عهد الخلافة[7] مع القرن4هـ/10م، ثم في القرن5هـ/11م اقتطعها مجاهد العامري وصيرها حضرة لملكه ومنها افتتح مدينة سردانية[8] فازدادت بذلك اهمية المدينة ونشاطها التجاري، فكثرت إليها الأسفار وشدت نحوها الرحال من الأقطار[9] ثم تولى هذه المدينة علي بن مجاهد

---

[1] سرقسطة Saragosa: وهي في ثغر شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء، أعظم مدائن ثغر الأندلس، هي على النهر الأعظم المسمى بوادي ابره. الزهري: المصدر السابق، ص81–82.

[2] خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص74، أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص24.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص282.

[4] العذري: المصدر السابق، ص19، ابن غالب: نفس المصدر، ص285.

[5] الحميري: المصدر السابق، ص76، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص36–37، أرشيبالد لويس: نفس المرجع ، ص260.

[6] خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص74، أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص260.

[7] الإدريسي: المصدر السابق، ص282، الدمشقي: المصدر السابق، ص245، الحميري: المصدر السابق، ص76.

[8] سردانية Cerdagne : كانت هذه الجزيرة منذ مدة طويلة تابعة لإمبراطور القسطنطينية ونظرا لبعد المسافة بينها وبين عاصمة الإمبراطورية، تركت لتعتمد على حماية نفسها بقواتها الخاصة، ولذا فان المسلمين لم يجدو مقاومة قوية لدى غزوهم لها. جوزيف رينو: المرجع السابق، ص85.

[9] ابن سعيد: المغرب، المصدر السابق، ج2/ص225.

العامري[1] والذي حذا نحو أبيه وكان اهتمامه على الأخص بالتجارة وجمع الأموال[2] فشجع على الاستقرار والاستثمار في التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

3- بعض المرافق المساعدة على التجارة الخارجية:

3) 1- وسائل نقل التجارة الخارجية:

أ- وسائل النقل البرية:

أما التجارة البعيدة فكان الأندلسيون يكترون لها القوافل المكونة من الجمال[3]، لحمل البضائع وهذا في الصحراء الكبرى لجلب الذهب والرقيق من بلاد السودان[4].

---

1 علي بن مجاهد العامري: هو الابن الأكبر لمجاهد الذي أسر في سردانية مدة عشرة أعوام وهو صغير السن، وتربى هناك بحيث لم يقبلوا فداءه، وبقي كرهينة لمنع مجاهد من القيام بغزو سردانية، وبعد هذه المدة خرج علي من الأسر وهو يتكلم بلسان الروم ويدين بدين النصرانية، فرباه بعد ذلك أبوه تربية إسلامية، ورشحه لولاية العهد بعده لملك مدينة دانية والجزائر الشرقية، وتلقب بإقبال الدولة وقد حكم من سنة436هـ/1044م إلى سنة468هـ/1075م. عبد الله عنان: المرجع السابق، ص200-204.

2 ابن سعيد: المغرب، نفس المصدر، ج2/ص225.

3 الجمل بالصحراء يحمل ضعف حمولة البغل والحصان وتصل قدرته إلى حمل حوالي 500 كلغ وتسير القوافل مسافة (4كلم/سا)، وتسير الجمال بانتظام من خمسة إلى ستة أيام دون أن ترد الماء، ويصل تحمل بعضها إلى20 يوما وتسمى الإبل الجوازي، وكذلك تركيب جسمها وبخاصة خفه الذي يوفر له إمكانية السير فوق الأقسام الرملية الحارة. صباح إبراهيم الشيخلي: النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن 5هـ، مقال عن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية ق19م، إشراف، أحمد إبراهيم دياب، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ، 1984، ص11-12.

4 ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص775.

لقد شهد القرن4هـ/10م سيطرة واضحة لخلفاء الأندلس على منطقة بلاد المغرب وبذلك كان استغلالهم طرق الصحراء ووسائل النقل بها لصالح تجارتهم، فكما يقول محمود إسماعيل:" أن دولتا الخوارج ربطتا بين المغرب والأندلس وجنوب الصحراء عن طريق منافذها المنتشرة على حافة الصحراء والتي تعتبر محطات لرحيل القوافل إلى بلاد السودان[1]، فكان التجار إلى جانب القافلة يكترون من يدلهم على الطريق ويقود القافلة إلى مكان السلع بالصحراء؛ وكان هذا الدليل يسمى التكشيف ويصل ثمن كراوة إلى أكثر من مائة مثقال من الذهب[2].

ب- وسائل النقل البحرية:

لا تذكر المصادر الأندلسية أي تفصيل عن وسائل النقل البحرية التجارية خاصة، فما وجد فقط بعض الإشارات القليلة التي يمكن أن نستنتج منها بعض الوسائل المتعلقة بالأسطول.

لقد مكنت المواد الأولية لصناعة السفن بالأندلس وخاصة خشب الصنوبر والحديد والقطران[3] من إقامة قاعدة هامة للسفن، فزخرت طرطوشة بنصيب وافر من الأخشاب سواء الصنوبر أو الأرز[4]، فيذكر الإدريسي أنه تنشأ المراكب من خشب جبالها الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظة وهو أحمر صافي البشرة لا يتغير[5]، كما اشتهر حصن قلعة بأشجار الصنوبر الكثيرة التي كانت تقطع وتلقى في الماء، وتحمل إلى بلنسية ودانية في البحر لتصنع منها السفن[6].

وبهذا فقد قامت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر نهضة حقيقية في مجال إنشاء الأساطيل وتنظيمها، شملت المدن الساحلية مثل طرطوشة وطركونة والجزيرة الخضراء ومالقة وميورقة ولقنت وشلب وقصر أبي دانس ودانية وشنتمرية[7]، وأنشأت أحواض

---

[1] محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص207، صباح الشيخلي: نفس المرجع، ص29-30.
[2] ابن بطوطة: نفس المصدر، ج2/ص775.
[3] كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص271.
[4] ابن غالب: المصدر السابق، ص285-286، ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسي: كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1970، ص139، عبد العزيز سالم: تاريخ ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص37.
[5] الإدريسي: المصدر السابق، ص279.
[6] الإدريسي: نفسه، ص286، كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص272.
[7] عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص36-37.

واسعة لبناء السفن، فكما يقول ابن غالب أن ألمرية وبجانة أصبحتا دار الصنعة واستقرت فيها العدة والآلات للسفن وما يقوم به الأسطول[1]، ويؤكد أرشيبالد لويس أن ألمرية كانت القاعدة البحرية الرئيسية في القرن4هـ/10م ففيها كانت تجهز السفن بحيث أصبح عدد السفن يفوق المائتي (200)سفينة بهذا الميناء[2].

والظاهر أن الكثير من هذه السفن كانت تقوم بالتجارة ونقل السلع بين مختلف المدن الأندلسية وباقي البلدان التي تتعامل معها الأندلس في مختلف المجالات الاقتصادية، فبالإضافة إلى الأعمال العسكرية البحرية التي كان يقوم بها الأسطول كان يحمي التجارة البحرية من هجمات الأساطيل الأوروبية، فيذكر أرشيبالد لويس أنه في وقت الحرب كانت تتجمع هذه السفن في مكان واحد لصد أي عدوان خارجي[3]، وفي هذا إشارة إلى تفرغ هذه هذه الأساطيل من التجارة إلى الحرب.

ومن هنا نلاحظ أن البحرية التجارية الأندلسية قد سيطرت على معظم حوض البحر المتوسط الغربي خلال القرن4-5هـ/10-11م لامتلاكها أسطولا تجاريا قويا فاق باقي الأساطيل، وهذا بظهور ضرب من المراكب التجارية الكبيرة العالية الجدران ومجهزة بالأشرعة اللاتينية وهذا الضرب من المراكب هو خلفية للمركب التجاري الذي ساد البحر المتوسط فيما قبل مع إضافة بعض التحسينات الفنية التي أتت من المحيط الهندي[4].

وتصف كونستابل السفن التجارية الأندلسية بأنها مزودة بالأشرعة وتميل إلى أن تكون واسعة، مدورة وأبطأ من القادس أو السفينة المزودة بالمجاذيف والتي كانت تشكل الأساطيل البحرية والقوادس من السفن هي بعكس السفن المدورة ذات هيكل طويل وضيق ما يجعلها سريعة[5].

وكانت سفن التجارة أكثر ثباتا، وكانت الأشرعة المثلثة مألوفة الاستخدام من قبل سفن العرب والمسيحيين في البحر المتوسط في العصور الوسطى وكانت هذه المراكب تعتمد في

---

[1] ابن غالب: نفس المصدر، ص283– 284، لومبار موريس: المرجع السابق، ص123.
[2] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص242.
[3] نفس المرجع والصفحة.
[4] باشا نجاة: المرجع السابق، ص84.
[5] أوليفاريمي كونستابل: التجارة والتجار بالأندلس، تعريب، فيصل عبد الله، مطبوعات العبيكان، الرياض،الطبعة العربية الأولى، 2002، ص63.

قوتها على الرياح كقوة دفع بصورة خاصة بالرغم من وجود المراكب ذات الأشرعة والمجاذيف معا[1].

فكانت سفن الشحن الأندلسية لها مؤخرة ضخمة ومقدمة منعطفة أومعكوفة، وتذكر المصادر الإسلامية الأندلسية أنواعا من المراكب منها "الشاني الخراق (Shanikharq)، ودغياص(Dughaiyas)، والزورق(Zawraq) وتعني بالتسلسل"قاربا أو فلوكة" أو مركبا شراعيا أو مركب نقل[2].

وتذكر رسالة من جنيزا مصرية أن شختورة Shartura وصلت إلى ألمرية قادمة من الإسكندرية خلال خمسة وستين يوما وعلى رأسه مركبين شراعيين كانا قد تركا مصر في الوقت ذاته، وشختورة هذه عبارة عن قارب مفتوح مسير بالمجاذيف يستخدم في تجارة المتوسط خلال الصيف[3].

وكانت سعة هذه المراكب تتسع لعدة مئات من المسافرين فكانت بعض السفن تنقل إلى أربعمائة(400) حاج من المغرب إلى المشرق وتذكر رسالة جنيزا أن مركبا سافر إلى اشبيلية وعلى ظهره ستة و ثلاثون(36) من اليهود وثلاثمائة(300) مسلم تقريبا[4].

ومما يلاحظ أنه كانت مواسم وأوقات مخصوصة لإبحار السفن التجارية، فيقول عريب ابن سعد أن اليوم الثالث عشر(13) من أبريل غير صالح للملاحة وذلك بسبب الرياح الآتية من المشرق وكذلك اليوم السابع عشر(17) من نوفمبر لانغلاق البحر وارتفاع السفن فيه وكان الإبحار في الشتاء يمثل خطورة كبيرة بسبب العواصف والأنواء الشديدة[5]، فيذكر الونشريسي انه يخاف على السفن عند اشتداد الرياح[6].

وكانت السفن تكترى كغيرها من الوسائل، وذلك باستئجار السفينة من صاحبها بمبلغ معين نظير قيامه بتوصيل التاجر وسلعته إلى ما يريد، ويتم ذلك عن طريق عقد يبرم بينهما يتم فيه احترام جميع الشروط من كلا الطرفين، كوزن البضاعة والثمن والمسافة والطريق

---

[1] نفس المرجع والصفحة.
[2] نفسه، ص64-65.
[3] الزهري: المصدر السابق، ص65.
[4] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص63.
[5] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص351.
[6] الونشريسي: كتاب الولايات، المصدر السابق، ص30.

البحري[1] الذي تسلكه السفينة، وقد نصت بعض كتب الحسبة على أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه السفينة[2]، وهذا ربما خشية أن تصاب السفينة بأي أذى من غرق ونحوه.

-الفنـــادق:

يشغل الفندق[3] مكانة هامة في الأندلس، بحيث كان يأكل فيه النزلاء التجار وينامون ويخزنون فيه سلعهم لتباع بالجملة، وكانت هذه الفنادق تسمى بأسماء ما يباع فيها من سلع وأحيانا تسمى بمن ينزل بها من التجار الأجانب كفندق الجنوية لكثرة نزلاء جنوة به، والظاهر أن هذا كان في القرن5هـ/11م، وكذلك فندق الشامية وفندق المغاربة[4]، وكانت تكثر الفنادق بصفة خاصة في مركز المدنية أي حوالي المسجد الجامع، وكان الفندق بالأندلس يتألف من صحن مستطيل أو مربع يتوسطه حوض لسقيا الدواب، وتدور بالصحن ممرات تتوزع وراءها مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة واصطبلات لإقامة الدواب ويشغل الطابق العلوي غرف مخصصة لمبيت النزلاء[5]، فكان بالأندلس الكثير من الفنادق التجارية، فبإستجه فنادق جمة، وبقرطبة الكثير منها، أما ألمرية فقد غصت بالفنادق حيث بلغ عدد فنادقها ما يقرب الألف فندق، كما كان بمالقة وجزيرة طريف[6] الكثير من الفنادق المتراصة.

---

1 كمال السيد: نفس المرجع، ص351–352.

2 الونشريسي: الولايات، نفس المصدر، ص30.

3 عندما انتهت الفتوحات شيد المسلمون مواضع لخدمة الحكام والرؤساء، وكذلك لخدمة رعاياهم، وهي أماكن على الطرق العامة كانت مراكز للبريد، ثم عرفت فيما بعد باسم "الخانات" على الرغم من وجودها في وقت مبكر، والخان كلمة مختصرة من "خاقان"، وهو الأمير باللفظ التركي، وهو الذي ينفق على هذه المراكز، فكانت هذه المراكز مضافات على الطرق يحق لكل مار أن يبقى فيها ثلاثة أيام، يقدم له فيها الطعام والشراب ووسائل النوم والراحة وكل ما يحتاج إليه دون مقابل وإلى جانب ذلك يقدم إلى راحلته العلف، وكان يفصل بين المركز والآخر مسافة مرحلة وقدرها 40كلم تقريبا وهي مسيرة يوم آنذاك. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي قبل البعثة والسيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7،1991، ج1/ص8.

4 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص307، عبد العزيز سالم، تاريخ مدنية المرية، المرجع السابق، ص159.

5 كمال السيد: نفس المرجع والصفحة.

6 جزيرة طريف هي على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمة، وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب، وهى تبعد عن الجزيرة الخضراء 18 ميلاد، وسميت بهذا الاسم لأنه نزلها طريف قائد الجيوش الإسلامية مولى موسى بن نصير، الذي كان أول من نزل ارض الأندلس في سنة91هــ/710م. الحموي: المصدر السابق، ص77، الإدريسي: المصدر السابق، ص262، البكري: المصدر السابق، ج2/ص318.

إن انتشار الفنادق بجميع المدن الأندلسية الكبيرة يدل على وفرة المتاجر وكثرة النزلاء فيها من التجار الوافدين، وكان التجار ينزلون بضائعهم في مستودعات الفندق، حيث تسجل في دفاتر خاصة لتضرب عليها المكوس الديوانية، فتنظم السلع ليتم عرضها للبيع بالمزايدة العلنية، فيشتريها تجار الجملة من البلد[1] وبهذه الطريقة يمكننا تقدير ما يحمل عليها من مكوس إذ هي كانت تساوي نسبة مئوية من ثمن البيع الرسمي، كما أننا من خلال عدد الفنادق بالمدنية نستطيع أن نعرف نسبيا قيمة التجارة بها.

➢ **السيـاسيـة:**

1)- الصراع الأندلسي الفاطمي:

كذلك من أشكال تأثر الاقتصاد الأندلسي والتجارة الخارجية بصفة خاصة ظهور الصراعات الخارجية-أي خارج بلاد الأندلس– وهذا ما كان له الأثر الكبير على أمن التجار والطرق ووصول البضائع والسلع الشرقية خاصة إلى بلاد الأندلس اوالعكس، وهذا ما سيكون له انعكاس سلبي على حركة سير التجارة وواردات بيت المال الأندلسي من ضرائب ومكوس على التجار.

فيذكر القاضي النعمان الاعتداءات المتبادلة من كلا الفريقين سواء بحرا أو برا، ومحاولة كل دولة السيطرة على اكبر قدر ممكن من المناطق الإستراتيجية الاقتصادية، ومن مظاهر هذا الصراع وآثاره أن مركبا لبني أمية قدم من المشرق فلما صار بين صقلية[2] وافريقية صادف فيه مركبا قادما من صقلية يريد افريقية فاختطفه الأندلسيون و نهبوه[3]، وكان لهذا الحادث رد فعل سريع من قبل الفاطميين بحيث أمروا بإخراج المراكب وملاحقة المركب الأندلسي، فلحقوه بالمرية مرسى الأندلس ومجمع مراكبها، فاستولوا على المرية وانهزم عنها جميع أسطول الأموي، فاحرقوا مالها من المراكب والخزائن والعدة العدد وانتهبوا جميع ذخائرها[4].

---

[1] كونستابل: تجارة الأندلس الدولية، المرجع السابق، ص1067.

[2] عن صقلية انظر، المقدسي: المصدر السابق، ص179–181، ابن حوقل: المصدر السابق، ص131–130، ابن جبير: المصدر السابق، ص297.

[3] القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، ص336، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ج6/ص164–165.

[4] القاضي النعمان: المجالس، نفس المصدر، ج6/ص165، ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص236–237.

ويذكر المقدسي أن فاس[1] كان منقسما بين الأندلسيين والفاطميين، وكان ثمة حروب وقتل وغلبة[2] ويقول الجنحاني أن عبد الرحمان الناصر هو الخليفة الأموي الذي أضفى على سياسة الأندلس الدولية بعدا جديدا سواء كان ذلك باتجاه بلاد المغرب ودخوله في صراع طويل ومتنوع مع الفاطميين وفي اتجاه منطقة البحر المتوسط[3].

إن هذا الصراع سبب انقباض تجار كلا الجانبين عن العمل والسفر بعيدا خوفا على أموالهم وسلعهم، فحتى وان كانت هناك مراكب بحرية تسافر للتجارة فإنها ستكون قليلة ولا تستثمر جميع الأموال خوفا من النهب، ويضاف إلى هذا السياسة التجارية الفاطمية في بلاد المغرب إذ راقبتها مراقبة شديدة ولم يكن يسمح لأي قافلة بالمرور دون أن تدفع الضرائب على ما تحمله من متاجر، فأنشأت بذلك المراصد على الطرق التي يرتادها التجار والتي تربط المغرب بالعالم الخارجي المشرق والأندلس وبلاد السودان وبلاد الروم.

ولكن رغم هذه المراقبة الشديدة ورغم الشطط الضريبي فان هذا لم يقطع التجارة بل إن مثل هذه الأساليب من شأنها توفير الأمن للتجارة[4]، لكنه سيعقب مثل هذه الإجراءات قبض الناس أيديهم عن الاستثمار والرحلة التجارية، وبذلك ستوجه كمية كبيرة من المراكب بدلا من التجارة إلى المشاركة في الحروب وسد النقص في الأسطول نتيجة حرق تحطيم السفن، فأمن الدولة مقدم على التجارة .

وكان تأثير الصراع الفاطمي الاموى على التجارة الأندلسية كبيرا خاصة على تجارة الذهب والرقيق، فسياسة السيطرة على مسالك التجارية البرية والبحرية ولا سيما الذاهبة إلى بلاد السودان هي التي تكمن وراء هذا الصراع العنيف[5].

إن تحطم قوة الرستميين[1] في بداية القرن4هـ/10م وكذلك سقوط بنى مدرار[2] بسجلماسة[3] مع نهاية القرن3هـ/9م في يد الشيعة الفاطميين كان له خطره على اقتصاد

---

[1] فاس: عبارة عن مدنيتان يفصل بينهما نهر كبير، فالشمالية منها تسمى عدوة القرويين والجنوبية عدوة الأندلسيين، وتبعد فاس عن مدنية سلا بـــ4 مراحل عن سجلماسة بـــ13مرحلة، وعن سبتة على البحر الزقاق بـــ7 مراحل، ومدنية فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى وهي خطتها الكبرى ومقصدها الأشهر، واليها تقصد القوافل. الادريسى: المصدر السابق، ص145-148.

[2] المقدسي: نفس المصدر، ص185-186.

[3] الحبيب الجنحانى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص344.

[4] مجاني بوبة: المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2005، ص39.

[5] الحبيب الجنحانى: المغرب الاسلامى(الحياة الاقتصادية و الاجتماعية)، المرجع السابق، ص34.

الأندلس وتجارته الخارجية، خاصة اذا علمنا أن معظم صادرات الأندلس كانت متجهة إلى بلاد المغرب، ووارداته الأساسية من الذهب والرقيق والقمح تأتي من هذين المركزين الهامّين، ومن هنا نفهم مدى استماتة الأندلس وصراعها ودفاعها على مصالحها التجارية ببلاد المغرب [(4)].

وكان لهذا الصراع تأثيرا قويا على الجاليات التجارية الأندلسية التي كانت مستوطنة على طول ساحل المغرب الأوسط والأقصى، فكان الأندلسيون محل اضطهاد من قبل الدولة الفاطمية.

ومن مظاهر هذا الاضطهاد قيام الفاطميين سنة(300 هـ/912م) بالقبض على أبي جعفر بن خيرون وهو احد كبار التجار الأندلسيين في القيروان، فعذبوه حتى مات [(5)]، وهذا بسبب استعمال الأمويين للجاليات الأندلسية المقيمة بالمدن المغربية في نقل بعض الأخبار، واستفادوا على الخصوص من العلماء والتجار الذين فروا من افريقية والتحقوا بالأندلس، كالخشنى[(6)] والجغرافي الوراق[(7)].

---

[1] عن الرستميين انظر، محمد عيسى التريوي: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامى، دار القلم، الكويت، ط3، 1987، ص80-85.

[2] بنو مدرار: وهم الذين أقاموا الدولة الخارجية الصفرية سنة140هـ في مدينة سجلماسة على وادي ملوية، والتي اعتمدت على العصبية القبلية لمكناسة، وكان اشتغال بني مدرار هناك بالوساطة التجارية ومرافقة القوافل التجارية عبر المفاوز ما بين سجلماسة وبلاد السودان. عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة،1991، ص32-34.

[3] سجلماسة: بالمغرب تقع في الجنوب الشرقي لمدينة فاس ب200ميل على تخوم الصحراء، وعلى الضفة اليسرى لوادي زيز وقد قامت على أنقاض مدنية رومانية وهى تبعد عن اغمات ووريكة بنحو8 مراحل وعن درعة بـ3 مراحل، وكانت هذه المدينة مقصد للوارد والصادر، سكنها عناصر من مكناسة واستقلوا بها سنة140هـ، ثم خضعت لسلطان بني مدرار بعد سنة 155هـ. الادريسي: المصدر السابق، ص128-129.

[4] صباح الشيخلي: النشاطات التجارية العربية، المرجع السابق، ص31، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص106-107.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1/ص235، عفيفي محمود إبراهيم: بنو زيري وعلاقاتهم السياسية بالقوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1989، ص115.

[6] الخشني: هو أبو عبد الله محمد ابن الحارث ابن أسد الخشني، من خشين بطن من قضاعة، كان مولده في أواخر القرن3هـ/9م أي فيما بين سنتي289-300هـ/901-912م، وكان حيا في سنة361هـ، وقد ألف كتابه قضاة قرطبة للحكم المستنصر بعد دخوله إلى الأندلس وتركه للقيروان سنة311هـ. ابن فرحون القاضي إبراهيم بن نصر الدين المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الحبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص139.

[7] الحبيب الجنحاني: دراسات مغاربية، المرجع السابق، ص80، الوراق الجغرافي: هو محمد ابن يوسف أبو عبد الله الوراق، وهو أندلسي الأصل والفرع، كان آباؤه من وادي الحجارة، نشأ في القيروان، ألف الوراق كتابا ضخما للحكم المستنصر يصف فيه مسالك افريقية وممالكها، وكذلك في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة. الضبي: المصدر السابق، ص122، ترجمة304، الحميدي: المصدر السابق، ص26، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد07-08، سنة1959-1960، ص269.

وقام أبو عبيد الله المهدي سنة(309هـ/921م) بقتل كل من أبي علي الحسن بن مفرج الفقيه، ومحمد الشذوني، وهذا بسبب مواقفهم الدينية السنية[1].

ويسرد لنا القاضي عياض الكثير من الاضطهاد الذي مارسه بعض الفاطميين خلال القرن4هـ/10م ضد بعض أهل السنة المالكية بإفريقية، فَامتُحنُوا امتحانا شديدا بسبب مواقفهم، ويهمنا هنا ما تعلق بالجانب التجاري إذ كانت فتاواهم(المالكية) تَحْرُمُ الدولة الفاطمية من دخل مالي هام متعلق بالتجارة، فكان بعض علماء المالكية يقاطعون بعض المنتوجات كقصب السكر والقطن الذي تنتجه الضياع الفاطمية[2]، فكان رد الفاطميين عنيفا نتيجة لذلك فمن العلماء من حبس وقيد كأبي العرب تميم[3]، ومنهم من خلع لسانه وضرب ظهره وصلب كأبي جعفر احمد بن موسى التمار[4] بسبب مواقفهم، فهذا الاضطهاد كان موجهة إلى فئة من الناس وهم العلماء بصورة خاصة، ما سينعكس بدوره على الكثير من التجار الأندلسيين وعامة الناس ويقلل تعاملهم التجاري مع افريقية خوفا على أموالهم وممتلكاتهم من النهب والمصادرة، خاصة إذا علمنا أن الصراع الفاطمي الاموى كان أكثر حدة من غيره من الصراعات[5].

---

[1] ابن عذارى: نفس المصدر، ج1/ص187، محمود علي مكي: التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1954، ص122، عفيفي: نفس المرجع، ص115.

[2] مجاني بوبة: المرجع السابق، ص41.

[3] أبو العرب تميم: هو احمد بن أبي العرب بن تميم من أهل القيروان، وقد أنفذه أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارج على أبي عبيد الله الشيعي رسولا إلى الناصر لدين الله بقرطبة فدخل الأندلس، وقد كان جده تميم من افريقية وكان حافظا للمذهب وغلب عليه الحديث ومعرفة الرجال، وألف طبقات علماء افريقية، وكتاب علماء افريقية، توفى سنة 333هـ/944م. القاضي عياض: المصدر السابق، ج1/ص40-41، القضاعي: التكملة، المصدر السابق، ج1/ص111، ترجمة318.

[4] احمد بن موسى التمار: أبو جعفر وكان من نبط تونس، سمع من فرات ويحيى بن عمر وغيرهما، وسمع منه عالم كثير، وكان من أهل العلم بالجدل من المتكلمين على مذاهب الفقهاء، وقد امتحن هو وأخوه محمد أيام الشيعي، وقد توفي سنة 329 هـ. القاضي عياض: نفسه ، ج2/ص42-43.

[5] فكما يقول الجنجانى يجب أن لا نغفل العداوة القديمة بين الأمويين والهاشميين في هذا الصراع، وهي عداوة تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام، ولكننا نراها مسخرة لخدمة السبب السياسي الاقتصادي في الصراع. الجنجاني: دراسات مغاربية، المرجع السابق، ص74. لكن يجدر بنا أن نقول أن هذا الصراع العصبي كان فقط في القاعدة وفى وسط العامة لكلا الدولتين أما فيما يخص السلاطين والأمراء فالملاحظ أن هذه العصبية فقط سياسة مسخرة من قبل الدولة لإخفاء الأسباب الحقيقية للصراع.

فيذكر البكري أن الشيعي دخل عنوة إلى افريقية ولجأ أهلها ومن بقى فيها من الجند إلى جامعها، وركب بعض الناس بعضا، فقتلهم الشيعي أجمعين حتى كانت تسيل الدماء من أبواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث، وقيل انه قتل بداخل المسجد ثلاثين ألفًا[1].

ومن جراء هذه التهديدات جاء إلى الأندلس ولجأ إليها الكثير من الشخصيات الإفريقية كأحمد بن الفتح المليلي المعروف بابن الحزاز بعد أن كان قاضى بمليلة وقدم إلى الناصر بقرطبة سنة(325هـ/936م) لما خشي من عساكر الشيعة[2].

لكن التخلص من الخطر الشيعي لم يكن كافيا لرجوع الأوضاع الأمنية إلى بلاد المغرب وبذلك تستمر بل وتعود المبادلات التجارية إلى سابق عهدها، فسرعان ما ظهر خطر لا يقل أهمية، من شأنه أن يزعزع أمن التجارة ببلاد المغرب والأندلس، وهو ظهور القبيلتين العربيتين بني سليم وبني هلال[3] المغيرتين على الأقاليم الغنية، تنهبان المدن وتهلكان أهل الزراعة المستقرين، فقد وصل خبرهم إلى الأندلس فبعدما ازداد خطر قشتالة على طليطلة قبل سنة479هـ/1086م اجتمع مشايخ قرطبة بالقاضي عبد الله بن أدهم وعرضوا عليه الكتابة إلى عرب افريقية مستغيثين بهم" حتى اذا وصلوا إلينا قدمنا لهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله، فقال القاضي نخاف اذا وصلوا إلى بلادنا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية والمرابطون أصلح منهم واقرب إلينا"[4]، وانضمت إليها القبائل البربرية الناقمة، والتي كانت دائما متأهبة لشن الغارات على أصحاب الأراضي الزراعية السهلية والمدن التجارية المأهولة، وظهر هذا الخطر في عام444هـ/1052م/[5] وقد هرب من جراء هذا الكثير من السكان نحو المغرب والأندلس، وعمت الفوضى بسائر بلاد المغرب[6].

---

1 البكري: المصدر السابق، ج2/ص223، لكن يبقى هذا الرقم مبالغ فيه ويحتاج إلى ما يسانده في المصادر المعاصرة لتلك الفترة، فالبكري يحمل على الفاطميين لطبيعة مذهبه السني.

2 ابن الفرضي: المصدر السابق، ص61.

3 بنو سليم وبنو هلال، هما القبيلتان العربيتان اللتان هاجرتا من اليمن، ثم انتقلتا إلى مصر، ثم بعد ذلك وبدعوة من الفاطميين ذهبوا إلى بلاد المغرب، فقاموا بتخريب الكثير من عمرانه منذ أول المائة الخامسة، وعادت بسائط المغرب خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا، إبن خلدون: كتاب العبر،المصدر السابق،ج4/ص188.

4 أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس،1997،ج2/ ص79.

5 ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص364.

6 نفسه، ص364.

لكن مع ذهاب الخطر الشيعي الكبير يلاحظ أن الطرق التجارية قد انتعشت بعض الشيء بالرغم من ظهور الانقسام والتشتت في كل من المغرب والأندلس، خاصة مع بداية القرن5هـ/11م، ومع قيام المرابطين[1] بالصحراء فان هذا قد ساعد التجار كثيرا، فنشط الطريق الصحراوي الغربي، وذلك لما وفره المرابطون من أمن ومحاولتهم في بداية أمرهم تطبيق الشريعة ومحاربة قطع الطرق، وكذلك تشجيع النشاط التجاري وجلب الاستثمارات لكسب التأييد وتوسيع دولتهم أكثر[2].

2)- الصراع الأندلسي النصراني:

لقد كانت الأطماع الشمالية من قبل النصارى دائمة و مستمرة لاستعادة الأندلس، ولذلك لم يتوقفوا عن تهديد ومهاجمة الأندلس من الشمال أو عن طريق البحر جنوبا، فالثروات التجارية الإستراتيجية وخاصة مادة الخشب الثمينة المستعملة في صناعة الأساطيل الحربية والتجارية[3]، والتي كانت الأندلس تملك نصيبا وافرا منها في تلك الفترة وهذا قد جعلها محل أطماع العديد من الدول.

فيلاحظ هنري بيرين:"أن العالم المسيحي الغربي والعالم الاسلامى، تميز تاريخهما منذ أمد طويل بالصراعات والحروب، وكذلك بالاحتكاك والتواصل[4] لكن الملاحظ أن هذا الاحتكاك والتواصل كان له ما يؤثر فيه سلبيا وهو الوضع الغير مستقر، والذي اثر بدوره على الوضع التجاري، ولذلك نجد المقدسي يلاحظ مثلا في تجارة العبيد الصقالية التي تأتي عبر طريق الشمال أنها قد اختفت بسبب عدم الاستقرار والوضع الأمني المتردي، وأنها انقطعت بخراب الثغور الإسلامية الشمالية بالأندلس[5].

---

[1] عن المرابطين انظر، لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح البشير الفورني، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، دون تاريخ، ص10، عبد الله عنان: دول الطوائف، المرجع السابق، ص299-312.

[2] صباح الشيخلي: المرجع السابق، ص33.

[3] محمد حناوي: المرجع السابق، ص156.

[4] نفسه، ص154.

[5] المقدسي: المصدر السابق، ص194.

وعن الوضع في الثغور الشمالية للأندلس يحكي لنا ابن بسام الحالة التي عاشها بمدينة شنترين[1] الثغورية بعد أن أصبحت تلك الجهة خالية من أهلها وخيراتها بسبب تواتر طوائف الروم عليها، وطبقوا أنظمتهم على تلك المنطقة، فاشتد الهول، وأجبر الناس على الهجرة نحو غيرها من المناطق[2].

وقد تفطن المنصور بن أبي عامر لهذا الخطر الذي يتهدد تجارة وطرق الأندلس منذ أمد بعيد، حيث ندم ندما شديدا في آخر حياته بأنه لم يقطع أطماع النصارى في مقدرات الأندلس الاقتصادية، وذلك بأن يجعل حاجزا بريا بين الأندلس والنصارى في أيام عنفوانه.

وتظهر الأطماع الاقتصادية في الهجمات النورماندية المتكررة على الأندلس فمن خلال الاتفاق المبرم حول تبادل الأسرى، وان كان في يد النورمان الكثير من أسرى المسلمين، ومع دلك فإنهم أخذوا مقابل فدائهم الثياب والمأكول ولم يأخذوا في فدائهم ذهبا ولا فضة[3].

ولم يأل الحكم المستنصر-في فترة حكمه– جهدا في التصدي للهجمات الأوروبية المتكررة، وهذا حتى يؤمّن الطرق التجارية، ويشيع الأمن في الأندلس لتنشط طرقاتها التجارية البرية والبحرية، وهذا حتى يوفر لبيت المال الأندلسي نصيبا هاما من الواردات، وإن كان تجييش الجيوش لحماية الطرق يتطلب أموالا كبيرة ونفقات باهضة لسد هذه الهجمات، وبالتالي عندما تكثر مثل هذه الهجمات فإن هذا سيعود بالسلب على الرعية باعتبارها النشيط التجاري الذي من خلاله تنتعش واردات الدولة من الضرائب المتنوعة.

وكذلك يستقر السكان لاستثمار أموالهم داخليا ولذلك كان الحكم المستنصر مواصلا لغزو الروم ومن خالفه من المحاربين، فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة366هـ/976م[4]، وتبعه في ذلك المنصور ابن أبي عامر الذي مهد بلاد الأندلس وحارب النصارى، فكان ذا همة مواصلا لغزو الروم، فغزا أكثر من خمسين غزوة، وفتح فتوحا كثيرة، ووصل إلى معاقل امتنعت على كل من كان قبله وملأ الأندلس بالغنائم والسبي إلى وفاته

---

[1] شنترين: مدنية بالأندلس معدودة في كور باجة وهي مدينة في جبل عال، تبعد عن بطليوس ب4 مراحل، ومن أقاليمها صقلب وقد كانت لها غلاف كثيرة حيث بلغت جبايتها 2900 دينار، وهى متصلة باحواز باجة، الحميري: المصدر السابق، ص113–114.

[2] ابن بسام: المصدر السابق، ج1/ص25.

[3] إبراهيم احمد العدوى: المرجع السابق، ص110–111.

[4] الضبي: المصدر السابق، ص23، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص71.

سنة393هـ/1002م[1] فبقيت الأندلس بهذا خلال القرن الرابع الهجري آمنة من الهجمات النصرانية، وهذا ما ساعد على ازدهار الاقتصاد وكثرة الاستثمارات التجارية، فكثرت الجباية والغنائم، وازدادت واردات الدولة فامتلأت خزائن بيت المال فلم تعرف الدولة في هذه الفترة أي عجز مالي، ونشطت بذلك المشاريع الحضارية الأخرى من بناء المدن وتوفير باقي المرافق الكمالية.

لكن مع نهاية القرن4هـ/10م وبداية القرن5هـ/11م، أصبح التراجع يظهر في الكثير من المجالات، فسلطان الأندلس حسب أرشيبالد كان عزيز الجانب في القرن 10م/4هـ، فأخذ ينهار بسرعة عقب وفاة المنصور ابن أبي عامر، حيث وقعت الممالك الصغيرة في سلسلة من الخلافات أفقدت الأندلس قوته البحرية، وعلى حين كان الغرب اللاتيني ينهض من فوضاه، وأصبح يوجه أنظاره وأطماعه إلى خيرات الأندلس الاقتصادية[2].

وكانت الدوافع الأساسية للغرب المسيحي في هذا الغزو اقتصادية، فيقول أرشيبالد:"انه ظهرت اتجاهات هجومية من قبل بلاد أوربا فعبرت جبال الألب جماعات من المغامرين الإقطاعيين من نورماندیا وفرنسا(الأرض الكبيرة) وايطاليا كما عبرت جماعات أخرى كلها تتشوف إلى النهب والغنيمة[3].

إذن فهم قد استفادوا من الضعف الذي طرأ على الأندلس خلال فترة ملوك الطوائف واشتركوا في سنة442هـ/1050م بتأثير من البابا لاوون التاسع في طرد الأندلسيين من جزرالبليار وجزيرة سردانية الإستراتيجية حتى يتمكنوا من التقدم أكثر والتجارة فيها بحرية[4]، فكانت محاولات أوروبا باستعادة شمال الأندلس متكررة، باعتباره مصدرا للثروة، كالفضة والذهب والنحاس والزئبق وغير ذلك من المعادن الثمينة.

➢العوامل الاجتماعية:

أثر مساهمة اليهود في التجارة الأندلسية:

1)اليهود وامتهان الصيرفة:

---

[1] الضبي: نفسه، ص99-100.
[2] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص294 .
[3] نفسه: ص295 .
[4] نفسه: ص371.

أما في مجال الصيرفة فإن رجال الحسبة بالأندلس حاولوا منع هذه المعاملات على اليهود وشجعوا المسلمين الثقات عليها، فيقول ابن عبد الرءوف"أن من النظر ألا يستعمل في عمل الصيرفة ذميا ولا متهما في كسبه، ونهى الحسن البصري أن يشرب من بيت صراف، وقال ابن حبيب لأن الغالب عليهم الربا[1]"، وأضاف ابن عبد الرءوف في هذا الشأن أن هذه المهنة هي أحق التجارات بأهل العلم والفضل من المسلمين، فمن كان جاهلا بجميع أسبابه وحلاله وحرامه، ومخفي رباه منع من تجارته والتصرف فيه[2].

فالعمل بهذا النوع التجاري الخطير في حياة المجتمعات وخاصة الإسلامية من الصعوبة بمكان الاشتغال فيه، نظرا للشروط الواجب توفرها في الصيرفي، فاليهود الذين يحللون الربا هم للأسف من تعاطي مهنة الصيرفة في المغرب والأندلس وقد كانت هذه المهنة تدر عليهم أرباحا فاحشة[3].

2)اليهود وتجارة الأندلس الخارجية:

لقد شارك اليهود في النشاط التجاري الأندلسي، وبرزوا في كثير من الصفقات والمعاملات التجارية، سواء في مجال التجارة الداخلية أو التجارة الخارجية، والظاهر أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بالتجارة البعيدة لكونها مربحة وتدر أموالا طائلة، فاليهود لم تكن لهم حدود مع أي دولة، ولذلك حرصوا على أن لا تكون لهم عداوة حتى يتنقلوا بحرية تامة، ومن غير مضايقات تسبب لهم عرقلة تجارتهم، ولذلك نجحوا في تجارتهم الدولية أيما نجاح، فتبين الوثائق من كنيس القاهرة "أن التجار اليهود من جميع الأصناف كانوا نشطين في تجارة الأندلس بصفة خاصة، ويحتمل أن أنشطتهم هذه كان لها ما يوازيها في باقي الدول الإسلامية الأخرى[4].

وقد ساعد كذلك اليهود على التغلغل في المجتمع الأندلسي وفي مهماته التجارية الدولية، حركاتهم التجارية الواسعة التي كانت تشمل معظم المناطق والجهات، وكانت رحلاتهم إلى مختلف البلدان، وأعانهم في هذا معرفتهم وإتقانهم لبعض اللغات فيشير ابن

---

1 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص61-62.
2 ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، ص63.
3 كواتي مسعود: المرجع السابق، ص150-151.
4 كونستابل: تجارة الأندلس الدولية، المرجع السابق، ص1067.

خرداذية إلى ذلك قائلا:"أن اليهود يتقنون اللغات ويعرفون المسالك التجارية وغيرها"[1]، فمن العوامل المهمة التي ساعدتهم على نشاطاتهم هي تمتعهم وتنقلهم بحرية وإتقانهم اللغات التي يتفاهمون ويوصلون بها إلى مختلف المجتمعات[2].

3) اليهود وممارسة الاحتكار:

وقد كانت تجارة الذهب والفضة والنحاس وتجارة الرقيق والقندس والقصدير تكاد تقتصر عليهم[3]، كما احتكروا بعض المواد كملح الأمونيوم وبعض الخامات التي تستعمل في تصنيع الجواهر كاللؤلؤ، والأحجار الكريمة، والفيروز وأنواع كثيرة من الخرز وبعض أنواع الأصداف[4]، فتقول نجاة باشا، أنه عندما استقر المجال الاقتصادي تكونت شبكة متصلة الحلقات بين مجموعات من التجار من أرباب الصناعات، كصناعة الجوهريين والصباغين وصناع البلور، وكانت التجارة المزدوجة الرابطة بين المسالك البرية والبحرية من اختصاصات اليهود، وقد كونوا مجموعات انتشرت بأوربا على خط نهر الموز ونهر السون والرون، من مدينة فردان إلى نربونة بعد المرور بمدينة ليون[5]، فاليهود كانوا قد تجمعوا كوسطاء وخاصة في تجارة الوارد، جمعهم في ذلك انتماءهم إلى نحلتهم[6].

4) احتراف اليهود لتجارة الرقيق:

إن أهم تجارة اهتم بها اليهود، وكانت لهم مصدر ثروة عظيمة هي تجارة الرقيق فتذكر المصادر التاريخية والجغرافية أن هذه التجارة تكاد تقتصر عليهم فكانوا يقومون بعملية الوساطة بين الأندلس وأوربا في مجال سلعة العبيد، فتجمع نصيب وافر من اليهود بمدينة برشلونة التي كانت واسطة بين الأندلس وبلاد النصارى، فيقول البكري: "أن اليهود بها يعدلون النصارى كثرة، وحتى في أوربا نجد أكثر تجار العبيد من اليهود"[7].

---

1 ابن خرداذية: المصدر السابق، ص153، حناوي: المرجع السابق، ص159.
2 كواتي مسعود: نفس المرجع، ص149.
3 خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص75، كواتي: المرجع السابق، ص153.
4 كواتي: نفسه، ص149.
5 باشا نجاة: المرجع السابق، ص76.
6 نفسه: ص52.
7 البكري: المصدر السابق، ج2/ص397، كواتي مسعود: نفس المرجع، ص150.

فكان احتكارهم لهذه السلعة التجارية الفريدة يحفظ لهم الوساطة المربحة والناجحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد ازداد نشاط اليهود أكثر خلال نهاية القرن3هـ/9م وبداية القرن4هـ/10م[1].

فابتدع اليهود ظاهرة الإخصاء للعبيد، فكانوا يحملون الصقالبة إلى مدينة خلف بجانة ليخضعونهم إلى عملية الخصي[2]، فيصف الأصطخري العبيد الأوربي ونوعيته كبضاعة يهودية قائلا:"فمن كان غربي بحر الروم بالأندلس فهم بيض زرق، وكلما ازدادوا وتبلدوا إلى ما يلي المغرب والشمال ازدادوا بياضا حتى يقطع عرض الروم كله إلى ظهر الصقالبة، فكلما ازدادوا وتباعدوا، ازدادوا بياضا وزرقة وحمرة شعر"[3]، ويؤكد ابن حوقل أن جميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس لأنهم عند قربهم منهم يخصونهم ويفعل ذلك بهم تجار اليهود[4].

والملاحظ أن تجارة الرقيق السلافي قد درت على اليهود فوائد جمة خلال القرن4هـ/10م، لكن خلال القرن5هـ/11م، يلاحظ انخفاض في مستوى هذه التجارة، نظرا لبعض التطورات التي حتمت تراجع هذه السلعة الآدمية ومن ذلك ظهور بعض القوانين والتشريعات النصرانية، فقد توالت صيحات أكوبار(Agobard) أسقف مدينة ليون وهو من أهل القرن4هـ/10م، بحيث استنكر ما يقوم به اليهود من المتاجرة بالرقيق والخصيان، وتزامن نداؤه مع محاولة بعض أمراء النصارى إيجاد قوانين (تشريعات) تمنع تلك التجارة، وخاصة أن السلعة تتجه نحو عدوهم الإسلامي في الأندلس وبلاد المغرب[5].

فحاول بهذا أمراء النصارى تجريد الأندلس من أي سلاح يستعمل ضدهم، ولذلك فلا غرابة أن يظهر في مملكة بني حمود في الأندلس خلال القرن5هـ/11م، استخدام الرقيق الأسود(السوداني) ونظرا للنقص في هذه السلعة، فقد استكثر القاسم بن حمود من شراء العبيد السودان وقربهم وجعلهم أكثر جنده وخدمه[6]، وهذا ربما يعود إلى تضييق النصارى

---

1 حناوي: المرجع السابق، ص159.
2 المقدسي: المصدر السابق، ص194، كواتي: المرجع السابق، ص190.
3 الأصطخري: المصدر السابق، ص36-37.
4 ابن حوقل: المصدر السابق، ص110.
5 حناوي: المرجع السابق، ص159-160.
6 المقري: المصدر السابق، ج2/ص31، فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ص266.

النصارى للخناق على هذه التجارة، إذ غلقوا منافذ الشمال وسدوا باب أوربا التي كان يدخل منها العبيد الصقلبي الممتاز.

ويقول عبد العزيز فيلالي أن اتخاذ العبيد السودان كحرس خاص لدى حكام المغرب أصبح أمرا شائعا ابتداء من القرن3هـ/9م، واتبع بنو زيري نفس السياسة في القرن4هـ/10م[1]، والظاهر أن اشتغال بنو زيري بوضعهم السياسي والعسكري في القرن5هـ/11م أدى إلى استخدام هذا النوع من الحرس بالأندلس، وربما يعود هذا إلى أسباب سياسية وطائفية عرقية لتطلع الصقالبة إلى الاستقلالية، وتأسيس كيان مستقل وخوف بنو زيري من أي انقلاب سياسي ضدهم.

إذن فبهذه الكمية من الرقيق الصقلبي التي كان توافدها على الأندلس في فترة الخلافة خاصة أي فترة القرن4هـ/10م، يقول صلاح خالص أن أصولهم كانت من الأسرى الذين يؤتى بهم من الشمال وقد كون منهم الخلفاء حرسا خاصا يعتمد عليه كل الاعتماد كما وصل قسم منهم إلى رتبة رفيعة في الجيش[2]، ويضيف الجنحاني أنهم كانوا يقومون بمهمة الحرس الخاص للناصر[3]، وقد كان عدد الصقالبة بالأندلس كثيرا بحيث يقول المقري:"أن عددهم تجاوز ثلاثة عشرة ألف بقرطبة فقط"، فكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشرة ألف وسبعمائة وخمسين فتى صقلبيا(13750)[4]، وقد أشار المؤرخون إلى وجود الآلاف من العبيد السلاف في البلاط الأموي في القرن3هـ/9م، وخاصة عندما اشتد التوتر على الحدود الشرقية للإمبراطورية الكارولنجية فتدفق الصقالبة إلى أوربا وإسبانيا المسلمة[5].

أما في فترة القرن 5هـ/11م فإن الضعف قد دب في ملوك الطوائف خاصة في مجال تكوين الجيوش إلا في بعض الممالك كإشبيلية، واختلفت المراجع عن العبيد السلاف بصورة حقيقية في هذا القرن، ففيه تحرر كثير من العبيد السابقين ووصلوا إلى سدة الحكم وأصبحوا كقواد للجيوش في فترة ملوك الطوائف، وهناك تغييرات في هذا التبدل، فربما يعود انحسار استعباد الصقالبة في هذا القرن، إلى توسع أوربا نحو الشرق وازدياد عدد

---

1 ابن عذارى: المصدر السابق، ج1/ص238.
2 صلاح خالص: المرجع السابق، ص32.
3 الجنحاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص353.
4 المقري: المصدر السابق، ج1/ص567.
5 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص308.

الداخلين في المسيحية في بلاد السلاف، أو بسبب انهيار الدولة الأموية التي كانت تشجع اليهود على استيراد العبيد، وهذا السبب خفف الطلب على حاشية ضخمة من العبيد السلاف[1].

وكذلك يلاحظ تبدل طلب المشارقة على العبيد القادمين من طريق الأندلس، إذ أصبح هذا العبيد يجلب من حدود أوربا الشرقية، وكذلك دخول الجينويين والبنادقة كوسطاء في هذه التجارة المربحة خاصة وأنهم ظهروا بقوة خلال هذا القرن وكمنافسين أقوياء لليهود.

أما بنهاية القرن5هـ/11م فيلاحظ انعكاس كبير في الأوضاع، فقد أصبح المسلمين أنفسهم محل بيع وشراء من طرف التجار اليهود، فالحروب كان يعقبها نشاط تجاري عظيم، ذلك أن اليهود كانوا يصاحبون الجيوش انتظارا لما يقع في أيديهم من السبي والغنائم، فمن ذلك ما حدث أيام الحملة الصليبية على بربشتر شمال سرقسطة عام456هـ/1064م[2].

فكان اليهود يعملون كوسطاء في تبادل الأسرى بين الممالك النصرانية في الشمال وبين المسلمين، مقابل مبالغ مالية ضخمة، "فعرفت بلنسية تجارة واسعة لمثل هذا النوع من المبادلات، ففي أثناء حصار القمبيطور للمدينة كان يفد بلنسية عن طريق البحر الكثير من تجار الرقيق لشراء أسرى المسلمين ممن يقعون بين أيدي جند القمبيطور، وأصبح ديوان بلنسية يفرض مكوسا على السلع التي يتلقاها قابض متخصص، فنصب القمبيطور في فترة حكمه لبلنسية بالمراسي وعند مداخل المدينة والطرق الرئيسية، رجالا معظمهم من اليهود، كانوا يعرفون بخدام البر والبحر، مهمتهم فرض ضرائب أو رسوم على الصادر والوارد"[3]، ويعبر ابن عذارى عن ذلك بأن المسلمين:" بلغوا النكال، وأصبح من اليهود الأمناء الموكلون والمتصرفون وأصحاب الرسوم وخدام البر والبحر"[4].

---

1 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص308-309.

2 رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص473.

3 كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص277، كونستابل: نفس المرجع، ص310.

4 ابن عذارى: المصدر السابق، ج4/ص41.

ثانيا: مناطق التبادل التجاري بالأندلس:

تشكل الأندلس همزة وصل بين إفريقية والمغرب وأوربا، نظرا لموقعها الجغرافي الهام، فحاولت استغلال موقعها بإقامة علاقات تجارية موسعة مع بلاد المغرب خاصة، وبالرغم من وجود بعض العراقيل السياسية والعسكرية، إلا أنها نجحت في تخفيف وتمهيد هذه العراقيل، وكذلك أقامت علاقات مع أوربا، فوصلت الأندلس إلى فترة ازدهار اقتصادي كبير.

أما في فترة ملوك الطوائف فنرى العكس من ذلك، فقد تقهقرت مسيرة النمو الاقتصادي وأغلقت الأبواب في وجه الأندلس من الناحية الخارجية، وأصبحت شبه محاصرة من الناحية البحرية، مما كان له الانعكاس سلبي على حالة هذه الدويلات إلا ما شذ منها، إذ في هذه الفترة أصبحت الأندلس محل استقبال للسلع الكمالية التي تحتاجها بعض طبقات المجتمع، وخاصة قصور ملوك الطوائف، فعن أهمية التجارة الخارجية الأندلسية يقول أبو علي بن الربيب التاهرتي[1]:"إنني فكرت في بلدكم أهل الأندلس، إذ كان قرارة كل فضل ومقصد كل طرفة ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أوصناعة فإليكم تجلب وإن كسدت بضاعة فإليكم تنفق"[2]؛ ومن أهم هذه البلدان المتعامل معها نجد:

أ) مع بـلاد المـغرب والسـودان:

إن أهم وأقرب بلد كانت تتعامل معه الأندلس في مجال التجارة، هو بلاد المغرب، والتي كان لمدن هذه المنطقة وموانئها أهمية كبرى في التبادل التجاري، فالأندلس كانت تصدر لها مصنوعاتها وتستورد منها بعض المواد الأولية ذات الأهمية التجارية في تلك الفترة، وقد عمل الأندلسيون على تأسيس مدن بأكملها ببلاد المغرب[3]، حتى يضمنوا سيطرتهم الكاملة على تجارة تلك المنطقة سواء سلميا أوعسكريا، كالسيطرة مثلا على مدينة سبتة وطنجة، فكانت المراكب الأندلسية ترسي في بحيرة آريغ وميناء نكور[4] وتحمل

---

[1] هو أبو علي بن الربيب القروي، ولعله الحسن بن محمد التميمي التاهرتي الأصل، كان عارفا بالأدب وعلم النسب، قوي الكلام يتكلفه بعض التكلف، وكان عبد الكريم النهشلي يعده شاعرا متقدما. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ج1/ص112، المقري: المصدر السابق،ج2/301-302،ج3/ص156.

[2] ابن بسام: نفسه، ج1/ص112، المقري: نفسه، ج3/ص156-157.

[3] البكري: المصدر السابق، ج2/ص239، ابن حوقل: المصدر السابق، ص79.

[4] هي مدينة بالمغرب الأوسط كانت تسمى بوزكور، تبعد عن ميناء الحسيمة بنحو10 كلم إلى الجنوب منها، أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن1هـ/7م، ثم هجم عليها المجوس (النورمان) وانتهبوها في سنة

غلات تلك الناحية وفيها يركب أهل البصرة[1] ويشحنون من نواحيهم[2]، وسيطرت الأندلس على مضيق جبل طارق الاستراتيجي الهام في مجال المبادلات التجارية[3]، وأصبح بذلك لسبتة وطنجة الأثر العظيم في رواج التجارة الأندلسية والمغربية.

وقد كان لقرب المسافة بين المنطقتين أهمية كبيرة في تسهيل التبادل التجاري، فكان لا يفصل بين العدوتين إلا مدة زمنية قليلة للوصول، فيقول في هذا الصدد ابن بسام معبرا عن قرب المسافة:"فإنه ليس بيننا وبينكم–أهل المغرب- إلا روحة راكب، أو دلجة قارب ولو نفث ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور، فضلا عمن في الدور والقصور"[4]، فكان إذن جبل طارق يظهر في البر من سبتة وفيما بينه وبين الجزيرة الخضراء كذلك الميناء المشهور الذي ترسوا فيه مراكب سبتة[5].

كما قام التجار الأندلسيين بتأسيس مدن بسواحل المغرب الأوسط كمدينة تنس[6] ووهران[7] ومرسى الدجاج[8].

ومدينة بجاية[9]، فكانت هذه المدن يسكنها الأندلسيون ومنها ينتقلون من برهم عبر البحر إلى الأندلس[10]، كما كانت السفن الأندلسية تقصد مرسى بني مزغنة[1]، ويعبرون من

244هـ، ثم خربها فيما بعد يوسف بن تاشفين سنة 473هـ، ولم يبق منها الآن سوى القليل من آثارها. المقدسي: المصدر السابق، ص253.

1 مدينة البصرة: هي أحد مدن المغرب الأقصى وهي كبيرة واسعة، تعرف ببصرة الكتان لأنه كان في بدئ أمرها يتبايع أهلها بالكتان في تجارتهم. البكري: المصدر السابق، ج2/ص293 ، المقدسي: نفسه، ص186.

2 ابن حوقل: المصدر السابق، ص81.

3 سامية مسعد: المرجع السابق، ص 168-169.

4 ابن بسام: المصدر السابق، ج1/ص113.

5 المقدسي: نفس المصدر، ص185، ابن سعيد:الجغرافيا، المصدر السابق، ص139، الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص17.

6 هي مدينة بالمغرب الأوسط، قديمة تبعد عن تلمسان بمقدار مرحلتين، وتبعد عن الجزائر الحالية بمسافة 115 كلم، ويمر بها في جهة الشرق واد كبير يصب في البحر، وبهذه المدينة حط وإقلاع وأعمال ومزارع، وبها الحنطة الكثيرة وسائر الحبوب ومنها تخرج المراكب إلى الآفاق. الإدريسي: المصدر السابق، ص152-153.

7 هي تقابل مدينة ألمرية من ساحل بحر الأندلس، بحيث تبعد عنها بمسافة مجريان، وبوهران المرسى الكبير الذي ترسي فيه المراكب الكبار والسفن السفرية وليس له مثيل في مراسي حائط البحر من بلاد البربر، وبهذه المدينة أسواق مقدرة وتجارات نافقة. الإدريسي: نفسه، ص153، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1/ص184.

8 هي مدينة بالمغرب الأوسط وهي كبيرة حصينة تبعد عن مدينة تادلس بـ24 ميلا ولها الكثير من الزراعات وخاصة الحنطة. الإدريسي: نفسه، ص159.

9 عن مدينة بجاية أنظر، الإدريسي: المصدر السابق ، ص160-161، صالح أبو دياك: مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن4هـ إلى القرن8هـ، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، 1996، عدد2، مجلد 12، ص258، أحمد بن محمد أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص50.

10 البكري: المصدر السابق، ج2/ص246، ص268-269.

سوق حمزة[2] بالمغرب الأوسط إلى الأندلس بجزيرة بني زعتابة، وميناء بونة[3] حاملين في كل هذا بضائعهم إلى تلك المناطق لبيعها أوالمقايضة بينها وبين سلع أخرى، فميناء وهران كما يذكر ابن حوقل كان فرضة الأندلس إليه ترد السلع، ومنه تحمل الغلال[4]، وكان من أهم أسواقها سوق إبراهيم[5]، وسوق ابن جبلة، وسوق دار ملول، وسوق فكان[6].

وربطت الأندلس علاقات تجارية مع تيهرت عاصمة الرستميين، فكانت السفن رائحة غادية بين ثغور الجنوب الشرقي، مثل لقنت وألمرية والمنكب، وميناء نكور ومرسى فروخ وهي الموانيء الرئيسية لدولة بني رستم أصحاب تيهرت[7]، فكان اتصال دولة بني رستم بالأندلس عن طريق مرسى فروخ على البحر المتوسط الذي يواجه مباشرة موانئ شاطبة وتدمير ومرسى آفلة الأندلسية[8].

وكانت تيهرت همزة الوصل بين الأندلس والسودان الغربي[9]، فيذكر محمود إسماعيل، أن حكام تاهرت قدموا الكثير من التسهيلات لتجار الأندلس أثناء رحلاتهم إلى بلاد السودان، وكثيرا ما آثر بعض التجار والحرفيين الأندلسيين الإقامة في تاهرت والعمل في أسواقها وحوانيتها، بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل المتاجر بين الدولتين[10]، فكان أهل تيهرت يسيطرون على تافيلالت[11] التي تحوي الطريقين الغربيين إلى غاية منتصف القرن4هـ/10م، وكان الرستميون في هذا أصدقاء للأمويين في الأندلس[12]،

---

[1] البكري نفسه: ج2/ص246.
[2] هي مدينة بالمغرب الأوسط على البحر بجوار جزيرة بني زعتابة وهي مسلك يعبر منها إلى الأندلس. المقدسي: المصدر السابق، ص184.
[3] ابن أبي دينار أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق، محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ص116-ص134.
[4] ابن حوقل: المصدر السابق، ص77-78.
[5] سوق إبراهيم: وهو عبارة عن مدينة على نهر شلف، يبعد عن مدينة تاجة بمقدار مرحلة، الإدريسي: المصدر السابق، ص152.
[6] فكان: كانت فكان سوقا قديمة من أسواق قبيلة زناتة وهي تقع عند ملتقى وادي همام بوادي فكان في جنوب شرق معسكر، وواديها يمضي فيصب في مدينة تاهرت. الإدريسي: نفس المصدر، ص151ص165.
[7] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص96-97.
[8] العذري: المصدر السابق، ص18-19، الحميري: المصدر السابق، ص21، الإدريسي: نفس المصدر، ص354. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص207.
[9] محمود إسماعيل، نفسه: ص207.
[10] ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1/ص26، ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1/ص179، العذري: المصدر السابق، ص18-19.
[11] ابن القوطية: المصدر السابق، ص77، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص209.
[12] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص255.

ويضيف الجنحاني أن منطقة المغرب الأوسط تتصل المسالك التجارية فيها بمدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية وهي مركز تجاري حساس يربط مسالك الصحراء بالأندلس[1].

وأصبح الطريق الواصل بين هذين البلدين والمتمثل في الطريق الغربي خلال القرن5هـ/11م متضررا من جراء الحروب التي قامت بين الفاطميين بإفريقية، ومحاولة بسط نفوذهم على جميع الطرق التجارية وتهديد التجارة الأندلسية الذاهبة إلى السودان[2]، بمنطقة شمال المغرب الإسلامي.

ومع ذلك كان الطريق البحري بين موانئ المغرب الأوسط وبين موانئ الأندلس كإشبيلية وشاطبة غاصا بالسفن بين المنطقتين.

كان للأندلس علاقات تجارية مع إفريقية (تونس)، فكانت السفن تخرج من مدينة جربة[3] إلى مراسي الأندلسيين[4]، كما كانت قرية طبرقة[5] عَدْوة لأهل الأندلس، فإليها ينتهون بسلعهم، ومنها إلى الأندلس يركبون، وقد اشتهرت على صغرها بكثرة ورود مراكب التجار الأندلسيين إليها ونزولهم فيها[6].

لكن بالرغم من وجود بعض التبادل التجاري إلا انه كانت تنتابه بعض العراقيل، فتشير كونستابل إلى أن تونس لم تكن محطة شعبية بالنسبة للسفن الأندلسية خلال القرن 4هـ/10م، وربما كان هذا بسبب العداوة الأموية الفاطمية قبل سنة960م، لكنها غدت سوقا مهمة للسلع والتجار الأندلسيين خلال القرن5هـ/11م[7]، فتذكر المصادر التاريخية أن العداء كان مستحكم بين الفاطميين والأندلسيين، فكان أهل القيروان السنة مضطهدين من قبل الفاطميين الشيعة، لتشبثهم بمذهبهم، فإذا كان أهل تلك البلاد يضطهدون فما بالك بالوافدين الأندلسيين التجار.

---

[1] الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص19.

[2] عبد الله العروي: المرجع السابق، ج2/ص75-89، الجنحاني: نفسه، ص21، دراسات مغاربية، المرجع السابق، ص81-88.

[3] جربة: هي جزيرة في خليج قادس على شكل مثلث، طولها من الشرق إلى الغرب بـــ26 ميلا، وعرضها يتراوح بين11 و16 ميلا، وأغلب سكانها من البربر من قبيلة لماية ولواتة الإباضيين. الإدريسي: المصدر السابق، ص206.

[4] ابن غالب: المصدر السابق، ص292-293، البكري: المصدر السابق، ج2/ص271.

[5] طبرقة: وهي حصن على البر بسواحل تونس، تبعد عنها بـــ75 ميلا تقع في الشمال الغربي منها، كانت تشتهر بالمرجان، وكانت مرسى لمراكب الأندلس. الإدريسي: نفس المصدر، ص190.

[6] البكري: نفس المصدر، ج2/ص247، ابن حوقل: المصدر السابق، ص74-75.

[7] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص74.

كما كانت هناك علاقات تجارية بين الأندلس وبلاد السودان لكن أهملت المصادر الأندلسية تدوين الرحلات التجارية إلى بلاد السودان إلا في القليل النادر، فرغم أن المبادلات التجارية مافتئت تزداد كثافة واتساعا بين المنطقتين، خصوصا خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين برا عبر المسالك المغربية وبحرا عبر السوس الأقصى وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب الأندلس[1].

فقد كان لميناء شاطبة دور أساسي وفعال في نقل مختلف السلع والمنتوجات إلى بلاد السودان، وكان يتجهز منه التجار بالأمتعة إلى بلاد السودان[2]، إذ كان هناك تبادل للمنتوجات والمصنوعات الحرفية الأندلسية بالذهب والعبيد السوداني، فقامت الأندلس بتمهيد الطريق إلى السودان، وفتحت عدة منافذ بحرية على طول الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، وغرب القارة الإفريقية أي الساحل الشرقي للمحيط الأطلنطي، ولهذا عمل الأندلسيون على إبقاء الصراع مع الفاطميين في بلاد المغرب، حتى لا تتضرر تجارة الأندلس وتبقى موانئها ومنشآتها البحرية سليمة، فكانت فاس وسجلماسة وتلمسان[3] ونكور وسبتة وبلاد ألزاب مسالك ومنافذ تجارية هامة من وإلى بلاد السودان، وكانت خاضعة للقوة الأندلسية في فترة الخلافة[4].

فأصبح بهذا للأندلس أساطيل تجارية تتاجر مع بلاد المغرب وتنقل المسافرين والبضائع إلى شواطئه[5]، ونشطت حركة التبادل التجاري بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب والسودان، نتيجة الازدهار الزراعي والصناعي الكبيرين للأندلس خلال القرن4هـ/10م ثم بشكل أقل خلال القرن5هـ/11م فأصبحت بذلك أسواق المغرب تزدحم بالمنتجات الأندلسية.

1)-الصادرات الأندلسية نحو بلاد المغرب والسودان:

---

[1] أحمد الطاهري: الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1993، ص68.

[2] العذري: المصدر السابق، ص19.

[3] تلمسان: وهي المدينة التي حلت مكان مدينة بومارية الرومانية القديمة، وقد لعبت أدوارا هامة في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث كانت مركزا للخوارج من زناتة، ثم أصبحت في عهد المرابطين مدينة للعلوم الفقهية، وسوقا تجاريا كبيرا. الإدريسي: المصدر السابق، ص149، المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص179.

[4] العذري: المصدر السابق، ص18-19، الإدريسي: المصدر السابق، ص333، العروي: المرجع السابق، ج2/ص75-89، الجنحاني: دراسات مغاربية، المرجع السابق، ص81، صباح الشيخلي: النشاطات التجارية العربية، المرجع السابق، ص38، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص209.

[5] حسين مؤنس: الأوضاع السياسية والاقتصادية، المرجع السابق، ص101-102.

وقد كانت الأندلس تصدر نحو بلاد المغرب والسودان الكثير من السلع ومنها بضائع ذات أصول زراعية وأخرى ذات أصول معدنية.

زيت الزيتون:

ومن الصادرات الأندلسية الهامة نحو بلاد المغرب نجد زيت الزيتون إذ كان من أهم الحاصلات التي عرفت فائضا بالأندلس، وخاصة إشبيلية، فقد استغنى أهل إشبيلية من التجارة بهذا الزيت، فكانت جل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى والمغرب برا وبحرا[1]، فذكر الزهري أن بلاد المغرب كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي[2]، فقامت إشبيلية بتصدير الزيت إلى سلا[3] في المغرب الأقصى، وكذلك قرية شوذر التي عرفت بغدير الزيت لكثرة زيوتها وصادراتها منه[4].

كما استقبلت افريقية كميات من الزيت الأندلسي، رغم جودة زيتها، واشتهار مدينة صفاقس به، وهذا ربما يعود إلى جودة الزيت الأندلسي ونوعيته الفاخرة، وكذلك لإنتاج كميات كبيرة منه، فوصل إلى حد منافسة أكبر المناطق إنتاجا له في تلك الفترة، فذكر الزهري أن بلاد إفريقية كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي[5]، فكان زيت الزيتون من أهم الحاصلات المصدرة التي عرفت الأندلس فائضا فيها، وخاصة بإشبيلية، فقد استغنى أهل إشبيلية من التجارة بهذا الزيت[6]، وذكر الرازي أنه إذا لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون، فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف[7]، وقد ظلت كمية الإنتاج والتصدير عاليتين حتى خلال فترة ملوك الطوائف، فكان بألمرية معاصر الزيت القريبة من الميناء حتى يسهل نقله بسهولة وتصديره إلى باقي المناطق.

---

[1] الحميري: المصدر السابق، ص18-19.

[2] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص275.

[3] **سلا**: مدينة بالمغرب الأقصى على ضفة البحر، وهي على ضفة نهر أسمير (آزمير)، وسلا الحديثة على ضفة المحيط الأطلسي عند مصب نهر أبي رقراق في مقابل الرباط على الضفة اليسرى، وقد ظهرت سلا في عهد الأدارسة في القرن3هـ/9م، وللمدينة أسواق وتجارات وداخل وخارج. الإدريسي: المصدر السابق، ص141-142.

[4] القلصادي: المصدر السابق، ص86، ابن سعيد: المصدر السابق، ج1/ص14، سامية مسعد، المرجع السابق، ص168-169.

[5] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص275.

[6] الحميري: المصدر السابق، ص18-19.

[7] كونستابل: نفس المرجع، ص274.

وبالإضافة إلى الزيت والزيتون كانت الأندلس تصدر باتجاه المغرب التين والمكسرات كاللوز، واللذان يجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المغرب[1].

القطن :

ومن أهم السلع التي قامت الأندلس بتصديرها إلى بلاد المغرب نجد القطن، فرغم أنه من المحاصيل الطارئة عليها من بلاد المشرق إلا أن زراعته نجحت نجاحا كبيرا، وأصبحت الأندلس من أوائل البلدان المصدرة له مع القرن4-5هـ/10-11م، وتنقل كونستابل عن الرازي أن منطقة إشبيلية قد أنتجت كمية كبيرة من القطن حيث صدر إلى جميع البلدان وخلال البحر[2]، فكانت إشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدرة للقطن حيث كانت تنتج كميات وافرة، فهو يجود بأرضها فيتجهز به التجار إلى المغرب وسجلماسة وما والاهما[3]، وقد استفادت سجلماسة من القطن الإشبيلي في تطوير صناعة النسيج بها[4].

كما قامت الأندلس بتصدير القطن إلى إفريقية، فيذكر الحميري التجار الأندلسيون يتجهزون بالقطن إلى إفريقية وما والاها[5]، فكان يحمل من إشبيلية إلى القيروان[6]، كما يذكر العذري أن أرض إشبيلية فريدة في تجارتها، أي منطقة لنمو قطن مدهش وهو متيسر في جميع أنحاء الأندلس، وأخذ كبضاعة إلى إفريقية[7].

الخشب والمراكب الجاهزة:

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب في مختلف أسواق العالم وهذا لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها، كانت الأندلس تنتج كميات كبيرة من الخشب، وتصدر الفائض منه إلى بلاد المغرب على هيئة رزم أو قطع معدة

---

1 المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص92-93، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص767-768، باشا نجاة : المرجع السابق، ص45-46.

2 كونستابل: نفس المرجع، ص221.

3 الحميري: المصدر السابق، ص20-21، ابن غالب: المصدر السابق، ص292، العذري: المصدر السابق، ص96.

4 حمود البكر: المرجع السابق، ص275، لكن كونستابل تشكك إمكانية وجود صادرات للقطن الأندلسي إلى الخارج، وهذا لعدم وجود دليل من رسائل الجينيزا المصرية، لكن ما تذكره المصادر وتؤكد عليه هو التصدير بصفة خاصة إلى المغرب والقيروان وسجلماسة، أما ما تذكره رسائل الجينيزا في مجمله فهو يخص البلاد المصرية وعلاقتها التجارية مع الأندلس فيظهر أن كونستابل قد توهمت باعتمادها على رسائل الجنيزا في هذا الموضوع بالذات، فنحن نعلم أن مصر كانت من أكبر المنتجين للقطن لتوفر مناخ زراعته بها، وبذلك فهي تنتج كميات كبيرة منه وهي لا تحتاج إلى استيراده من الأندلس. كونستابل: المرجع السابق، ص221.

5 الحميري: نفس المصدر، ص20-21، ابن غالب: نفس المصدر، ص292.

6 العذري: نفس المصدر، ص96، حمود البكر: نفس المرجع، ص274-275.

7 العذري: نفسه، ص96.

للصناعة، فحسبما يذكر المؤلف المجهول أنه كان يجلب البقس من طرطوشة إلى جميع بلاد المغرب، وخاصة من يابسة باتجاه إفريقية[1]، وكان خشب غابات الأندلس يصدر على نطاق واسع، كأفضل بضاعة مهمة مقدمة من الأندلس إلى المناطق الأخرى من عالم البحر المتوسط[2].

وكانت شلب مطوقة بالغابات، وتنتج كميات كبيرة من الخشب، لتصدر في جميع الاتجاهات، وقد صنع منه سفن كثيرة[3]، كما كان هناك تصدير للمصنوعات الخشبية كالقصاع والخوابي والأطباق والأسرة المرصعة إلى المغرب الأقصى[4]، وقد كانت الأندلس في بعض الأحيان تصدر الخشب، في شكل مراكب جاهزة الصنع كما وقع في رسالة جينيزا مكتوبة في تونس في سنة432هـ/1040م، وفيها أن المراكب الأندلسية الجديدة وقد اشتراها التجار، وكانت هذه السفن تصنع في ألمرية في زمن ملوك الطوائف، وخاصة في إمرة بني صمادح، كما كان بالمنكب ومالقة دار صناعة لإنشاء المراكب[5].

تصدير الماشية والخيول:

كانت الأندلس تتربع على ثروة حيوانية كبيرة وذات جودة عالية نظرا لمناخها الملائم، فكما يقول ابن غالب عن طليطلة:"أنه يطيب مرعاها وتحسن الماشية في مسارحها"[6]، فمنطقة جبل الشارات بوسط الأندلس غنية بثرواتها الحيوانية، فكان بها الأغنام والأبقار، ويتجهز بها الجلابون إلى مناطق عديدة وخاصة إلى بلاد المغرب الأقصى[7].

فكانت الخيول في تلك الفترة من أغلى السلع بحيث تبادل بالعبيد السودان الآتية عن طريق المغرب الأقصى في أغلب الأحيان، وكان يتم تصديرها عن طريق مرسى كورة الجزيرة الخضراء نحو بلاد المغرب، فكان هذا المرسى من أيسر المراسي للخيول وأقربه من بر العدوة[8].

---

1 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص343.
2 كونستابل: التجارة والتجار، نفس المرجع، ص294.
3 نفسه، ص295.
4 كمال السيد: نفس المرجع، ص345.
5 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، جوزيف مورنيو: المرجع السابق، ص316، لومبار موريس: المرجع السابق، ص123، عبد العزيز سالم: تاريخ ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص36-37.
6 ابن غالب: المصدر السابق، ص289.
7 ابن حوقل: المصدر السابق، ص114.
8 ابن غالب: نفس المصدر، ص294، القزويني: المصدر السابق، ص552.

المنتوجات المصنعة المصدرة:

لقد اشتهرت الصناعات الأندلسية وتنوعت، فمنها ما هو من أصل نباتي وحيواني، ومنها ما هو من أصل معدني:

الحــرير:

لقد كان الحرير على رأس الصناعات التي اشتهرت بها الأندلس، وقامت بتصديرها إلى مختلف مناطق العالم، فتصدير الحرير كان له أهمية بالغة في التجارة الأندلسية، وقد بلغت هذه الصناعة القمة في فترة ملوك الطوائف، وكان على رأس هذه المدن المنتجة للحرير وبكميات كافية مدينة جيان فيها أكثر من ثلاثة آلاف مزرعة لتربية دودة القز، وهذا في وسط القرن5هـ/11م[1].

إن محفوظات الجينيزا غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي في مركز المتوسط وشرقه خلال القرن 5هـ/11م، وكان أحد التوجيهات التجارية قد أرسل من مصر إلى تونس في أواسط القرن 5هـ/11م، يأمر أن يشتري المستقبل (حرير لسين) من إسماعيل الأندلسي، أو لقاطا أندلسيا رفيعا[2]، وقدم عامل نهريا بن نسيم طلبا مماثلا في سنة1040م، حين قال له شريك في إفريقيا أن يعتمد جزء يشتمل، من بين الأشياء الأخرى(12) رطلا مطروحا الثلث من لقاط الحرير الأندلسي[3].

إن كثرة وجودة الحرير بالأندلس جلب التجار الأجانب إليها فيقول ابن الخطيب عن حرير غرناطة:"وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا وقيته وغلة شريفه وفائدة عظيمه تمتاره منها البلاد وتجلبه الرفاق وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية[4]، فكانت إذن المنسوجات الحريرية الأندلسية مشهورة ولا سيما الوطاء البسطي من الديباج، الذي لا يعلم له نظير في العالم[5].

مواد الصباغة:

---

1 سامية مسعد: المرجع السابق، ص171، كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص263، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص197.

2 كونستابل: نفسه، ص264-265.

3 نفس المرجع والصفحة.

4 ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص105.

5 ابن الخطيب: خطرة اللطيف، المصدر السابق، ص31.

كان زعفران الأندلس يطلب في جميع الآفاق، وكما يقول البكري أن زعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز به إلى الآفاق[1]، ومن أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لهذه المادة نجد بلنسية، وطليطلة وبياسة وبسطة التي اختصت بالزعفران وفيها ما يكفي أهل الملة الإسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه منه[2]، ولا شك أن الأندلس كانت من أحد البلدان المصدرة للزعفران إلى إفريقية، والذي كان يستعمل في الطهي، كما استعمل كمادة لصباغة المنسوجات.

ومن بين الصادرات الأندلسية المهمة إلى إفريقية، نجد مواد الصباغة كالعصفر الإشبيلي، والعصفر الجيد الذي كان يجلب من لبلة[3]، والقرمز الأندلسي يحمل إلى عدة جهات لجودته، وذكر ابن غالب أن أفضل القرمز هو القرمز الأندلسي الذي يأتي معظمه من مناطق إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، وقد صدر إلى البلاد البعيدة[4]، وتذكر رسالة جينيزا خلال القرن5هـ/11م، حيث تطلب فيها شحنة من القرمز الأندلسي لتوجه إلى تونس[5].

الـــــورق:

كان الكاغد ينتج بشاطبة[6] وكان ذو نوعية جيدة ومنها يحمل إلى سائر البلاد، ومنها إلى البلاد الإفريقية وهذا لجودته، وكثرة الطلب عليه من شتى البلدان[7]، فكان هذا الكاغد (الورق) من بين الصادرات الأندلسية الهامة، وقد ازدادت تجارة الورق ووثقت توثيقا حسنا بعد ازدياد الطلب عليها، فكان أفضل أنواع الورق ما يدعى الشاطبي، ومن دون شك كان

---

1 البكري: المصدر السابق، ج2/ص394.

2 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص221، القزويني: المصدر السابق، ص513، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج6/ص265، ابن الخطيب: خطرة اللطيف، نفس المصدر، ص31، المقري، المصدر السابق، ج1/ص179.

3 العذري: المصدر السابق، ص96، القزويني: المصدر السابق، ص555.

4 ابن غالب: المصدر السابق، ص308، البكري: المصدر السابق، ج2/ص385، كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص260.

5 كونستابل: التجارة والتجار، نفسه المرجع، ص260.

6 شاطبة: مدينة بالأندلس، تقع بين مدينة شقر ودانية، وتبعد عن مدينة بلنسية بـــ32 ميلا، وقد اشتهرت بإنتاج الكاغد، بحيث كان يعم المشارق والمغارب. الإدريسي: المصدر السابق، ص281.

7 ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص115، القلصادي: المصدر السابق، ص139، أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ج2/ص135.

هذا الورق الأندلسي المصدر مطلوبا بكثرة نظرا لصقالته ونعومته وتميزه عن كاغد باقي العالم[1].

تصدير مادة الملح:

كان الملح الأندلسي من أجود أنواع الأملاح، بل كانت تختص بملح يسمى الأندراني المبلور، ولا نشك في أن الطلب عليه كان شديدا جدا في أسواق العالم في تلك الفترة، وكان يستخرج من يابسة وقصر أبي دانس[2]، وبسرقسطة فيقول الحموي: وكان بهذه المدينة معدن الملح الاندراني وهو ملح مبلور وهو الأبيض الصافي الجودة وليس هو في غيرها"[3]، كما وجد الملح كذلك بمدينة دلاية بألمرية [4]، وكان هذا الملح يجلب إلى بلاد المغرب الأقصى[5]، ومدن المغرب الأوسط ليعاد تصديره بعد ذلك من هناك إلى السودان ليبادل بالسلع هناك، كما كان هذا الملح يجلب إلى بلاد السودان مباشرة عن طريق القوافل التجارية[6].

تصدير الزئبق:

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد المغرب الأقصى بكثير منها، ومن أهمها معدن الزئبق، بحيث كانت قرطبة على رأس مدن الأندلس إنتاجا وتصديرا لهذه المادة، وخاصة بفحص البلوط وبجبل البرانس فمنه كان يتجهز به إلى الآفاق[7]، وكانت المدن المغربية في في الدرجة الأولى استيرادا لهذه المادة نظرا لكثرة ثرواتها الذهبية، فهي تستورد الزئبق من الأندلس لاستعماله في صناعة الذهب المجلوب من بلاد السودان[8].

صادرات أخـــرى:

---

1 كونستابل: نفس المرجع، ص292.

2 قصر أبي دانس: وهو حصن بناحية الجرف بالأندلس ويسمى بهذا الاسم نسبة إلى بانيه، أبي دانس بن عوسجة المصمودي، وبنو دانس كانوا أصحاب طلبيرة وهذا الموضع يحمل الآن اسم Alconco dosol البرتغالية، أي قصر المسلخ، وهو يقع على نهر شطوبره. الإدريسي: المصدر السابق، ص260.

3 ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5/ص40.

4 ابن الخطيب: المصدر السابق، ص99.

5 الزهري: المصدر السابق، ص128.

6 الزهري: نفس المصدر والصفحة.

7 ابن حوقل: المصدر السابق، ص114، البكري: المصدر السابق، ج2/ص386، الحميري: المصدر السابق، ص01، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص363، ابن غالب: المصدر السابق، ص289، ابن الفقيه: المصدر السابق، ص87.

8 الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص25 ، حمود البكر: المرجع السابق، ص278.

وبالإضافة إلى هذه المصنوعات، فإن الأندلس صدرت إلى المغرب الأقصى وافريقية(تونس) الحصر الفتانة المصنعة، والآلات المصنوعة من الصفر والحديد، والسكاكين والأمقاص المذهبة، وغيرها من آلات العروس والجندي، وجميع هذه المصنوعات كانت تصنع في مرسية ومنها تنقل[1]، كما اشتهرت الجلود القرطبية والتي كانت تصدر إلى مختلف البلدان ومنها المغرب الأقصى، واختصت مالقة بصناعة وتصدير صنائع الجلد، من السفن، والأغشية والحزم، والمدورات، وجميع هذه المصنوعات كانت تصنع في مرسية ومنها تنقل إلى المغرب الأقصى وإفريقية[2].

ومن الصادرات كذلك نجد المرجان بحيث كان يستخرج من ساحل مدينة بليش وساحل إلبيرة، وبكميات كبيرة، الظاهر أنها كانت تعد للتصدير إلى الخارج، فكان في أقل من شهر يستخرج نحو ثمانين قنطارا[3]، وحتى الأحجار الكريمة كانت تصدر من الأندلس نحو غيرها من البلدان، كحجر المرقشينا الذهبية المتواجدة بجبال أنطاندة التي لا نظير لها في الدنيا، ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها، ومن بينها بلاد السودان[4]، كما كان يستخرج معدن الطفل من جبل طليطلة منها يتجهز به التجار الرحل إلى بلاد الصحراء لفضله وجودته على كل طفل بالمشرق والمغرب[5].

2)-السلع المستوردة من بلاد المغرب والسودان:

الحبوب:

وكانت الأندلس تستورد بعض المنتجات من المغرب الأقصى والأوسط، والتي كانت في حاجة ماسة إليها وعلى رأسها الحبوب، وكانت زراعته منتشرة بالأندلس ولكن الإنتاج كان أقل من الطلب، مقارنة بعدد السكان ونوعيتهم، فالقمح والشعير والحنطة كانت من ضمن حاصلات مرسية وغرناطة وجيان واشبيلية وشلب، ولكن هذا الإنتاج لا يسد حاجة

---

1 المقري: المصدر السابق، ج1/ص163، ص201-202، ج4/ص510.
2 المقري: المصدر السابق، ج1/ص201-202،ج2.
3 البكري: المصدر السابق، ج2/ص385، ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص168، الدمشقي: المصدر السابق، ص243.
4 البكري: نفس المصدر، ج2/ص385.
5 المقري: نفس المصدر، ج1/ص201، ابن حوقل: المصدر السابق، ص117، الدمشقي: نفس المصدر، ص244.

أهل الأندلس، فكانت هذه المواد جل طعامهم من المستورد[1]، وكان يستعاض مكان هذه المواد عند ندرتها بمادة البلوط بحيث كانت غياثا لأهل قرطبة[2].

فكان المغرب الأقصى من بين البلدان التي تصدر القمح إلى الأندلس، فألمرية تأتيها الميرة في البحر من بر العدوة بالإضافة إلى ظروب المرافق والتجارات[3]، فكانت تجلب إليها الحنطة نظرا للظروف المناخية التي كانت تمر بها وخاصة فترة المعتصم بن صمادح فكما يقول الفتح بن خاقان:"فإن ما يملكه من أراضي فهي غير صالحة للزراعة فأكثر ملكه منابت شيح"[4]، ويحكي لنا ابن الخطيب عن عملية الاستيراد والحاجة إليه بالنسبة للأندلس وخاصة في مادة القمح فيقول عن مدينة المنكب:"بأن الودك إليها مجلوب وبين أهلها مقلوب"[5]، كما كانت الأندلس تستورد القمح والحبوب من برغواطة عن طريق ميناء فصالة المفتوح للمراكب الأندلسية[6]، فيذكر الإدريسي استيراد الحنطة المغربية، وأن تجار تجار إشبيلية كانوا يقصدون إلى سلا في المغرب الأقصى بالزيت ثم يتجهزون منها بالطعام (الحنطة) إلى سائر بلاد الأندلس[7].

كما كانت منطقة المغرب الأوسط من بين أكبر المناطق التي إستوردت منها الأندلس ما تحتاج إليه من حبوب، وخاصة مدينة تيهرت التي كانت تنتج كميات كافية من القمح، وكان الكثير من التجار يعملون على نقل السلع بين البلدين، إذ في مقابل القمح الذي تستورده قرطبة كانت هذه الأخيرة تصدر إلى تيهرت الكثير من السلع والأمتعة المصنوعة في بلاد الأندلس[8]، كما كانت مدينة وهران من بين اكبر المدن التي يتم استيراد القمح منها[9].

واردات زراعية أخرى:

---

[1] الونشريسي: المعيار المعرب، المصدر السابق، ج8/ص142، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص196.
[2] عزالدين موسى: نفسه، ص187.
[3] عبد العزيز سالم: تاريخ ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص27.
[4] عبد العزيز سالم: تاريخ ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص74-75.
[5] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص96-102، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص217.
[6] عبد الله العروي: المرجع السابق، ج2/ص84.
[7] الإدريسي: المصدر السابق، ص142، كمال السيد: تاريخ الأندلس لاقتصادي: المرجع السابق، ص346.
[8] الإدريسي: نفسه، ص18-19، ابن القوطية: المصدر السابق، ص110، ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1/ص179، ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1/ص86، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص209.
[9] الإدريسي: نفسه، ص153، حمود البكر: المرجع السابق، ص283.

ومن السلع النباتية التي كانت الأندلس تستوردها من المغرب الأوسط نجد الفواكه الجافة أو المكسرات، فقد استوردت الأندلس من المغرب الأقصى وتلمسان وقفصة التونسية الجوز والفستق، الذي اشتهرت به هذه المدينة، وكذلك لرخص أسعاره بها[1]، كما كانت الأندلس تستورد التمور من فاس[2]، وتم جلب السكر السوسي من المغرب الأقصى إلى الأندلس[3]، وجاء في هدية لزيري بن عطية إلى المنصور ابن أبي عامر بعض السلع التي كانت تحتاجها الأندلس، ومنها أحمال من قسي الزان وألف حمل من التمر، وكان هذا في سنة 381هـ[4].

إستيراد بعض المواشي:

ذكر صاحب الاستبصار أن الأندلس كانت في بعض الفترات تجلب الأغنام من المغرب الأقصى لرخصها[5]، والظاهر من استيراد الأندلس للماشية هو لنقصها في بعض الفترات إذ تربية المواشي تعتمد على الظروف المناخية، فسنوات الجفاف كان بها نقص في الإنتاج الفلاحي قد يتبعه نقص في الإنتاج الحيواني، فالأندلس عرفت بتصديرها للماشية أما فترات الاستيراد فيظهر أنها لظروف مناخية طارئة مرت بها الأندلس.

وكانت كانت تجلب الأغنام من المغرب الأوسط، ومن تيهرت على وجه الخصوص لرخصها وطيب لحومها[6]، فكان يدخل قرطبة على سائر طرقها أيام اكتمالها من جلائب الغنم في كل يوم أيام درور الجلائب من سبعين إلى مائة ألف رأس حاشا البقر[7]، وكانت هدية زيري بن عطية للمنصور ابن أبي عامر عبارة عن بعض السلع التي كانت تحتاجها

---

1 مراكشي مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص176، قفصة capco: مدينة بتونس، مسورة على نهر جار، ولها أسواق عامرة، ومتاجر كثيرة، وصناعات قائمة، ويزرع بها غلات الحناء والقطن والكمون، وهي تتصل بمدينة قاصرة، الإدريسي: نفسه، ص178-179، البكري: المصدر السابق، ص47.

2 حمود البكر: المرجع السابق، ص285.

3 الزهري: المصدر السابق، ص117، مراكشي مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص216.

4 رغم أن هذه عبارة عن هدية من طرف زيري بن عطية، إلا أنها تبين مقدار السلع التي كانت تحتاجها الأندلس في تلك الفترة، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1/ص175، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج4/ص66، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص217.

5 مراكشي مجهول: الاستبصار، نفس المصدر، ص178، ابن غالب: المصدر السابق، ص276 ، جودت عبد الكريم: نفسه، ص216-217، باشا نجاة: المرجع السابق، ص51.

6 مراكشي مجهول: نفسه، ص178، ابن غالب: نفسه، ص276.

7 ابن غالب: نفسه، ص296.

الأندلس، إذ أرسل إليه مائتين من عتاق الخيل، وخمسين جملا من المهاري والسبق، وألف درقة من جلود اللمط[1].

استيراد الألبسة:

كما كان تجار المشرق يفدون إلى الأندلس بأصناف الأقمشة، فكان الأندلسيون يرتدون بعض الألبسة ذات الأصل التونسي، فيذكر الحميدي أنه رأى عرسا في شوارع قرطبة، وعلى رأس أحدهم قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي[2]، كما كانت بالأندلس الأردية الإفريقية والمقاطع التونسية[3].

الذهب الخام:

وقد عرفت الأندلس تجارة واسعة في استيراد الذهب، فظل ذهب السودان يتدفق عليها من سبتة وعبر تيهرت، وأصبح تجار قرطبة في ثراء عظيم بفضل هذا الذهب[4]، فكان يسبك في سجلماسة وأغمات[5] وفاس، ثم من هذه المدن يحول إلى الأندلس عبر موانئ البحر المتوسط[6]، وكان للأندلس دور مهم وأساسي في توزيع هذا الذهب الخام عن طريق طريق تجارها إلى المناطق الأخرى من حوض البحر المتوسط في القرن4-5هـ/10-11م[7] كما فكانت الأندلس تستورد التبر من غانة[8].

اللؤلؤ:

كانت إفريقية تلعب دور الوسيط التجاري بين بلاد المشرق الإسلامي، وبلاد الأندلس في عملية المبادلات التجارية وخاصة في مادة اللؤلؤ، وهذا لأن التجار الأندلسيون يفضلون

---

[1] ابن عذارى: نفس المصدر، ج1/ص175، ابن خلدون: العبر، نفس المصدر، ج4/ص66.

[2] الحميدي: المصدر السابق، ص126.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص140-141.

[4] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص332، لومبار موريس: المرجع السابق، ص126.

[5] أغمات: وموقعها قرب مدينة مراكش، وهي تنقسم إلى مدينتان، أغمات عيلان وأغمات وريكة، وهي على البحر المحيط (الأطلسي) وفيها تنزل السفن من جميع البلاد، وكانت أغمات عيلان منفى للمعتمد بن عباد أمير إشبيلية. البكري: المصدر السابق، ج2/ص339، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص164.

[6] عبد الله العروي: المرجع السابق، ج2/ص71-73.

[7] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص253، أرشيبالد لويس: نفس المرجع، ص333.

[8] غانة: عبارة عن مدينتان على ضفتي البحر، احدهما يسكنها المسلمون وفيها اثنا عشر مسجدا، وهي أكبر بلاد السودان قطرا، وأوسعها متجرا، يقصدها التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها، ومن سائر بلاد المغرب الأقصى، ومدينة غانة تجاور مدينة ونقارة، بينهما ثمانية أيام. الإدريسي: المصدر السابق، ص35، أبو حامد الغرناطي: المصدر السابق، ص35.

اللؤلؤ المشرقي على غيره، وسواء كان كبيرا أم صغيرا، ففي أوائل سنة1040م/432هـ، كتب شريك تونسي إلى نهريا بن نسيم في مصر آمرا:"إذا صدف وكنت في بازار الجواهر وهناك لؤلؤا صغيرا رخيصا، اشتر ما تعتقده أفضل، لأن التجار الأندلسيين جميعهم يبحثون عن ذلك الصنف"[1].

إستيراد الرقيق:

كانت الأندلس منطقة عبور تجارية كبيرة، ولذلك فقد راجت بها تجارة العبيد، فكان يجلب الرقيق الأسود من بلاد السودان نظرا لرخصه وقوة تحمله للأعمال الشاقة فهو مطلوب في الأندلس لاستعماله في الأعمال الزراعية باعتبار الأندلس بلد زراعي، فكان بفاس الرقيق الذي يعبر إلى الأندلس[2].

واردات أخرى:

وكان يرد الصمغ السماوي من أودغشت، بحيث يستعمل في صبغ الديباج[3]، كما استوردت الأندلس أنياب الفيلة العاجية في فترة القرن4هـ/10م، واستمر إستيراد العاج من السودان حتى في فترة ملوك الطوائف، فقد أقاموا مصنعا للتحف العاجية في طليطلة وخاصة في قونكه تحت إشراف رجل يدعى محمد بن زيان في سنة412هـ/1021م[4]، كما تم إستيراد ريش النعام ودرق اللمط[5] من السودان الغربي مقابل بعض المنتوجات الأندلسية الجاهزة التي تبادل بالسلع السودانية، كما كانت الأندلس تستورد الكثير من سواري الرخام من افريقية فعند قيام الناصر بانجاز مشروع عاصمة الأندلس الجديدة مدينة الزهراء، فكان عدد سواري الزهراء ما يقارب ألف وأربعمائة ساري، وقد جلب من افريقية وحدها ألف وثلاثة عشرة سارية[6].

ب) العلاقات التجارية مع بلاد المشرق:

---

1 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص252.
2 ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص178.
3 الإدريسي: المصدر السابق، ص168، سامية مسعد: المرجع السابق، ص173.
4 موريثو: المرجع السابق، ص368.
5 الزهري: المصدر السابق، ص117-118، مراكشي مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص212-213، العروي: المرجع السابق، ج1/ص84.
6 أحمد فكري: المرجع السابق، ص203.

ولم يقتصر التجار الأندلسيون على ربط علاقات مع المغرب القريب فحسب، بل تعدوها إلى أبعد من ذلك، فراحوا يتاجرون ويبادلون السلع مع بلاد المشرق عامة، فكان ميناء الإسكندرية بمصر منطقة عبور هامة بالنسبة للسفن الأندلسية، حيث كانت سفنهم تمر محملة بالسلع وكذلك الأشخاص من الحجاج والمسافرين وغيرها، فكان ميناء الإسكندرية المرسى الطبيعي الكبير لنزول المسافرين الأندلسيين[1]، ونحن نعلم أن الكثير من المسافرين الحجاج كانوا بالإضافة إلى أداء هذه الفريضة يعودون إلى بلدهم الأندلس محملين بمختلف المتاجر والسلع القليلة والمفقودة بأسواق الأندلس[2].

وإلى هذا تشير رسائل الجينيزا[3] بالقاهرة فكانت التجارة مع الإسكندرية نشطة حتى في أيام ملوك الطوائف في أواسط القرن5هـ/11م، وهذا بفضل التجار الكثر الذين ينقلون بضائعهم عبر الطريق الرئيسي(ألمرية-الإسكندرية) وكان هذا في واقع الأمر نجاحا حقيقيا للتجارة الأندلسية في هذه الفترة بالذات[4].

وتذكر عدة رسائل جينيزا وجود بضائع مشحونة بسفن ألمرية، ووصولها إلى بعض المراكب إلى مصر، ويقول الزهري أن ألمرية كانت مرفأ للسفن القادمة من الإسكندرية[5].

الإسكندرية[5].

وتذكر رسالة أخرى وصول المراكب إلى الإسكندرية قادمة من دانية (Dénia) خلال سنوات452-463هـ/1060-1071م[6]، وقد طلب بعض الرجال القادمين من

---

1 خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص75.
2 ابن جبير: المصدر السابق، ص7-8.
3 وثائق الجينيزا: وهي مجموعة من الوثائق المهمة لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمنطقة البحر المتوسط في العصور الوسطى، وكلمة جينيزا عبارة عن كلمة عبرية مشتقة من الكلمة الفارسية، جنك بمعنى خزانة، وأطلقت كلمة جينيزا على تلك الحجرة، التي كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وعقود وإيصالات، حتى لا تدنس كلمة 'الله" التي قد تكون مكتوبة في هذه الوثائق، وأطلق الباحثون مصطلح وثائق جينيزا القاهرة على مجموعة الوثائق التي عثر عليها في حجرة مظلمة (Synagogue معبد اليهود) بالفسطاط، على مقربة من القاهرة، وكذلك على مجموعة وثائق عثر عليها في مقبرة البساتين، على مقربة من القاهرة أيضا، وقد نقلت هذه الوثائق إلى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ونشرتها دور الكتب هناك. حسين محمد ربيع: وثائق الجينيزا وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، مقال منشور في موسوعة دراسات تاريخية، الرياض، 1979، ج2/ص132، أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ج2/ص126 وما بعدها.
4 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص44.
5 نفسه: ص57.
6 نفسه: ص58.

الإسكندرية سفينة أندلسية كبيرة ورحلوا على متنها إلى مصر سنة344هـ/955م وعادوا إلى الأندلس من الإسكندرية محملين بالبضائع[1].

وهناك ثلاث وثائق جينيزا مؤرخة بين سنة442-463هـ/1050-1070م تحكي وصول سفن من ألمرية ودانية إلى الإسكندرية[2]، وقد ألمح السلفي وجود تجار أندلسيين في الإسكندرية من ذلك تاجر شاطبي كان يمارس تجارته في ميناء الإسكندرية[3].

وبهذا وحسبما يذكر أرشيبالد أن الإسكندرية كانت تعمل في نقل تجارة الأجانب، أكثر من اشتغالها بتبادل التجارة لحسابها الخاص مع العالم الخارجي، وهذا ما أحال الإسكندرية إلى مخزن كبير لتجارة غرب البحر المتوسط، فازدحمت بكثير من تجار المغرب والأندلس[4].

ولم تقتصر العلاقات التجارية الأندلسية المشرقية على مصر فقط بل تعدتها إلى غيرها كسوريا والعراق ومكة واليمن وخراسان والصين والهند[5].

فتذكر كونستابل أن سوريا خلال القرن4هت/10م كان ما ينتج بالأندلس يصدر إليها[6]، كما كانت المراكب ترسوا في ألمرية قادمة من سوريا[7]، ونمت المبادلات التجارية بين الشام والأندلس مع أواخر فترة ملوك الطوائف بنوع من التوافق والازدهار، ويشير صاحب الحلل الموشية إلى هذه العلاقة فيقول:"وكان المستعين بن هود[8] صاحب سرقسطة يتحف أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ويهاديه بما يحمل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر، اتصل إليه ذلك من خلال بلاد الشام، فالشام كانت بها مجاعة كبيرة

---

1 نفسه: ص79.

2 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص80.

3 كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص340.

4 أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص258.

5 خراسان: هي بلاد قديمة في آسيا يحدها نهر أموداريا شمالا وشرقا وجبال هندكوش جنوبا ومناطق فارس غربا وكان هذا الإقليم يشمل بلاد الصغد، ما وراء النهر، وسجستان، وخراسان تتقاسمه اليوم إيران الشمالية والشرقية (نيسابور) وأفغانستان الشمالية ومقاطعة تركستان السوفيتية وقد فتحت هذه المدينة سنة 36هـ على يد الضحاك. أبو حامد الغرناطي:المصدر السابق، ص68.

6 كونستابل: نفس المرجع، ص79.

7 نفسه: ص57.

8 المستعين بن هود: هو المستعين أحمد بن مؤتمن يوسف بن المقتدر ويقال له المستعين الأصغر، كان يملك جميع الثغر الأعلى في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، نظرا لبعده عنه، وقد اتصلت أيامه إلى سنة 501هـ/1107م، وولي بعده ابنه عبد الملك. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، المصدر السابق، ج2/ص354، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص172-174.

وكانت بلاد ابن هود بشرق الأندلس كثيرة الخصب، فكان يبعث للشام أجفانا مشحونة بالزرع فتعود إليه بكل ذخيرة وتحفة خطيرة"[1].

وبالنسبة للعراق فكانت بعض المدن العراقية، كالموصل[2] ذات شهرة واسعة لدى أهل الأندلس، فكانت مدينة صناعية وتجارية وملتقى للقوافل التجارية العابرة إلى شرقا وغربا[3] وكان وشي الكوفة يصل به التجار المشارقة حتى إلى قرطبة[4].

وكان للأندلس علاقات تجارية مع مكة إذ كانت هذه الأخيرة قبلة للتجار وخاصة موسم الحج الذي يعرف إقبالا كبيرا من طرف حجاج الأندلس على السلع اليمنية والحجازية، ويحمل حجاج الأندلس تجارتهم وبضائعهم إلى المشرق الإسلامي، من ذلك أن عبد الله بن مسرة[5] كان ذا جاه عريض في مكة، وكان أحد العلماء الأندلسيين التجار[6]، كما سلك البحر العديد من الحجاج المتجهين إلى مكة، واعتاد هؤلاء الحجاج استغلال هذه الرحلة في التجارة والحصول على فوائد جمة[7]، فرحل ابن العربي[8] في أواخر فترة القرن 5هـ/11م إلى الحجاز عن طريق البحر[9].

كما أقامت الأندلس علاقات تجارية مع الشرق الأقصى، كخرسان والهند، فكانت تأتيها البضائع من هناك، لكن كما يظهر أن المسافة بعيدة ولذلك لم تكن هذه العلاقات

---

1 ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص53، نقلا عن كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص341.

2 هي مدينة بالعراق قاعدة محافظة نينوى، وهي قائمة على أنقاض مدينة ساسانية كانت عاصمة الجزيرة في عهد مروان الثاني، آخر الأمويين، وقد أسس فيها الحمدانيون إمارة مستقلة(317-381هـ/929-991م)، وقد كانت الموصل مركزا تجاريا وصناعيا كبيرا وخاصة صناعة الحرير. أبو حامد الغرناطي: المصدر السابق، ص66.

3 حمود البكر: المرجع السابق، ص292-293.

4 جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص87.

5 عبد الله بن مسرة: بن نجيح من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد، وهو مولى لبني هاشم، كان عبد الله بن مسرة مهتما بالقدر، وقد سافر ابن مسرة لدين ركبه فوصل إلى مكة، وكان له جاه عريض بها، وتوفي هناك سنة 286هـ. ابن حيان: نشر شالميتا، المصدر السابق، ص34-36 .

6 ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1/ص376-377، حمود البكر: نفس المرجع، ص293.

7 خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص75.

8 ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي المعافري من أهل إشبيلية، الإمام العالم الحافظ، سافر إلى بلاد المشرق وأخذ عن علمائها، كان قاضيا بالأندلس، وله من الكتب: العواصم من القواصم، أعيان الأعيان، أحكام القرآن، ولد سنة468هـ وتوفي بفاس سنة543هـ. ابن بشكوال: المصدر السابق، ص459-460، ابن فرحون: الديباج المذهب، المصدر السابق، ص376، ابن خلكان: المصدر السابق، ج1/ص409، الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ج6/ص230.

9 سعيد أعراب: المصدر السابق، ص197-198.

متطورة كثيرا، نظرا لمشقة السفر، ولم يكن من السهل الوصول إلى تلك المناطق وجلب السلع منها، فهي مهمة لم تكن متيسرة إلا لكبار التجار وأغنيائهم.

أما الهند وإن لم تقم علاقات تجارية رسمية مع الأندلس فإن هذا لا ينفي قيام بعض التجار بعمل فردي، من ذلك ما حدث أيام الخلافة إذ قام ابن رماحس بأسر أربعة من الأساتذة اليهود في عرض البحر إذ أرسلتهم أكاديمية سورات Surat في الهند لجلب إعانات اقتصادية من يهود إسبانيا[1]، كما قام أحد تجار الأندلس برحلة إلى المشرق في أواخر القرن3هـ/9م وبداية 4هـ/10م، ودخل إلى أرض الهند تاجرا[2]، وتروي رواية من نفس الفترة، أن سفينة أبحرت من سيراف[3] وعلى ظهرها جمهور من التجار من كل البلاد، فجنحت في بحر الصين وأوصلها إلى بر السلامة حكمة شيخ مسلم أصله من قادس الأندلسية[4].

كما نقرأ عن تاجر عالم اسمه أبو محمد بن معاوية المرواني الذي غادر بلده قرطبة إلى الشرق حاجا أواخر القرن الثالث 3هـ/9م، وبعد أن أكمل رحلة الحج، رحل في تجارة إلى بغداد والكوفة والبصرة ثم إلى الهند، وبعدها قفل راجعا إلى وطنه الأندلس، بعد أن جمع ثلاثين ألف دينار، وفي طريق عودته غرقت السفينة في المحيط الهندي أو البحر الأحمر، وبعد ذلك بثلاثين سنة عاد ليدرس في قرطبة وهو خالي الوفاض[5].

1)-الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق:

المنتوجات الزراعية:

لقد عرفت الأندلس فائضا كبيرا في بعض المنتوجات الزراعية وهذا لخصب أرضها وتوفر ظروف الزراعة بها، واشتملت هذه الصادرات على الفواكه الجافة والمواد الخام، ومن ذلك التين والزبيب.

تصدير التين والزبيب:

---

1 خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص72-73.

2 ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2/ص733-735.

3 سيراف: بلدة قديمة في إيران على الخليج، وقد خربتها زلازل سنة977م. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط17، 1991، ص320.

4 كونستابل: التجار المسلمون، المرجع السابق، ص1063، خوان بيرنيط: نفس المرجع، ص72-73.

5 كونستابل: التجار المسلمون، نفسه ، ص1063.

كان التين يحتل موقعا متقدما في قائمة الصادرات الأندلسية فالتين كان يجلب من أحوازها إلى بلاد المشرق[1]، وكان تين مالقة على وجه الخصوص يمتاز بالجودة والطيبة والعذوبة، ولذلك كان من الصادرات الأندلسية الأساسية التي لقيت رواجا في مختلف الأنحاء ومن بينها البلاد المصرية[2]، فكان يحمل من مدينة مالقة إلى جميع البلاد المصرية، وكانت مراسيها معدة للحط والإقلاع محملة من سلعها ومن بينها التين المالقي، كانت بلاد الشام والعراق تتلقى مثل هذه البضائع، عن طريق تجار تلك المناطق أوعن طريق تجار الأندلس أنفسهم، فكان التين يحتل موقعا متميزا في قائمة الصادرات الأندلسية، ويحمل من مدينة مالقة إلى بلاد الشام والعراق ويقول المقري:" ولقد أخبرت أن التين البري المنسوب إلى مالقة، يباع في بغداد على جهة الاستطراف، وأما ما يسفر منه المسلمون على المراكب البحرية فأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره"[3] فكان إذن تين مالقة من الصادرات الأساسية التي لقيت رواجا في مختلف الأنحاء.

تصدير زيت الزيتون:

ومن الصادرات المهمة نحو البلاد المصرية، نجد زيت الزيتون إذ كان من أهم الحاصلات التي عرفت فائضا بالأندلس، وخاصة بإشبيلية، فقد استغنى أهل إشبيلية من التجارة بهذا الزيت، فكانت جل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق برا وبحرا[4]، وذكر الزهري أن ميناء الإسكندرية كان من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي [5] ومن ومن بين مناطق المشرق الإسلامي التي صدر نحوها سوريا والعراق وغيرها من المناطق المجاورة لها .*كما وصلت* كمية منه إلى مدن الحجاز واليمن، وامتاز هذا الزيت بجودته العالية وبكمياته الكافية، وذكر الرازي أنه إذا لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف[6].

مـواد الصبـاغـة:

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج1/ص152، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص92-93، ابن بطوطة: ج2/ص767-768، نجاة باشا: المرجع السابق، ص45-46.
[2] المقري: نفسه، ج1/ص152، الطوخي: المرجع السابق، ص282.
[3] المقري: نفسه، ج3/ص219.
[4] الحميري: المصدر السابق، ص18-19.
[5] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص275.
[6] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص274.

كانت مواد الصباغة من الصادرات الأندلسية المهمة، كعصفر إشبيلية، عصفر لبلة[1]، كان زعفران الأندلس يطلب في جميع الآفاق وكما يقول البكري:"أن زعفران طليطلة، هو الذي يعم البلاد ويتجهز به إلى الآفاق"[2] والقرمز الأندلسي الذي صدر إلى عدة جهات لجودته، وذكر البكري أن أفضل القرمز هو القرمز الأندلسي ويأتي معظمه من مناطق إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية وقد صدر إلى الآفاق[3] وربما إستوردت مصر منه بعض الكميات نظرا لاعتمادها عليه في صناعتها النسيجية القطنية فتذكر رسالة جينيزا من القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري وبالتحديد في سنة1050م، حيث تطلب فيها شحنة من القرمز الأندلسي، من قبل امرأة في القدس مقدارها خمسة أرطال من قرمز شذونة[4].

المنسوجات الحريرية:

لقد كان لتصدير الحرير الأندلسي أهمية خاصة في التجارة الأندلسية، فكانت هذه السلعة تصدر إلى البلاد المصرية، فمحفوظات الجينيزا غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي، فكان أحد التوجيهات التجارية قد أرسل من مصر، في أواسط القرن5هـ/11م، يأمر بأن يشتري المستقبل (حرير لسين) من إسماعيل الأندلسي لقاطا أندلسيا رفيعا[5]، وقدم عامل نهريا بن نسيم طلبا مماثلا في سنة1040م حين قال له شريك في إفريقيا أن يعتمد جزءا يشتمل من بين الأشياء الأخرى اثني عشر رطلا مطروحا الثلث من لقاط الحرير الأندلسي[6].

كما كانت الرسائل المتأخرة من سنة(452-462هـ/1060-1070م) تذكر مراكب أندلسية، وتجارا واصلين إلى الإسكندرية مع حرير قادم مباشرة من الأندلس من دون وساطة تاجر تونسي[7]، إن كثرة وجودة الحرير الأندلسي جلب الكثير من التجار الأجانب

---

[1] العذري: المصدر السابق، ص96، القزويني: المصدر السابق، ص555.
[2] البكري: المصدر السابق، ج2/ص394.
[3] البكري: نفسه، ج2/ص385، ابن غالب: المصدر السابق، ص308، كونستابل: التجارة والتجار، نفس المرجع، ص260، حمود البكر: المرجع السابق، ص276.
[4] كونستابل: نفسه، ص264-265.
[5] كونستابل: نفس المرجع والصفحة.
[6] نفسه، ص265.
[7] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص265
Abdel-Aziz Salem: Algunos Aspectos Del Florecimiento Económico De Almería Islámica Durante El Periodo De Los Taifas y De Los Al-Moravides "In R.D.I.E.E, Vo.XX, 1979-1980, P89.

إليها، فكان بألمرية دار الصنعة وكان يعمل بها ويصدر جميع ما يصنع من الوشي السقلاطوني والبغدادي وسائر أجناس الديباج والحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان[1]، فألمرية قصدها التجار لشراء الحرير وما يعمل فيها من الستور[2].

فكانت إذن المنسوجات الحريرية الأندلسية مشهورة ولا سيما الوطاء البسطي من الديباج، الذي لا يعلم له نظير في العالم[3]، وكذلك كان من صادرات الأندلس البز، وكان لهذه المادة قيمة عظيمة في ذلك الوقت وهذا يدلنا على الأهمية التجارية للأندلس إذ كان الاتجار بالبز غاية يطمح إليها المشتغلون بالتجارة في العالم الإسلامي فكانت الأندلس تصدر العديد من أنواع الطراز إلى مصر[4].

كما كانت الأندلس تصدر نحو بلاد العراق البز والأقمشة الحريرية والقطنية[5]، وكان وكان حرير غرناطة يصدر إلى كل بلدان المشرق[6] فيقول ابن الخطيب عنها:"وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا، فهو ذوغلة شريفه، وفائدة عظيمة تمتاره منها البلاد، وتجلبه الرفاق وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية[7]، ويشير الأصطخري إلى وجود مادة الحرير ضمن الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق[8]، وكما اختصت ألمرية وقرطبة ومالقة ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا، كما كانت البسط المرسية يغالى في ثمنها بالمشرق[9].

إن محفوظات الجينيزا غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي في شرق المتوسط خلال القرن5هـ/11م قد صدرت كمية لا بأس بها من الحرير نحو بلاد اليمن، فيقول ابن الخطيب عن هذا التبادل التجاري وخاصة منسوجات مالقة:"والحلل التي

---

[1] ابن غالب: المصدر السابق، ص283-284.
[2] الدمشقي: المصدر السابق، ص243، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية، المرجع السابق، ص155.
[3] ابن الخطيب: خطرة اللطيف، المصدر السابق، ص31.
[4] ابن خرداذبة : المصدر السابق، ص153، حمود البكر،المرجع السابق، ص276.
[5] عبد العزيزالدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1995، ص163.
[6] كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص342.
[7] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص105.
[8] الأصطخري: المصدر السابق، ص37، حمود البكر: نفس المرجع، ص275.
[9] المقري: المصدر السابق، ج1/ص201، القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219.

تلح صنعاء فيها بالطلب وتدعوا إلى الجلب"[1]، وكانت الأندلس تصدر العديد من أنواع الطراز إلى خرسان[2]، وكانت الأندلس كذلك تصدر إلى بلاد الديلم جلود القنليات وجلود الثعالب السود[3].

الصادرات الكتانية والقطنية:

كما صدرت الأندلس العديد من الألبسة والأقمشة الكتانية إلى مصر رغم اشتهار مصر بها منذ القديم، فكانت الأندلس تصدر الأردية المعمولة في بجانة إلى مصر[4] كما صدرت الأندلس العديد من الألبسة والأقمشة الكتانية إلى مكة واليمن، فكانت تصدر الأردية المعمولة في بجانة إلى هاتان العاصمتان[5].

ومن أهم السلع التي قامت الأندلس بتصديرها إلى بلاد الشام و العراق نجد القطن، فرغم أنه من المحاصيل الطارئة على الأندلس من بلاد المشرق إلا أنها أصبحت من أوائل البلدان المصدرة له مع القرن الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، فلقد صدرت الأندلس كميات كبيرة من القطن إلى بلاد الشام والعراق، وكانت إشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدرة للقطن حيث كانت تنتج كميات وافرة، فهو يجود بأرضها فيعم بلاد المشرق[6].

تصدير التحف الفخارية والخزفية:

ومن الصادرات الأندلسية في مجال الصناعات ذات الأهمية الاقتصادية بالأندلس نجد الفخار الذي ذكرنا اشتهارها به، فكان بمالقة وألمرية الفخار ذو النوعية الرفيعة وهو الفخار المذهب الذي لا يوجد مثله وكان يجلب إلى أقاصي البلاد[7]، وقد كان الفخار والخزف يصدر إلى مصر حيث قدمت بقايا خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في

---

1 ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص89.

2 ابن حوقل: المصدر السابق، ص103، ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص153، حمود البكر: المرجع السابق، ص276.

3 الزهري: المصدر السابق، ص66.

4 المالكي: المصدر السابق، ج2/ص445، المقري: نفس المصدر، ج1/ص201.

5 المالكي: نفسه، ج2/ص445، حمود البكر: نفس المرجع، ص277.

6 الحميري: المصدر السابق، ص20-21، ابن غالب: المصدر السابق، ص292.

7 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص768.

القرن4هـ/10م، وعثر على كسر خزفية أندلسية في حفائر القاهرة تعود للعصر الفاطمي[1] وكان هناك الفخار المزجج المذهب، كما كان يصنع نوع من المفصص المعروف في المشرق، كما صنعت الفسيفساء التي تبسط بها قاعات الديار وهو ما يعرف بالزليجي وكان يصدر إلى المشرق حيث يصرفه هؤلاء في زخرفة بيوتهم، كما اختصت مدينة أندراش بالفخار الذي لا يوجد في الدنيا مثله للطبخ[2].

خشب الصنوبر والسفن:

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب في مختلف أسواق العالم وهذا لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها، فكانت الأندلس تنتج كميات كبيرة منه، وعلى رأس هذه المدن إنتاجا وتصديرا طرطوشة، والتي كانت باب من أبواب البحر التي يسلكها التجار في كل ناحية وكان بها شجر البقس وخشب الصنوبر[3]، فكان خشب طرطوشة لا نظير له بطوله وصلابته ويؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع، وقد نقل إلى جميع بلدان العالم القريبة والبعيدة[4].

خاصة إذا علمنا أنه في بعض الأحيان كان يصدر في شكل مراكب جاهزة الصنع كما وقع في رسالة جينيزا مكتوبة في تونس في سنة 1040م وفيها أن المراكب الأندلسية الجديدة وقد اشتراها التجار وحملت كي تذهب إلى مصر، وكانت هذه السفن تصنع في ألمرية في زمن ملوك الطوائف وخاصة في إمرة بني صمادح، كما كان بمالقة دار صناعة لإنشاء المراكب، وبالمنكب كذلك[5].

تصدير الدواب والمواشي:

كانت الأندلس تتربع على ثروة حيوانية كبيرة وذات جودة عالية نظرا لمناخها الملائم، فكان يجهز من الأندلس نحو بلاد المشرق الخيول النفيسة من البراذين والبغال الفارهة والغنم والبقر وجميع الحيوان الرخيص[6]، وعرفت ميورقة بإنتاج نوع وفصيلة جيدة من

---

[1] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص285-286.
[2] القلقشندي: نفس المصدر، ج5/ص221، المقري: المصدر السابق، ج1/ص202.
[3] ابن غالب: المصدر السابق، ص285-286.
[4] كونستابل: نفس المرجع، ص294.
[5] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، جوزيف مورنيو: المرجع السابق، ص316، لومبار موريس: المرجع السابق، ص123، عبد العزيز سالم: تاريخ ألمرية الإسلامية، المرجع السابق، ص36-37.
[6] ابن حوقل: المصدر السابق، ص97.

البغال، ويضيف ابن حوقل أن بالأندلس البغال الفره وبها يتفاخرون ويتكاثرون ولهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال[1].

المـــواد المعدنيــة :

وكان يتجهز من الأندلس بصفة عامة، بالحديد والرصاص والذي ينقل إلى بلاد المشرق الإسلامي[2]، كما كان يصدر إلى العراق أجود أنواع النحاس والزئبق[3].

وكذلك من الصادرات نجد المرجان بحيث كان يستخرج من ساحل مدينة بليش ساحل إلبيرة من عمل المرية وبكميات كبيرة، الظاهر أنها كانت تعد للتصدير إلى الخارج، فكان في أقل من شهر يستخرج نحو ثمانين قنطارا بمدينة منورقة[4]، كما كان يستخرج معدن الطفل من جبل طليطلة منها يجهز ويصدر إلى باقي بلاد العالم لفضله وجودته على كل طفل بالمشرق[5]، كما كان يتجهز من الأندلس بصفة عامة، بالحديد والرصاص والذي ينقل ينقل إلى بلاد المشرق الإسلامي[6]، كما كان يستخرج معدن الطفل من جبل طليطلة منها يجهز ويصدر إلى باقي بلاد العالم لفضله وجودته على كل طفل بالمشرق[7]، وكان يتجهز من الأندلس نحو بلاد الهند بصفة عامة بمادة الكبريت الأحمر الذي يصل إلى أقاصي بلاد العالم وخاصة إلى بلاد الهند[8].

2)-الـواردات الأندلسية من بلاد المشرق:

العطـور والتوابـل:

كانت الإسكندرية باب المغرب والأندلس نحو الشرق، ولذلك كان يجلب منها إلى الأندلس منتجات الهند والسند والعراق، وخاصة من بعض المواد العطرية والتوابل[9]، فاستوردت التوابل من المشرق عن طريق التجار الأوروبيين من بيزة وجنوة والبندقية،

---

[1] ابن حوقل: نفسه، ص114.
[2] ابن حوقل: نفسه، ص97، الدمشقي: المصدر السابق، ص242.
[3] عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص163.
[4] البكري: المصدر السابق، ج2/ص385، ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص168، الدمشقي: نفس المصدر، ص243.
[5] المقري: المصدر السابق، ج1/ص201، ابن حوقل: نفس المصدر، ص117، الدمشقي: نفسه، ص244.
[6] ابن حوقل: نفسه، ص97، الدمشقي: نفسه، ص242.
[7] المقري: المصدر السابق، ج1/ص201، ابن حوقل: المصدر السابق، ص117، الدمشقي: المصدر السابق، ص244.
[8] الزهري: المصدر السابق، ص81.
[9] الزهري: نفسه، ص50، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي: المرجع السابق، ص347.

فكانت مراكب الإفرنج تصعد بوسقها إلى إشبيلية[1]، كما كانت مكة واسطة وطريق تجاري هام، يربط بين الأندلس والشرق الأقصى، ولذلك كان يجلب منها إلى الأندلس منتجات الهند، فيقول الزهري أنه كان يجلب من مكة إلى الغرب الإسلامي كل ما يخرج من بلاد الهند خاصة بعض المسك والعود[2]، واستوردت غرناطة التوابل والعطور من الهند[3]، وتم جلب ماء الورد من بلاد فارس[4]، كما تم إستيراد مناديل وبر السمندل من بلاد غزنة [5].

اللـؤلـؤ:

كان اللؤلؤ المشرقي يأتي إلى بلاد الأندلس، وهذا لأن التجار الأندلسيون يفضلونه على غيره، سواء أكان كبيرا أم صغيرا، ففي سنة442هـ/1050م تقول رسالة مجهولة الكاتب أرسلت من الإسكندرية إلى القاهرة القديمة تطلب إناء لحفظ العين من اللؤلؤ عالية مواصفاته ورائج في الأندلس[6].

استيراد وجلب الكتـب:

في فترة حكم المستنصر راجت تجارة الكتب بحيث أقام للعلم سوقا نافقة وجلبت إليه بضائعه من كل قطر، فكان الحكم يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجال من التجار ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب إليهم بالأندلس ما لم يعهدوه، فكان يشتري بعض الكتب من مؤلفيها قبل أن تخرج إلى أسواقهم وتظهر بالأندلس، كما فعل مع أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني بالعراق ومع القاضي الأبهري المالكي ، لمختصر ابن عبد الحكم ، وبذلك اجتمع له من الكتب ما لم يجتمع لأحد من قبله ولا من بعده[7].

---

[1] ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص168، كمال السيد: نفسه، ص347.
[2] الزهري: نفس المصدر، ص36، كمال السيد: نفس المرجع والصفحة.
[3] الطوخي: المرجع السابق، ص283.
[4] البكري: المصدر السابق، ج2/ص17.
[5] الزهري: نفس المصدر، ص51.
[6] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص294.
[7] الضبي: المصدر السابق، ص21، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص61-62.

كما كانت الأندلس تستورد من بلاد العراق بعض الألبسة الحريرية، وخاصة النوع المسمى بالعنابي[1].

ج) العلاقات التجارية الأندلسية الأوربية:

لقد ربطت الأندلس علاقات تجارية واقتصادية مع أوربا المجاورة لها، ولكن بالرغم من قرب المسافة إلا أن هذا التبادل كان ضعيفا نوعا ما، وهذا نظرا للصراع الديني القائم بين الأندلس ومختلف البلدان الأوربية، (منذ الفتح إلى غاية نهاية القرن5هـ/11م)، لكن شهدت بعض الفترات استتباب للأمن والسلام، وخاصة فترة القرن4هـ/10م، إذ عرفت فيها الأندلس وكسبت هيبة وقوة عالميتين استطاعت من خلالهما أن تكسب ود جيرانها، فأصبحت السفن الأوربية في حط وإقلاع بين موانئ الأندلس وغيرها[2].

فألمرية أصبحت محط لمراكب النصارى من جنوبيين[3] وبيزيين وبنادقة وقطلانيين وأراغونيين[4]، كما عرفت بلاد إفرنجة بعض فترات القحط وقلة الزراعة، فكان هؤلاء مدفوعين إلى الرحلة والتجارة، وكان بذلك معاشهم على التجارات والصناعات[5]، فهذا الجدب والفقر الذي ساد أوربا أدى بهم إلى لاندفاع جنوبا وخاصة نحو الأندلس القريبة للبحث عن لقمة العيش[6]، كما عم الفقر والجدب الكثير من المناطق الأوربية، فاضطرت بذلك إلى البحث عن مصادر العيش الأخرى، فكانت التجارة أحسن سبيل لتخفيف الضغط عن هذه المناطق.

---

1 محمد احمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي، (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996،ص175.

2 محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين في الأندلس، حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، دون بلد، 1981، ص180-184.

3 البندقية أو فينسيا: Venezia مدينة إيطالية على البحر الأدرياتيكي، وهي مبنية فوق مائة جزيرة صغيرة ، تفصلها القنوات وتربطها ببعضها الجسور، ولها الكثير من الصناعات الحرفية ، وقد كانت ميناء تجاريا في فترة العصور الوسطى. المنجد في الأعلام: المرجع السابق، ص138.

4 أراغون Aragon: هو اسم بلاد غرسية بن شانجة، بشمال الأندلس، ومن هذه المنطقة بدأت الهجمات النصرانية على الأندلس لاسترجاعها واستردادها من المسلمين. الحميري: المصدر السابق، ص12، عبد الله عنان: دول الطوائف، المرجع السابق، ج2/ص279.

5 القزويني: المصدر السابق، ص576.

6 حسين مؤنس: الأوضاع السياسية والاقتصادية، المرجع السابق، ص125، إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص106-107.

وقد وجدت عدة منافذ لها، فيذكر البكري أن مدينة بنبلونة كانت مملكة لغرسية بن شانجة سنة[1](330هـ/941م) وكانت بلد جبال وشعاب قليلة الخيرات وأهلها فقراء جاعة[2]، كما كانت منورقة[3] المدخل الذي يعرف بالأبواب وهو المدخل إلى الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد إفرنجة[4]، وكانتا طلبيرة وتطيلة من ثغور المسلمين التي يدخل منها إلى أرض المشركين[5]، فهذه المدن الثغورية أصبحت بمثابة المحطات التجارية التي ربطت بين الأندلس وبعض مناطق أوربا في أوقات السلم، كما كانت مناطق الخطر في أيام الحرب من ناحية الحدود البرية.

ومن هنا تظهر الأطماع الأوربية في خيرات الأراضي الأندلسية، وكذلك نستطيع أن نفهم هذا من خلال القلق الشديد المصحوب بالندم للحاجب المنصور ابن أبي عامر فقال عند دنو أجله:" أنه يستحق الإحراق بالنار من المسلمين لأنه عندما استولى على أراضي تابعة للممالك النصرانية عمرها بالأقوات من كل مكان ووفر لها المؤن ووصلها ببلاد المسلمين وحصنها غاية التحصين، فاتصلت العمارة بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية، فتمنى لو أنه خرب من تلك البلاد مسيرة عشرة أيام، وحيلها فيافي قفار حتى لا يصل النصارى إلى بلاد المسلمين إلا بمشقة كبيرة، ومن ثم يتم الدفاع وإنقاذ البلاد من خطرهم"[6].

أما بحرا فقد شهدت بعض الفترات ظهور جمهرة من المجاهدين (القراصنة) المسلمين، ويغلب على الظن أنهم إسبان أندلسيين في سواحل فرنسا، وكانت تصل غاراتهم حتى سويسرا ولمبارديا[7] وحتى إلى بعض المدن الإيطالية، ونتيجة لهذا فقد توقفت كل ألوان التبادل التجاري عن طريق الموانئ البحرية بين الأندلس وبلاد الفرنجة، وهذا ما

---

[1] غرسية بن شانجة:(أوسانشيز) وهو ولد سانشو بن غرسية الثاني، ملك نافار، وقد كان سانشو الكبير قد قسم مملكته بين أولاده، فأخذ غريسية مدينة نافار. عبد الله عنان: دول الطوائف، المرجع السابق، ص378.

[2] البكري: المصدر السابق، ج2/ص379، الحميري: المصدر السابق، ص104.

[3] منورقة Minorque: هي جزيرة تقابل برشلونة ، وهي إحدى جزيرتي ميورقة ، تبعد عن برشلونة بمسافة مجرى واحد، وبينها وبين سردانية أربعة مجار، وكان يحكمها سعيد بن حكم بن يحيى وقد ضبطها وقام عليها أحسن قيام إلى أن مات. الحميري: نفسه، ص195، الإدريسي: المصدر السابق، ص308.

[4] البكري: نفس المصدر، ج2/ص383.

[5] نفسه: ج2/ص395.

[6] ابن الكرديوس: المصدر السابق، ص64-65، طقوس: المرجع السابق، ص884.

[7] لمبارديا: Lombardia منطقة في شمال إيطاليا بسفح الألب بين سويسرا وبحيرات ماجيورة ونهر بو عاصمتها ميلانو، وهي من أغنى مراكز البلاد الصناعية. المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص500.

أجبرهم إلى عقد تحالف مع المسلمين للقيام بمشروعات تجارية بحرية، وكادت أساطيل الخلافة الأموية خلال القرن4هـ/10م، وأساطيل مجاهد صاحب دانية بعد ذلك، أن تدحر الأساطيل الأوربية، فقامت بحماية التجارة الأندلسية في تلك الفترة[1].

ولكن بالرغم من هذا العداء إلا أنه في بعض الفترات كانت موانئ الأندلس غاصة بمراكب النصارى، فكانت مراكب الفرنج تصعد في النهر الكبير بوسقها إلى إشبيلية[2] وسلكت بعض التجارة طريقها إلى جنوب فرنسا عن طريق وادي الرون الأعلى فظلت فردان طول ذلك الوقت مركزا كبيرا لتجارة الخصيان مع مسلمي ويهود الأندلس[3]، وكان هذا يتم عن طريق تبادل السلع التي تحتاجها أوربا حسبما يظهر، وكانت ألمرية مجتمع ديوانهم وتصدر منها البضائع إلى مختلف بلادهم[4]، كما أن ساحل مالقة كان محطة تجارية تجارية لمراكب والنصارى[5]، ومدينة المنكب كانت مرفأ للسفن ومحطها، ومنزل عباد الصليب ومختطها[6]، وبهذا فقد جذبت الأسواق الأندلسية التجار المسيحيين من شمال إسبانيا ومناطق أخرى من أوربا على حد تعبير كونستابل[7].

كما توطدت الصلات والتبادل الدبلوماسي بين الإمبراطورية البيزنطية والأندلس في فترة الخلافة خاصة، فيقول عبد الواحد المراكشي عن عصر عبد الرحمن الناصر:"فهابته ملوك الروم فأرسلوا الرسل والهدايا يخطبون وده ويطلبون مهادنته، وكان فيمن قدم عليه منهم رسل صاحب القسطنطينية في سنة336هـ/947م[8]، لكنها لم تكن علاقات تجارية كثيفة نظرا لبعد المسافة بين البلدين ووجود المخاطر بطريق البحر، فكما تذكر كونستابل، أنه يوجد هناك القليل من الأدلة على وصول بضائع أندلسية إلى القسطنطينية، ولكنها كانت تميل إلى هدايا سياسية دون أن ترقى إلى بضائع تجارية[9]، لكن حسبما يبدو أن العلاقات

---

1 حسين مؤنس: الأوضاع السياسية والاقتصادية، المرجع السابق، ص95، خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص74. أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص219، ص315.
2 ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص168.
3 محمد حناوي: المرجع السابق، ص159، أرشيبالد لويس: نفس المرجع، ص274، ص347.
4 ابن سعيد: الجغرافيا، نفس المصدر، ص140، المقري: المصدر السابق، ج3/ص219.
5 المقري: نفس المصدر والجزء والصفحة.
6 ابن الخطيب: مشاهدات، المصدر السابق، ص79، الطوخي، المرجع السابق، ص281.
7 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص83.
8 المركشي عبد الواحد: المصدر السابق، ص55.
9 كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص277.

مع الإمبراطورية البيزنطية كانت تقوم بها الوساطة الإيطالية، فقد نشط تجار نابلي في القيام بهذا الدور الهام، فقاموا بتصدير العبيد ومنسوجات القسطنطينية مقابل زيت الزيتون والسلع التي يأخذونها من الأندلس.

وقد حاول هؤلاء الوسطاء التوفيق بين مصالحهم التجارية المتمثلة في الأرباح، واحترام التشريعات والقوانين التي تحاول منع التبادل التجاري في بعض البضائع الإستراتيجية في تلك الفترة، كالأسلحة والعتاد الحربي والأخشاب والحديد والقمح والعبيد والخيول...وغيرها من السلع[1].

فاقتصرت المبادلات على بعض السلع الكمالية، فكان عبد الرحمن الناصر يستورد الفسيفساء من القسطنطينية[2]، كما أهداه إمبراطور بيزنطة مائة وأربعين سارية من سواري سواري الرخام عند قيامه ببناء مدينة الزهراء[3].

لكن مهما تكن هذه العلاقة السياسية فإنها لا تخلو من مصالح اقتصادية وتجارية تخدم البلدين، وهذه الدوافع الأخيرة عادة ما تكون خفية، ولكنها في واقع الأمر أساسية، وقد تكون هي بالذات الدوافع الحقيقية لتوطيد الصلات السياسية وحفظ الأمن بين البلدين، وهذا ما يقوله ابن حيان إذ يذكر أن وفدا دبلوماسيا وتجاريا وصل إلى قرطبة قادما من أمالقي، في حين أن الرحالة الأندلسي إبراهيم بن يعقوب[4] وصل إلى مانين، وإلى قرى أخرى في شمال أوربا[5].

لكن خلال القرن5هـ/11م يلاحظ قلة الأدلة على نشاط الحركة التجارية بين ملوك الطوائف والبلاد الأوربية عامة[6]، إلا ما ظهر من تبعية وولاء من بعض ملوك الطوائف لملوك النصارى، وهذا تحت الضغط والإكراه، وكذلك التحالف معهم لكسب القوة ومواجهة ملوك الطوائف بعضهم ببعض.

---

1 أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص271، باشا نجاة: المرجع السابق، ص64، محمد حناوي: المرجع السابق، ص157.

2 رجب محمد عبد الحليم: المصدر السابق، ص477.

3 أحمد فكري: المرجع السابق، ص203.

4 إبراهيم بن يعقوب الطوطوشي الإسرائيلي، يهودي من أهل طرطوشة، ويسمى أيضا إبراهيم بن يوسف، وهو تاجر وممن كانوا يعملون في جلب الرقيق الأوربي إلى الأندلس، ولهذا كان يقوم برحلات إلى ألمانيا وبلاد الصقالبة، وشمال أوربا. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، المرجع السابق، ص272-273.

5 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص87.

6 نفسه: ص87.

1)- الصادرات نحو البلاد الأوروبية:

المنتوجات الزراعية:

ونتيجة لتأخر دول أوربا النصرانية في الصناعة والزراعة نتيجة النظام الإقطاعي الذي كانت تعيشه، فقد قامت تجارة رائجة بينها وبين الأندلس، وخاصة في أوقات السلم وكان التبادل التجاري يشتمل على بعض الفواكه الجافة وبعض المواد الخام ومن ذلك:

التين وزيت الزيتون واللوز:

والذي كان يحتل موقعا متقدما في قائمة الصادرات الأندلسية فهو يحمل من مدينة مالقة إلى البلاد النصرانية، فيقول المقري:" والتين البري المنسوب إلى مالقة يسفر منه النصارى على المراكب البحرية بأكثر من أن يعبر عنه بما يحصره"[1].

وكانت بهذا مراسي مالقة معدة للحط والإقلاع محملة من سلعها ومن بينها التين المالقي[2]، فكان إذن تين مالقة يمتاز بالجودة وبطيبه وعذوبته ولذلك كان من الصادرات الأندلسية الأساسية والتي لقيت رواجا في مختلف الأنحاء[3]، كما كانت مالقة تصدر اللوز إلى بلاد الروم[4].

وكان زيت الزيتون من أهم الصادرات الأندلسية نحو البلاد الأوربية، فقد وصل التجار الإيطاليون إلى الأسواق الأندلسية بحثا عن المنتوجات المحلية ومن بينها الزيت الإشبيلي[5]، فذكر الزهري أن بلاد الروم كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي[6].

السكر:

ومن المحصولات الأندلسية المصدرة الأخرى هناك السكر فكانت البيرة تنتج منه كميات كافية[7]، وكذلك مدينة شلوبين والمنكب التي يحمل منها إلى سائر البلاد[8]، وكما

---

1 المقري: المصدر السابق، ج3/ص219.
2 عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص74، ابن الخطيب: مفاخرات بين مالقة وسلا، المصدر السابق، ص60.
3 المقري: نفس المصدر، ج1/ص152.
4 الزهري: المصدر السابق، ص93.
5 كونستابل: التجار المسلمون، المرجع السابق، ص1064.
6 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص275.
7 القزويني: المصدر السابق، ص502، ابن غالب: المصدر السابق، ص283.
8 القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218، ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص97-98.

ساهمت إشبيلية في إنتاج هذه المادة، وكانت تقوم بتصدير الفائض منها، وكان السكر من المواد المعدومة في الأقاليم الباردة[1]، ولذلك فربما كان ينقل إلى مناطق شمال أوربا الباردة.

التوابل و البخور:

كان لليهود دور مهم وأساسي في عملية المبادلات التجارية التي كانت تقوم بين بلاد الأندلس وأوربا، فكما يقول حسين مؤنس:"أن اليهود كانوا يتسربون إلى أوربا عن طريق الأندلس حاملين ما خف وغلا من الحاجات، فكانوا يقدمون للكنائس ما كانت تحتاج إليه من بخور الهند والأندلس وغيرها وكذلك الفلفل، وكان من أغلى حاجات العصر، حتى أن الناس كانوا يستعملونه أساسا لحاجات تلك الفترة"[2].

الورق الشاطبي:

كان الورق الشاطبي من أجود أنواع الورق، ولذلك كان الطلب عليه كبيرا في الأسواق العالمية آنذاك، فكانت شاطبة تصدر ورقها إلى كامل البلاد الأوربية الغربية، وبأثمان معقولة قابلة للمنافسة الخارجية مع الكاغد العراقي والمصري والدمشقي[3].

المنسوجات الحريرية:

كان النصارى يفضلون الملابس العربية التي كانوا يستوردونها من الأندلس[4]، وكان وكان على رأس الملابس التي اشتهرت بها الأندلس وقامت بتصديرها إلى مختلف مناطق العالم، الحرير، فتصديره كان له أهمية بالغة في والتجارة الأندلسية[5]، ويشير الأصطخري الأصطخري إلى وجود مادة الحرير ضمن الصادرات الأندلسية إلى بلاد الفرنجة[6]، كما وصلت بعض المنسوجات والجلود القرطبية إلى بعض المدن الإيطالية[7]، وكان الغرب

---

1 المقري: نفس المصدر، ج1/ص208.

2 حسين مؤنس: الأوضاع السياسية والاقتصادية، المرجع السابق، ص127.

3 باشا نجاة: المرجع السابق، ص50.

4 رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص473.

5 سامية مسعد: المرجع السابق، ص171، كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص263، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص197.

6 الأصطخري: المصدر السابق، ص37، حمود البكري: المرجع السابق، ص275.

7 كونستابل: التجار المسلمون، المرجع السابق، ص1064.

المسيحي يستورد من الأندلس مباشرة الأقمشة الثمينة، وخاصة مادة القماش المسماة في الوثائق الكنسية المسيحية بـ"Spaniscum"[1].

لكن يظهر من كل هذا أن تصدير المنسوجات إلى البلاد الأوربية كان قليلا وهذا ما تؤكده كونستابل إذ تقول أن الإشارة إلى وجود المنسوجات الأندلسية في البلاد الأوربية (المسيحية) نادر، ويعلل ذلك بأن هذه الفترة كانت مكرسة لإنتاج الطراز الملكي ومنسوجات مهيأة للتصدير إلى دار الإسلام، ومع ذلك فإنه قليلا من المنسوجات الأندلسية قد تظهر في عقود من أمالقي ونابولي[2]، مؤرخة في أوائل القرن11م/5هـ كما عثر عليها في السجلات الإسبانية المسيحية لهذه الفترة[3].

المصنوعات الخزفية:

لاشك أن ما بلغه فن الخزف المزخرف في عصر الخلافة يعد أمرا رائعا، فقد تجاوز في قيمته الفن المسيحي الأوربي، بما في ذلك الفن البيزنطي الشديد الافتقار إلى الإبداع والصنعة الفنية، وهذا ما يسوغ احتمال ازدهار تجارة الصادرات في مثل هذه البضائع مع البلدان الأوربية، وقد ثبت وجود أوان خزفية في صقلية ومالطة[4]، فكان بمالقة وألمرية الفخار ذو النوعية الرفيعة وهو الفخار المذهب الذي لا يوجد له مثيل وكان يجلب إلى أقاصي البلاد[5]، ويلاحظ وصول التجار الإيطاليون إلى الأسواق الأندلسية بحثا عن المنتوجات الخزفية المحلية[6]، وقد كان الفخار والخزف يصدر إلى أوربا حيث عثر على ثلاث مراكب عربية غارقة في شاطئ البروفانس[7] Provence، كما قدمت بقايا خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في القرن4هـ/10م[8].

مـادة الخـشـب:

---

[1] محمد حناوي: المرجع السابق، ص158.
[2] نابولي: Napoli مرفأ إيطالي على خليج نابولي بالبحر التيراني، قرب فيزوف وهو مركز تاريخي وحرفي وتجاري وسياحي. المنجد في الأعلام: المرجع السابق، ص567.
[3] كونستابل: التجارة والتجار، نفس المرجع، ص269.
[4] مورينو: المرجع السابق، ص369.
[5] القلقشندي: المصدر السابق، ج5/ص218-219، ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2/ص768.
[6] كونستابل: التجار المسلمون، المرجع السابق، ص1064.
[7] البروفانس: Provence إقليم قديم في جنوب فرنسا قاعدته إيكس، من مدنه أفينيون ونيس. المنجد في الأعلام: نفس المرجع، ص124.
[8] كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص285-286.

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب في مختلف أسواق العالم وهذا لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها، فكانت الأندلس تنتج كميات كبيرة منه، وعلى رأس هذه المدن إنتاجا وتصديرا طرطوشة، وكورة جيان[1]، فكان خشب طرطوشة لا نظير له بطوله وصلابته، يؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع، وقد نقل إلى جميع بلدان العالم القريبة والبعيدة[2].

كما كانت شلب في جنوب غرب الأندلس مطوقة بالغابات، وتنتج كميات كبيرة من الخشب الذي يصدر في جميع الاتجاهات، والذي يصنع منه سفن كثيرة[3]، وقد نقل الخشب الخشب الأندلسي إلى الخارج على هيئة رزم أو قطع معدة للصناعة.

لكن نظرا لأهميته الإستراتيجية، ظهرت هناك فتاوى تحد من تصدير هذه المادة إلى أوربا النصرانية، لاستعماله كسلاح ضد المسلمين، فاعتمد الونشريسي على كتاب ابن رشد التجارة إلى أرض الحرب ليورد نوازل متعددة مرتبطة بتحريم كل ما له علاقة بدار الحرب، وكل ما من شأنه أن يفيد الكفار النصارى ضد المسلمين[4]، خاصة إذا علمنا أنه في بعض الأحيان كان يصدر في شكل مراكب جاهزة الصنع، والظاهر أن هذه المراكب كان يصدر الفائض منها إلى باقي بلدان العالم.

كما ظهرت كذلك النداءات المتكررة من أساقفة أوربا بالمقابل للحد من تصدير خشب أوربا نحو البلدان الإسلامية[5].

الصادرات المعدنية:

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد النصارى بكثير منها، ومن أهمها معدن الزئبق، بحيث كانت قرطبة على رأس مدن الأندلس إنتاجا وتصديرا لهذه المادة، وخاصة بفحص البلوط وبجبل البرانس ومنه يتجهز به إلى الآفاق[6]، فكان الزئبق يحمل إلى بلاد

---

1 نفسه، ص284.
2 كونستابل: نفس المرجع والصفحة.
3 كونستابل: نفسه، ص295.
4 الونشريسي: المعيار، المصدر السابق، ج2/ص124-126، ج6/ص180، محمد حناوي: المرجع السابق، هامش ص155.
5 كونستابل: التجارة والتجار، المرجع السابق، ص296.
6 ابن حوقل: المصدر السابق، ص114، البكري: المصدر السابق، ج2/ص386، الحميري: المصدر السابق، ص01، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص363، ابن غالب: المصدر السابق، ص289، ابن الفقيه: المصدر السابق، ص87.

الإفرنجة[1]، وقد كانت الصناعة الأندلسية متفوقة، حتى إن نصارى قشتالة كانوا يفضلون سيوف إشبيلية على سيوف مدينة بوردو، التي تسميها الرواية العربية برذيل أو السيوف البرذاليات، فقد جاء في وصية أحد قادتهم:"أوصي أيضا بسيفي القشتالي الذي صنع في إشبيلية ووضع مقبضه بالذهب و نفيس الجواهر"[2].

2)-الـواردات الأندلسية من البلاد النصرانية:

بعض العطـور والتوابـل:

واستوردت الأندلس التوابل المشرقية عن طريق التجار الأوروبيين من بيزة وجنوة والبندقية، فكانت مراكب الإفرنج تصعد بوسقها إلى إشبيلية محملة بمثل هذه البضائع[3].

معدن الحـديـد والنحاس:

أما فيما يخص المعادن فكانت الأندلس دائما في حاجة ماسة إلى المعادن الموجودة بوفرة في البلاد النصرانية، فاستوردت الحديد ذو النوعية الجيدة والمعروف بالشلق من مملكة قشتالة، وهو حديد أسود كانت تصنع منه الآلات الحربية[4]، كما استوردت السيوف الجاهزة من بلاد أوربا وخاصة من الإفرنجية منها، وهي السيوف البرذاليات نسبة إلى مدينة بوردو، خاصة أنها كانت ذات نوعية جيدة تفوق سيوف الهند[5]، أما النحاس والقصدير فكانت تجلبهما الأندلس من إنجلترا وإرلندة[6].

الألـبسـة:

كانت الأندلس تستورد بعض الألبسة كثياب الملف الذي اختصت بصناعته فنلندة[7]، وهي ثياب حسنة العمل من الصوف، متقنة الصنع حتى تباهي ثياب الخز، وقد أشار ابن

---

[1] الحميري: نفس المصدر، ص01، الحبيب الجنحاني:المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص25، حمود البكر: المرجع السابق، ص278.

[2] رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص473.

[3] ابن سعيد: الجغرافيا، المصدر السابق، ص168.

[4] الزهري: المصدر السابق، ص104.

[5] البكري: المصدر السابق، ج2/ص399-400، المقري: المصدر السابق، ج1/ص202، القزويني: المصدر السابق، ص498، باشا نجاة: المرجع السابق، ص66-67.

[6] ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، المصدر السابق، ص181.

[7] فنلندة: وهي من أعظم بلاد الإفرنج، على مقربة من البحر الرومي، في شمال شرقي أوروبا، بين بحر البلطيق، والنرويج والاتحاد السوفيتي عاصمتها هلسنكي، وشمال هذه المدينة كذلك تقع مدينة جليقية وفنلندة. الزهري: نفس المصدر، ص76-77، المنجد في الأعلام: المرجع السابق، ص418.

حيان إلى مجيء التجار الملفيين إلى قرطبة، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر طلبا للتجارة بما لديهم من القماش المعروف بالملف[1].

ويقول الزهري أن ثياب الملف تجلب من فنلندة إلى بلاد الأندلس وبلاد الروم، وكما تعمل هذه الثياب في كثير من بلاد الإفرنج ولكن ليست مثل هذه، ويضيف أنه كانت بشمال فنلندة تعمل ثياب الفشطان من نبات الخمطي وهي نوع من الديباج[2]، كما تم إستيراد جلود الخز والوبر والسمور[3].

العبـيد الصقالبـــة:

كانت الأندلس منطقة عبور تجارية كبيرة ومهمة، ولذلك فقد راجت بها تجارة العبيد، وخاصة الرقيق الأبيض من الصقالبة وإفرنجة وجليقية، فخلال القرن4هـ/10م كان المسلمون واليهود يذهبون إلى براغ لشراء الرقيق، ثم يعودون عن طريق نهر الرون وقطلونية على ثغر بجانة، حيث يخصى الرقيق ويباعون كخصيان بسعر مرتفع سواء في الأندلس، أو من الأندلس ثم يحول بعضهم بعد ذلك إلى المشرق الإسلامي[4].

وقد أشار المقدسي إلى أن الصقالبة كانوا يحملون إلى مدينة خلف بجانة فيخصونهم، وكان لمدينة اليسانة (اليهودية)[5] دور هام في التجارة الأندلسية منذ العصر الأموي وحتى فترة ملوك الطوائف[6].

وعن نوعية وأسعار هؤلاء العبيد يقول القزويني أنه:" يقع في بلاد الأندلس من الخدم والجواري المثمنات على غير صناعة، بل على حسنهم بألف دينار"[7].

---

[1] ابن حيان: نشر شالميتا، المصدر السابق، ج5/ص478، ابن الخطيب: الإحاطة: المصدر السابق، ص140-144.
[2] الزهري: نفس المصدر، ص77.
[3] ابن الفقيه: المصدر السابق، ص83-84.
[4] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص274، محمد حناوي: المرجع السابق، ص159، خوان بيرنيط: المرجع السابق، ص75.
[5] اليسانة Lucana مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة حوالي 40ميلا وكانت تسمى مدينة اليهود لكثرتهم بها. المقري: المصدر السابق، ج1/ص165-ص457.
[6] المقدسي: المصدر السابق، ص244، المقري: نفس المصدر، ج1/ص145، كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي، المرجع السابق، ص348.
[7] ابن حوقل: المصدر لسابق، ص97، القزويني: المصدر السابق، ص503، لومبار موريس: المرجع السابق، ص126.

وقد عرفت مدينة بلنسية هي الأخرى تجارة العبيد(الرقيق)، ففي أثناء حصار السيد القنبيطور للمدينة كان يفد إلى بلنسية عن طريق البحر كثير من تجار الرقيق لشراء أسرى المسلمين ممن يقعون في أيدي جند القنبيطور[1].

---

[1] كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية، المرجع السابق، ص277.

الخاتمة

الخـــاتمــــــة:

ومـــن خـــلال مـــا ســـبق نســـتطيع أن نخلـــص النتـــائج التـــي توصـــلنا إليهـــا مـــن هذه الدراسة فيما يلي:

لقـــد اهتمـــت الأنـــدلس خـــلال هـــذه الفتـــرة أيمـــا اهتمـــام بالتجـــارة ســـواء الداخليـــة و الخارجيـــة، فبالداخليـــة عـــن طريـــق تشـــجيع التجـــارة بتخفيـــف جـــزء مـــن الضـــرائب المفروضـــة، عـــن طريـــق تنظـــيم الســـوق واســـتحداث الـــنظم الخاصـــة بـــه, والاهتمـــام بمرافقـــه، كمـــا اســـتحدثت عمـــلات جديـــدة و خاصـــة الذهبيـــة منهـــا لتواكـــب التطـــورات الحاصـــلة فـــي بـــاقي العـــالم الإســـلامي، ولتســـهيل عمليـــة التبـــادل التجـــاري بـــين عناصـــر المجتمـــع الأندلســـي، كمـــا عمـــل الأندلســـيون علـــى تـــوفير مختلـــف الســـلع و البضـــائع بالأســـواق ســـواء بمحاولـــة إنتاجهـــا محليـــا أو توفيرهـــا عـــن طريـــق الاســـتيراد مـــن البلـــدان الخارجيـــة المتعامل معها.

وكـــان هـــذا نتيجـــة لمـــا وصـــلت إليـــه فتـــرة الخلافـــة مـــن تطـــور وازدهـــار فـــي مختلـــف المجـــالات، فأصـــبحت الرعيـــة الأندلســـية تتمتـــع بحيـــاة التـــرف وخاصـــة أهـــل المـــدن والحواضـــر مـــنهم، فكـــان طلـــبهم متزايـــدا علـــى الســـلع الكمالية التي تجلب من البلدان البعيدة و بأغلى الأثمان.

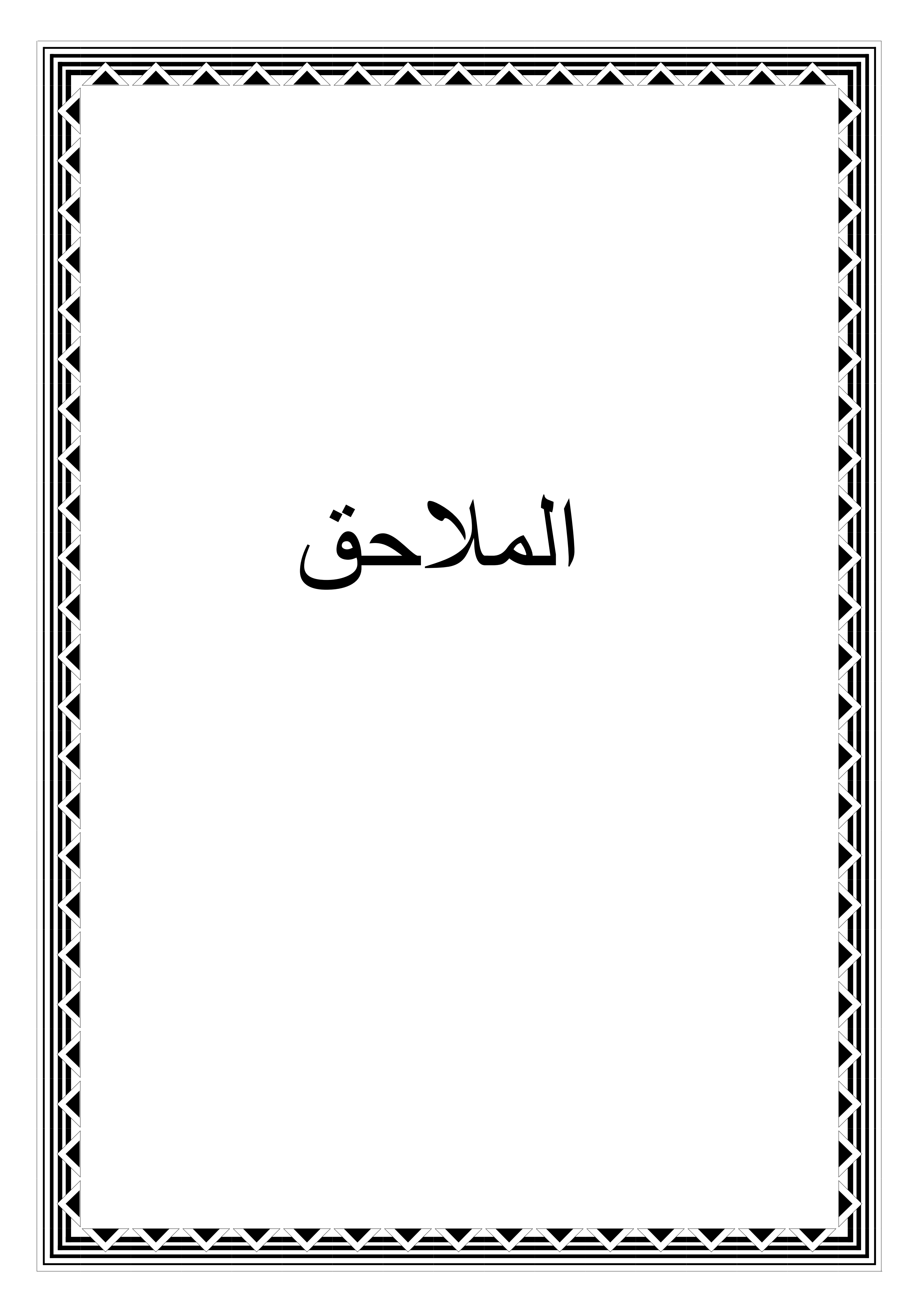
أن التجـــارة بالأنـــدلس خـــلال القـــرن الرابـــع والخـــامس الهجـــريين، قـــد نمـــت نمـــوا لـــم يشـــهده أي عصـــر مـــن عصـــورها، بـــالرغم مـــن التذبـــذب والتراجـــع الـــذي ســـادها خـــلال القـــرن الخـــامس الهجـــري أي فتـــرة ملـــوك الطوائـــف، فـــالمجتمع الأندلســـي اعتـــاد علـــى حيـــاة التـــرف والتملـــك خـــلال القـــرن الرابـــع الهجـــري، ولـــذلك فـــوجئ بالفوضـــى والتخريـــب الـــذي افتـــتح بـــه هـــذا القرن.

لقـــد شـــهد القـــرن الخـــامس الهجـــري انخفاضـــا فـــي مســـتوى نمـــو الحركـــة التجاريـــة مقارنـــة بـــالقرن الرابـــع الهجـــري نظـــرا لتمـــزق الأنـــدلس، وانحصـــار رؤوس الأمـــوال فـــي يـــد طبقـــات محـــدودة، وظهـــور الخطـــر النصـــراني الـــذي

فــرض الجزيــات المتتاليــة علــى أمــراء الطوائــف وهــذا مــا ســبب ضــغط الأمــراء وإجحــافهم فــي جمــع الضــرائب علــى الرعيــة بوجــه شــرعي أو غيــر شــرعي، وقــد تســبب هــذا فــي تنــاقص رؤوس الأمــوال لــدى الرعيــة بانتقالــه إلــى الــدول النصــرانية، وهــذا بــالرغم مــن وجــود فــائض مــالي معتبــر لــدى بعــض ملــوك الطوائــف، ولا أدل علــى ذلــك مــا وجــد لــدى خزينــة المعتمــد بــن عباد من أموال عند دخول المرابطين للأندلس .

وقــد قوبــل هــذا الوضــع بســخط عــام علــى الأوضــاع الاقتصــادية والاجتماعيــة، وظهــر هــذا جليــا فــي الــدعاء للمــرابطين علــى المنــابر، وتــرحيبهم بهــم حــين عبــورهم للأنــدلس، ومــن جهــة أخــرى نجــد أن الطبقــة الحاكمة تمتعت بحياة البذخ والسرف وتبذير الأموال على الشعراء.

وعلــى الــرغم مــن أن علاقــات الأنــدلس التجاريــة قــد تنوعــت فشــملت الكثيــر مــن بلــدان العــالم المتوســطي آنــذاك ويرجــع هــذا إلــى عصــور متقدمــة ، لكنهــا عرفــت انتعاشــا كبيــرا خــلال القــرنين المــذكورين لبــروز الأنــدلس كقــوة اقتصــادية بحريــة عظمــى فــي المنطقــة المتوســطية، اكتســبت هيبــة عالميــة فــي البحــر المتوســط، فتكــاد تجمــع المراجــع علــى أنهــا كانــت فــي الريــادة، لكنهــا بــدأت تتراجــع ابتــداء مــن النصــف الثــاني للقــرن الخــامس الهجري.



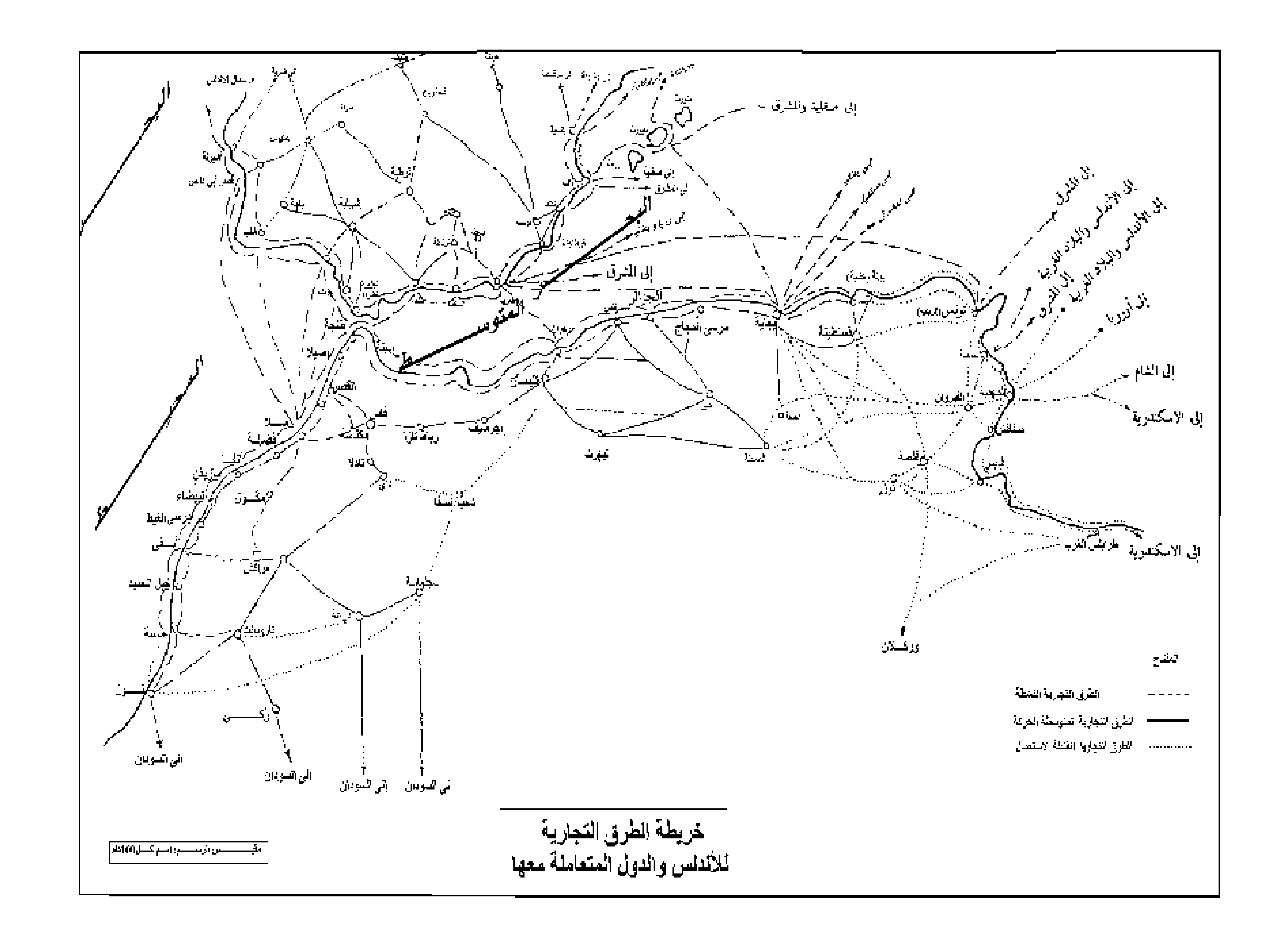
الملاحق

الخرائط

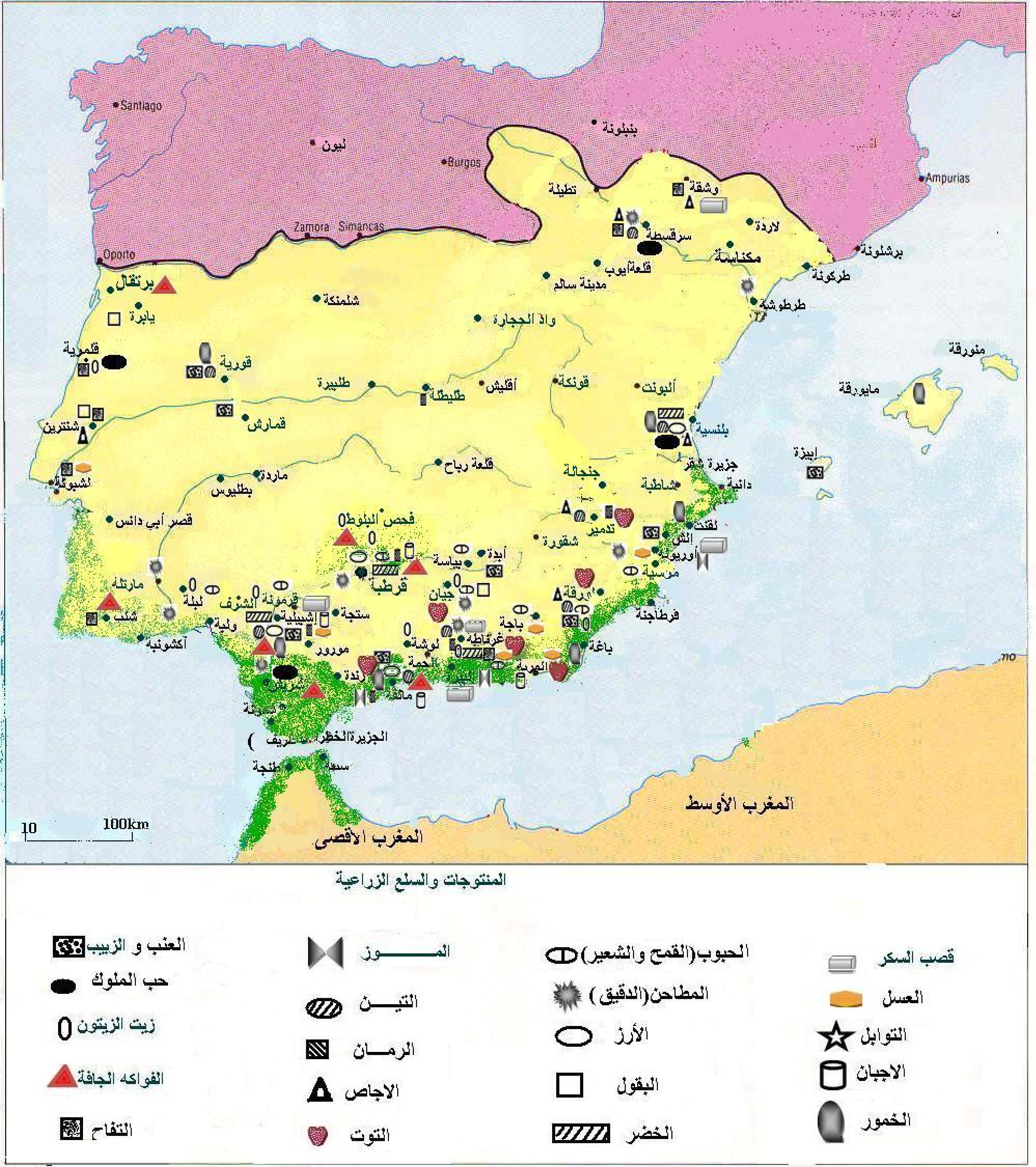
1- الخرائـــط:



خريطة مدن الأندلس



خريطة الطرق التجارية
للأندلس والدول المتعاملة معها



المنتوجات والسلع الزراعية
العنب و الزبيب
حب الملوك
زيت الزيتون
الفواكه الجافة
التفاح
المـــوز
التيـــن
الرمـــان
الاجاص
التوت
الحبوب(القمح والشعير)
المطاحن(الدقيق)
الأرز
البقول
الخضر
قصب السكر
العسل
التوابل
الاجبان
الخمور
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
100km
Santiago
Burgos
Zamora
Simancas
Oporto
Ampurias
بنبلونة
ليون
تطيلة
وشقة
لاردة
سرقسطة
برشلونة
مكناسة
قلعة أيوب
مدينة سالم
طركونة
طرطوشة
برتقال
شلمنكة
يابرة
وادي الحجارة
منورقة
قلمرية
قورية
طلبيرة
طليطلة
أقليش
قونكة
ألبونت
مايورقة
شنترين
قمارش
بلنسية
جزيرة شقر
ابيزة
قلعة رباح
ماردة
بطليوس
جنجالة
شاطبة
دانية
قصر أبي دانس
فحص البلوط
تدمير
لقنت
شقورة
أبدة
بياسة
قرطبة
جيان
مرسية
مارتلة
لبلة
الشرف
قرمونة
اشبيلية
سنتجة
باجة
قرطاجنة
شلب
ولبة
أكشونبة
مورور
لوشة
غرناطة
باغة
المرية
الحمة
رندة
مالقة
الجزيرة الخضراء
طنجة



بنبلونة
ليون
تطيلة
وشقة
لاردة
سرقسطة
مكناسة
برشلونة
طركونة
قلعةأيوب
مدينة سالم
شلمنكة
واد الحجارة
طرطوشة
منورقة
مايورقة
قورية
طلبيرة
طليطلة
أقليش
قونكة
البونت
بلنسية
شنترين
ابيزة
جزيرة شقر
قلعة رباح
ماردة
بطليوس
دانية
شاطبة
شنشالة
قصر أبي دانس
لقنت
شقورة
أبدة
بياسة
أوريولة
قرطبة
جيان
مارتلة
لبلة
قرمونة
إشبيلية
استجة
شلب
ولبة
لورقة
قرطاجنة
باجة
غرناطة
أكشونبة
مورور
لوشة
الحمة
باغة
المرية
رندة
الجزيرة الخضراء
طنجة
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
10
100km
أهم المعادن و السلع المصنعة
السلع الحريرية
السلع الجلدية
الصناعات الخشبية
المنسوجات الصوفية
السلع الحديدية
الرصـــاص
النحاس
الذهب
الفضـة
السلع الفخاريةوالخزفية
الزجـــاج
العنبر و الكهرمان
المـلح
الرخـام

2-النقــود الأندلسية:



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين قاسم.

1

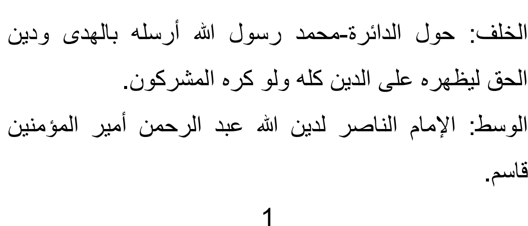
الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين قاسم.

2



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين قاسم.

3



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة الزهراء سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين محمد.

4



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة ثلاثين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله.

أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين قاسم.

5



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة الزهراء سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين محمد.

6



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة إحدى خمسين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على.الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط:الإمام الحكم أمير المؤمنين المستنصر بالله عبد الرحمن.

7



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة خمس وستين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام الحكم أمير المؤمنين المستنصر بالله عامر.

8



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له جهور.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام محمد أمير المؤمنين المهدي بالله.

9



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة أربعمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ابن مسلمة.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام سليمان أمير المؤمنين المستعين بالله.

10



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له مفرج.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام هشام أمير المؤمنين المؤيد بالله عامر.

11



الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد.

الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوسط: الإمام هشام أمير المؤمنين المؤيد بالله عامر.

12





الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة سبتة سنة خمس وعشرين وأربعمائة. الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له قاسم. الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الوسط: ولي العهد الإمام يحي المعتلي بالله أمير المؤمنين إدريس. 13	الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. الوسط: لاإله إلا الله وحده لا شريك له الحاجب إسماعيل. الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الوسط: المعتضد الإمام هشام أمير المؤمنين المؤيد بالله. 14
 الوجه: حول الدائرة-بسم الله ضرب هذا الدرهم بأتمرية سنة. الوسط: لا الحمد لله ما أعظم الله. الخلف: حول الدائرة-محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الوسط: المعتصم بالله لا إله إلا الله محمد رسول الله. 15	 الوجه: لاإله إلا الله محمد رسول الله قرطبة. الخلف: المنصور بالله أمير المسلمين حمدين بن محمد. دراهم المرابطين بالأندلس. 16

قائمة المصادر والمراجع

المصـــــادر:

1- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس.

2- ابن الابار ابو عبد الله القضاعي: الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985 .

3- ابن الأبار محمد بن عبد الله أبو عبيد الله القضاعي البلنسي: كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995.

4- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن: تلبيس إبليس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1997،4، ص183/174.

5- ابن الخطيب لسان الدين السلماني: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق، إ.ليفي. بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956.

6- ابن الخطيب لسان الدين السلماني: الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر.

7- ابن الخطيب لسان الدين السلماني: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح، البشير الفورني، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ط1، دون تاريخ.

8- ابن الخطيب لسان الدين السلماني: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، مصر، 2002.

9- ابن الخطيب لسان الدين السلماني: مفاخرات بين مالقة وسلا، ضمن مجموع مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، جمع، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1983.

10- ابن الشباط محمد بن علي التوزري: وصف الاندلس، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط : تقديم أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، مج4، 1967، 1968.

11- ابن العربي المعافري: ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط1، 1987.

12- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
13- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق، روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
14- ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، طبع في مطبعة ليدن، بريل، 1885.
15- ابن القوطية أبو بكر: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
16- إبن الكردبوس أبو مروان: تاريخ الأندلس أو الإكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق، أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، عدد 13، 1965-1966.
17- ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.
18- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الله: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، شرحه وقدم له، صلاح الدين الهوا ري، المكتبة العصرية، بيروت.
19- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم وتعليق، علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1985.
20- ابن بلكين عبد الله: كتاب التبيان أو مذكرات عبد الله بن بلكين، تحقيق وتقديم وتعليق، أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، المغرب الاقصى، بدون تاريخ.
21- ابن جبير أبو الحسين محمد بن احمد: رحلة ابن جبير، د ار صادر، بيروت، 1964.
22- ابن جلجل أبو داوود سليمان بن حسان: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.
23- ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي: جهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق، محمدعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1962.

24- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي: مختصر طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف، تحقيق، عبد الحق التركماني، دار ابن حرم، بيروت، ط1، 2002.

25- إبن حوقل النصيبي أبو القاسم: كتاب صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، بدون تاريخ.

26- ابن حيان ابو مروان حيان بن خلف القرطبي: المقتبس: اعتني بنشره، بدور شالميتا، ضبط وتحقيق، ف كورينطي، و م صبح وغيرهم، المعهد الاسباني الغربي، كلية الاداب بالرباط، مدريد، 1979.

27- ابن حيان ابو مروان حيان بن خلف القرطبي: كتاب المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق وتقديم وتعليق، محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973.

28- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف: المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشرة الأب، ملشور م أنطونية، نشر، بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937.

29- ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، بدون تاريخ.

30- ابن خلكان ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968.

31- إبن رشد أبو الوليد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق، أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1988.

32- ابن رشد أبو الوليد القرطبي: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق، المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1987،1.

33- ابن سراج أبو القاسم الأندلسي: فتاوى قاضي الجماعة ابن سراج، تحقيق محمد أبو الأجفان، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000.

34- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق وتعليق، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964.

35- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسي: بسط الارض في الطول والعرض، نشر، خوان بيرنيط، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد،1958، عدد1-2.

36- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسي: كتاب الجغرافيا، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1970.

37- ابن سلام أبو عبيد القاسم: كتاب الأموال، تحقيق، محمد خليل هراس، دار الفكر بيروت، 1988.

38- ابن سهل أبو الاصبغ عيسى الجياني: ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق، يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007.

39- ابن عبد الرءوف أحمد القرطبي: آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005.

40- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي: رسالة في القضاء الحسبة، تحقيق، إ.ليفي.بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

41- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج.س.كولان، ا.ليفي.بروفينسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983،ج3،2،1.

42- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، لبنان، ط3، 1983، ج4.

43- ابن عميرة أبوالمطرف احمد المخزومي: تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.

44- ابن غالب محمد بن أيوب: قطعة من كتاب فرحة الانفس عن كنوز الاندلس ومدنها، لطفي عبد البديع، نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، نوفمبر1955، مجلد1.

45- ابن فرحون إبراهيم بن نصر الدين المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الحبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

46- ابن فرحون برهان الدين اليعمري المالكي: تبصرة الحكام في اصول الاقضية ومناهج الاحكام، تخريج وتعليق، جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

47- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى: وصف افريقية والمغرب والاندلس، مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في مسالك الامصار، نشر وتعليق، حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، بدون تاريخ.

48- ابن ليون التجيبي: إختصارات من كتاب الفلاحة، دراسة وتحقيق، احمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001.

49- ابن مكانس فخر الدين المصري: محاورة بين أهل الحرف، تحقيق وتعليق، أمينة محمد جمال، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، بدون بلد، ط1، 1997.

50- أبومحمد علي ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981.

51- الادريسي أبو عبد الله الشريف: القارة الافريقية جزيرة الاندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

52- الاصطخري ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (الكرخي): المسالك والممالك، تحقيق، محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة، محمد شفيق غربال، دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة،1961.

53- البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد: المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

54- البلاذري أحمد بن يحي بن جابر: فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مصر، ط1، 1901.

55- تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط2.

56- التنسي أبو عبد الله : تاريخ دولة الادراسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

57- الجرسيقي عمر بن عثمان بن العباس: رسالة في الحسبة، تحقيق، إ.ليفي.بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

58- الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق، حسن مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج6، 1958.

59- الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

60- الحميدي أبو محمد الازدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

61- الحميري عبد المنعم: صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر وتصحيح وتعليق، إ ليفي بروفنسال، القاهر،1937.

62- الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله محمد الانصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر أ.مهران، ليبزج، 1923.

63- الزهري محمد بن ابي بكر: كتاب الجغرافية، تحقيق، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، بدون تاريخ.

64- الضبي احمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق، روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

65- الطرطوشي ابو بكر بن الوليد: الحوادث والبدع، دارالفتح للطباعة والنشر والتوزيع، الشارقة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1995.

66- العذري احمد بن عمر الدلائي: نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع المسالك، تحقيق، عبد العزيز الأهواني، منشورات المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، 1965.

67- العزفي أبو عباس أحمد: إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تخريج ودراسة، محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1999.

68- الغرناطي ابو حامد الاندلسي: تحفة الالباب ونخبة الإعجاب، تحقيق، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

69- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق، الحبيب الفقي وآخرون، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1978.

70- القاضي عياض أبو الفضل اليحصبى: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

71- القزويني زكريا بن محمد بن محمود: اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

72- القلصادي ابو الحسن على الاندلسي: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق، ابوالاجفان محمد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985.

73- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

74- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005.

75- مؤلف مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، 1985.

76- مالك بن أنس: الموطأ، تصحيح وتعليق وتخريج، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية.

77- المالكي أبوبكر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، تحقيق نشر، البكوش، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.

78- المجيلدي أحمد بن سعيد: التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق، موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

79- المراكشي عبد الواحد: كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1963.

80- المقدسي شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق، محمد أمين الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

81- المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988.

82- النباهي ابو الحسن عبد الله المالقي: تاريخ قضاة قرطبة أوكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

83- النويري أحمد بن عبد الوهاب: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق، مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، بدون تاريخ.

84- الونشريسي ابوالعباس احمد بن يحي: كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق، محمد الحجي، نشر وزارة الأوقاف، الرباط، 1981.

85- الونشريسي ابوالعباس احمد بن يحي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية، تعليق، محمد الامين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985.

86- يحي بن عمر الأندلسي: أحكام السوق، تحقيق، محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، سنة 1956، المجلد4.

المراجـــــع:

87- ابراهيم احمد العدوى: السفارات الاسلامية الى أوربا فى القرون الوسطى، دار المعارف، مصر،1957.

88- إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، دار سيناء للنشر، القاهرة، ط1، 1995.

89- أحمد الطاهري: دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1993.

90- أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالاندلس خلال عصر بني عباد، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2004.

91- أحمد بن محمد أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

92- أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دون تاريخ.

93- احمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الاندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، دون تاريخ.

94- أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطمنين نحو المغرب والاندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات، مدريد، 1957.

95- آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب، محمد عبد الهادي ابو ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

96- أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500م – 1100م)، ترجمة، أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم، محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

97- امحمد بن عبود: جوانب من الواقع الاندلسي في القرن 5هـ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الاندلسية، آسمير(المغرب الاقصى) دون تاريخ.

98- أمين الريحاني: المغرب الاقصى نور الاندلس، دار الجيل، بيروت، ط4، 1987.

99- آنخل جانثالث بالنثيا: تارخ الفكر الاندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، مصر، دون تاريخ.

100- أوليفا ريمي كونستابل: التجارة والتجار بالاندلس، تعريب، فيصل عبد الله، مطبوعات العبيكان، الطبعة العربية الاولى، الرياض، 2002.

101- باشا نجاة ولدت سوسي: التجارة في المغرب الاسلامي من ق4 الى ق8هـ، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976.

102- جودت عبد الكريم يوسف: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3 و4 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

103- جوزيف رينو: الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في ق8 و9 و10م، تعريب وتقديم، اسماعيل العربي، دار الحداثة، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، سنة1984.

104- جوزيف شاخت، وكليفورد بوزرت: تراث الإسلام، ترجمة، حسين مؤنس وآخرون، تعليق وتحقيق، شاكر مصطفى، مراجة فؤاد زكرياء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

105- الحبيب الجنحاني: المغرب الاسلامي(الحياة الاقتصادية والاجتماعية)،(ق3-4هـ/9-10م)، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

106- الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الاسلامي، دار الطليعة، بيروت، 1980.

107- حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، مجلد 07 و08، 1959 و1960.

108- حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الاوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 1993.

109- خالد بن عبد الكريم البكر: النشاط الاقتصادي في عصر الامارة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1.

110- رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

111- سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الاندلس، الجامعة الإسلامية، الرياض، ط1، 2003.

112- سامية مسعد مصطفى: العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2000.

113- السيد عبد العزيز سالم: التخطيط ومظاهر العمران في العصور الاسلامية الوسطى، عن كتاب بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والاثار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، القسم (2).

114- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1984.

115- السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1985.

116- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دراسة تاريخية عمرانية وأثرية في العصر الإسلامي، دارالنهضة العربية، بيروت،1971.

117- عبد الله العروي: تاريخ المغرب في عهد الوحدة والسطوة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000.

118- عبد الله محمد جمال الدين: دولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1991.

119- عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983.

120- عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية(التاريخ الاسلامي لجزر البليار89-685هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

121- عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

122- عفيفى محمود ابراهيم: بنوزيرى وعلاقاتهم السياسية بالقوى الاسلامية فى حوض البحر المتوسط، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1989.

123- علي ادهم: المعتمد بن عباد، المؤسسة المصرية للطباعة، مصر، دون تاريخ.

124- فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

125- كافين ريلي: كتاب الغرب والعالم(تاريخ الحضارة من خلال موضوعات)، ترجمة، عبد الوهاب محمد امسيري، عبد السمع حجازي، مراجعة، فؤاد زكرياء، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.

126- كمال السيد أبومصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، دون تاريخ.

127- كمال السيد أبومصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الاسلامي (95هـ-495هـ)، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، دون تاريخ.

128- كمال السيد أبومصطفى: مالقة الاسلامية في عصر دويلات الطوائف (ق5هـ/11م)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1993.

129- لومبار موريس: الاسلام في مجده الاول، ترجمة وتعليق، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1979.

130- مجاني بوبة: المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2005.

131- محمد احمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية في العصر الإسلامي، (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996.

132- محمد أحمد أبو الفضل: شرق الاندلس في العصر الاسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996.

133- محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

134- محمد حقي: البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000.

135- محمد حناوي: جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن 10م، عن كتاب الغرب الاسلامي والغرب المسيحي، جمع، محمد حمام، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، الهلال للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 1995.

136- محمد ضياء الدين الريس: الحزاج والنظم المالية للدولة الاسلامية، دار الانصار، القاهرة، دون تاريخ.

137- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

138- محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي، الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

139- محمد عيسى التريوى: الدولة الرسمية بالمغرب الاسلامى، دار القلم، الكويت، ط3، 1987.

140- محمد محمد مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين في الاندلس، حتى اواخر القرن العاشر المبلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، دون بلد، 1981

141- محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الاسلامي، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1976.

142- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي قبل البعثة والسيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط7، 1991.

143- محمود علي مكي: التشيع فى الاندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، 1954.

144- مصطفى الهروس: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نشأة وخصائص، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1997.

145- مورينو مانويل جومث: الفن الاسلامي في إسبانيا، ترجمة، لطفي عبد البديع، السيد محمود عبد العزيز سالم، مراجعة، جمال محمد محرز، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، الدار المصرية للتأليف، مصر، دون تاريخ.

146- موسى لقبال: الحياة اليومية لمجتمع المدينة، دار هومة، الجزائر، 2002.

147- واشنطن ايرفينج: سقوط غرناطة آخر المماليك الاسلامية بالاندلس، ترجمة وتعليق، اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

الرسائل والاطروحات الجامعية:

1- عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن5هـ/11م، رسالة دكتوراه دولة مخطوطة، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2001-2002.

2- يحي أبوالمعاطي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238-488هـ/852-1093م)، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة القاهرة، 2000.

الدوريات والمجلات:

3- أحمد ابراهيم دياب: تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية ق 19م، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد، 1984.

4- احمد مختار العبادي: مقامة العيد الازدي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ع1-2 سنة 1954.

5- اوليفا ريمي كونستابل: التجار المسلمون في تجارة الاندلس الدولية، عن كتاب، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة2.

6- بدرو خيمينيث كاستيو: الزجاج الاسلامي في مرسية، ترجمة وتعليق، عبد الله بن ابراهيم العمير، مقال في السجل العلمي لندوة الاندلس، قرون من التقلبات والعطاءات، قسم3، تحرير، عبد الله بن علي الزيدان وآخرون، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، 1996.

7- الحبيب الجنحانى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر، عن مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، العدد29، السنة 11، مارس 1984.

8- خوان بيرنيط: هل هناك أصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية، تعريب،أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، ع1، 1953.

9- صالح أبو دياك: مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن 4هـ إلى القرن8هـ، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، 1996، عدد2، مجلد12.

10- صباح ابراهيم الشيخلي: النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن 5هـ، كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية ق 19م، اشراف، أحمد ابراهيم دياب، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984.

11- عبد الرحمن جودة هلال: مقدمة لوصية الباجي لولديه، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،1955،عدد3مج1.

12- لوسي بولنز: نباتات الصباغة والنسيج قطاع زراعي مزدهر في الاندلس قوامه القطن والعظلم (ق5-7 هـ/11-13م)، ترجمة مصطفى الرقى، عن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير سلمي الخضراء الجيوسي.

13- محمد الكتاني: عن تاريخ الاندلس فى عهد ملوك الطوائف، مجلة دراسات مغاربية، المغرب، عدد1- 2، 1996 .

المعـاجـم والقواميــس:

1- حسين محمد ربيع: وثائق الجينيزا وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، موسوعة دراسات تاريخية، الرياض، 1979.

2- الزركلي خير الدين: كتاب الاعلام، دارالعلم للملايين، بيروت، ط10،1984.

3- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط1، 1993.

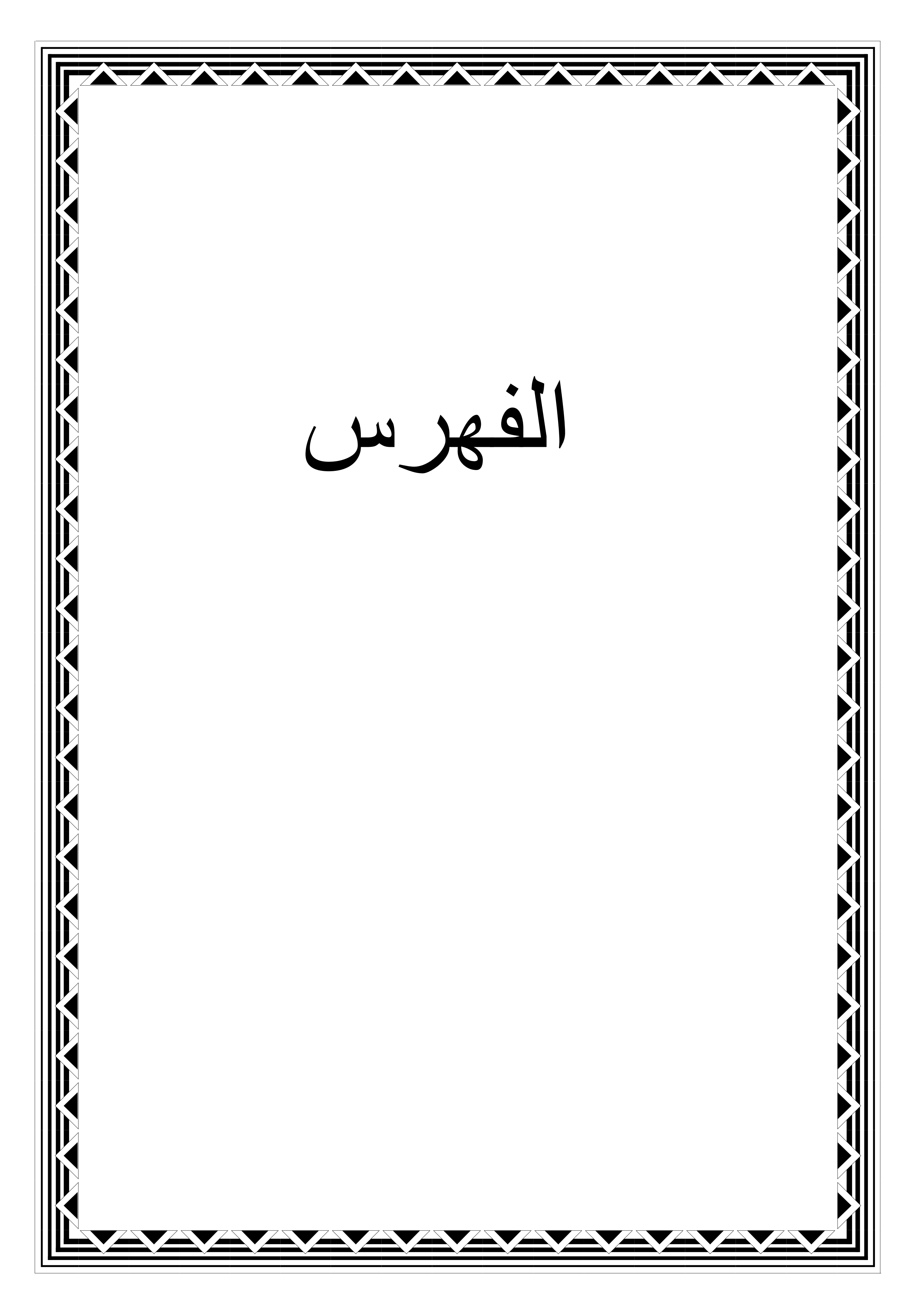
4- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط17، 1991.

الدراسـات الاجنبيـة:

1- Abdel-Aziz Salem : Algunos Aspectos Del Florecimiento Economico De Almeria Islamica Duranté El PeriodoDe Los Taifas y De Los Al-Moravides " In R.D.I.E.E,Vo.XX, 1979-1980,P8-9

2- E- Lévi provençal: Histoire de l'Espagne musulman . Paris tome

3- E-Lévi provençal :la description de L'Espagne D'Ahmed Al-razi,Al-Andalus,1953,vol,17



الفهرس

الفهـــرس:

مقدمة:..أ

المدخـــــــــــــــل:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأندلس خلال القرن 3هـ/9م.................................2

الفصـــــــــــل الأول:

التجـــــارة الداخليـــــــة:

أولا - العوامل المؤثرة في النشاط التجاري بالأندلس:

أ)ـ1ـ الطبيعيـــــــــــة..13

أ)1-1ـ الموقـــــع الجغـــرافي...13

أ)1-2ـ المنــــــــاخ...15

أ)1-3ـ عوامل طبيعية أخرى..16

أ)ـ2ـ الطـــــرق التجـــــارية بالأندلس..18

أ)ـ2-1ـ الطـــــرق البـريـــة...18

أ)ـ2-2ـ الطـــــرق النهريـــة..22

أ)ـ3ـ وسائل النقل البرية للسلع بالأندلس...24

ب)ـ العوامـــــل السياسيـــــــة..26

ب)ـ1ـ الأمن بالأندلس وتأثيره على التجارة خلال القرن 4هـ/10م.................26

ب)ـ 2ـ الأمن خلال القرن 5هـ/11م 29

ب)ـ3ـ العلاقات السياسية بين دويلات الطوائف وانعكاسها على التجارة 31

ج)ـ العوامل الاجتماعية...35

ج)ـ1ـ الهجرة السكانية بسبب الوضع الأمني 35

ثانيا:الحركة التجارية في الأسواق الأندلسية :

أ)ـ أنواع الأسواق:...38

أ)ـ1ـ القيساريـــــــــــات...39

أ)ـ2ـ أسواق المدينـــــــة..40

أ)ـ3ـ الأسواق الأسبوعيـــة...44

أ)-4- الأسواق الموسميـــة..44

ثالثـا: تنظيم وإدارة الســوق بالأندلس:

أ)- الرقابة العامة في المدينة..46

ب)- مراقبة الأسعا ر...50

ج)- مراقبة النوعية...53

د)- مراقبة باقي المنكرات...54

رابعا :آليات وأساليب التعامل في السواق :

أ)- النظـــام النقـــدي(السكـــــــة)...56

- أهـــــــــم العمـــــــلات..61

ب)- نظـــام الأوزان والمكاييـــل...62

خامسا : أهم البضائع بالسوق الأندلسي:

أ)- السلع الزراعية بالسوق الداخلي 67

ب)- المصنوعات الغذائية...85

ج)- السلع المصنعة بالأندلس 88

ج)-1- النسيجيـــة..88

ج)-2- بضائع الصباغة..92

ج)-2-الابسطة والجلود..94

ج)-3- السلع الفخارية والخزفية والزجاجية.......................................95

ج)-4- السلع المعدنية..97

الفصـــــــــــل الثــــــــي:
التجـــــارة الخـــارجيـــــــــة.

أولا ـ العوامـل المؤثرة في التجارة الخارجية:

أ)- العوامـــل الطبيـعيـــة...104

أ)-1- دور الطرق التجارية البحرية والأسطول الأندلسيين....................104

أ)-2- الموانئ والمراكز التجارية وآثارها على التجارة..........................107

ب)- المرافق المساعدة على التجارة الخارجية بالأندلس.................................... 115
ب)-1- وسائل نقل التجارة الخارجية 115
ب)-2- الفنادق.. 118
ج)- العوامل السياسية:.. 119
ج)- 1- الصراع الأندلسي الفاطمي 119
ج)-2- الصراع الأندلسي النصراني... 125
د)- العوامل الاجتماعية.. 127
أثر مساهمة اليهود في التجارة الأندلسية 127

ثانيا ـ مناطق التبادل التجاري:

أ) ـالعلاقات التجارية مع بلاد المغرب والسودان 133
أهم الصادرات والواردات... 138
ب) ـ العلاقات التجارية مع بلاد المشرق.. 149
أهم الصادرات والواردات... 153
ج) العلاقات التجارية الأندلسية الأوروبية.. 161
أهم المبادلات التجارية.. 165
الخاتمة.. 172
الملاحق.. 175
المصادر والمراجع.. 184
الفهرس.. 201